

حَدِيثُ الْمُعَلِّمِ

لِشَيْخِ
شَلَاثَةِ الْأَصُولِ وَأَدَلَّتْهَا

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب التميمي

(المتوفى سنة: ١٢٠٦ هـ)

إِعْدَادُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ وَاسِلِ الْمَطْرِيِّ

المشرف العام على

معهد
أَفَاقِ التَّيْمِيَّةِ
للتعليم عن بعد



الطبعة الأولى 1435 هـ

ح) عبدالعزيز داخل المطيري ، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطيري ، عبدالعزيز داخل
دليل المعلم لشرح ثلاثة الاصول و ادلتها. / عبدالعزيز داخل
المطيري .- الرياض ، ١٤٣٥ هـ
٤١٨ ص ٤ .سم

ردمك: ٣-٤١٣٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الاسلامية أ.العنوان

١٤٣٥/١٤١٩

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٥/١٤١٩
ردمك: ٣-٤١٣٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

معهد
أفاق التيسير
للتعليم عن بعد



مركز الدراسات والبحوث

جوال: ٠٥٠٥٩٤١١٩٩

<http://www.afaqattaiseer.net>

البريد الإلكتروني: afaqattaiseer@gmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء رحمةً وعلماً وتقديراً، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً وبشيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن هذا الكتاب طليعة كتب تعليمية عقدت العزم على إخراجها مستعيناً بالله تعالى، مستمداً منه التوفيق والتسديد، راجياً منه القبول والتأييد، وأن يبارك فيها إنه حميد مجيد.

وكان الحامل على إخراجها والعناية بها ما كنت أحظّه عند دراسة المتون العلمية من التفاوت البين بين شراح المتون في العناية بمسائلها؛ فيجد الطالب في شرح ما لا يجده في غيره على أهمية ما يظفر به الناظر من الفوائد عند مقابله بين الشروح، فحبت إليّ تلك المقابلة، ووجدت بغيتي في الجمع بين الفوائد وتكميل المباحث، وتلخيص العبارات، ولطائف الاستدلالات، والنقول المهمة التي ينبغي لدارس المسألة أن يطلع عليها؛ ثمّ لما رأيت لبعض العلماء مصنفات مفردة في بعض المسائل والأبواب قد اشتملت على ما يحسن بالطالب معرفته حبّب إليّ أن ألخص مقاصدها وأنتخب فوائدها؛ حتى أعددتُ هذا الكتاب من نحو سبعين كتاباً من نفائس كتب أهل العلم، ولله الفضل والمِنَّة.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب ونظائره أدلةً للمعلّمين، ومعينةً لنجباء المتعلّمين، تعينهم على دراسة المتون العلمية وتدريسها، وتختصر عليهم كثيراً من الجهد والوقت، وتكفيهم مكابدة العناء في المقابلة بين الشروح، وحلّ كثير من المشكلات، وتأصيل البحث في المسائل العلمية، ومن أطلع على ما سطرته تبين له ما قصدته؛ إذ حشدت في الدليل ما أحسبه عُدةً للشارحين من بيان المسائل والدلائل، والنقول المنتخبة، والفوائد المنتجة، والتنبيه على المقاصد، وتنظيم مسائل الدرس وترتيب مباحثه؛ فلا يكون في التحضير للدروس مؤونة كبيرة بعده

بإذن الله تعالى.

وقد اخترت عرض هذا الكتاب المُلخَص على طريقة النقاط التفصيلية ليكون أبعد عن الأسلوب الإنشائي الذي ينبغي أن يكون لكلِّ معلّم فيه ما يحسنه، ويوافق طبعه وطريقته.

وإنّ مما عرفته من أحوال عدد من طلاب العلم المتأهلين للتدريس أنهم إنّما يعوّقهم عن كثير من الدروس ما تتطلبه من مؤونة التحضير الجيّد والإعداد العلمي الذي يأملونه؛ فيصدّهم عن التصدي لكثير من الدروس معرفتهم بما يستدعيه التحضير لها من الوقت والجهد، وأمّا من تصدّى للتدريس على ضعف في الإعداد فإنّه يتبيّن في تدريسه من الضعف والأغلاط ما يدركه طلاب العلم.

ولقد يسّر الله لي - بفضلته وتوفيقه - العناية بعدد من المتون العلمية، ودراستها مرات عديدة، ومقابلة شروحا بعضها ببعض، وعرضتُ ما استخلصته منها في كشافات تحليلية نشرتُ بعضها على شبكة الانترنت، وكانت غايتي منها تقريب ما تضمنته تلك الشروح، والمكاملة بين مباحثها، وجمع ما تفرّق من مسائلها، وتنظيم عرضها، لكنها كانت في عامتها رؤوس مسائل تذكّر المعلّم بما يحسن به أن يعتني به من غير أن تغنيه عن الرجوع إلى الشروح ليطلع على ما قيل في كلّ مسألة.

فأردت بعد تأمل وتروّي ومضيّ نحو عشر سنوات على إعداد تلك الكشافات أن أعيد صياغتها وأتمّ مباحثها بما يغني المعلّم عن الرجوع لمراجع أخرى عند التحضير إلا فيما لا بدّ له منه في بعض المسائل.

ومما يحسن تنبيه المعلّم عليه أن يراعي أحوال طلابه ويلقي إليهم من مسائل العلم ما يرى مناسبة لهم؛ ليكون أدعى لقبولهم إيّاها، فإن رأى منهم حسن فهم وسعة إدراك ألقى إليهم هذه المادة وأضاف إليها ما تحسن إضافته مما يناسب أحوالهم، وإن خشي التطويل عليهم وازدحام المعلومات في أذهانهم ألقى إليهم المهمّ من ذلك واعتنى بمقاصد الدروس عناية خاصّة.

وأنا أرجو أن يجعل الله هذه الكتب عدّة للشارحين ييسرّ لهم بها شرح المتون العلمية ؛
ويكون لها أثر محمودٌ في تنشيط الدروس العلمية وتيسيرها وإحسانها.

فإن أصبْتُ في عملي هذا، وقُدِّرَ له أن ينتفع به ؛ فهو محض فضل الله وتوفيقه ؛ هو المانّ به
جلّ وعلا وتبارك ، وما كان فيه من خطأ وتقصير فهو مني ومن الشيطان ، وأنا أستغفر الله
وأتوب إليه ، وأستهديه سبيل الرشاد.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم ، ربنا لا
تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

مناهج العلماء في شرح المتون العلمية

من مهمّات ما ينبغي لطالب العلم أن يتبيّنه تنوّع طرائق أهل العلم في شرح المتون العلمية ، وما لكل طريقة من الفوائد ، وما عليها من المؤاخذات ، لتكون دراسته مبنية على معرفة بيّنة بما يوافق مستواه العلمي ، وغرضه التعليمي ، ويفيده في حسن التعلم ، واكتمال بنائه العلمي وتوازنه.

وقد تأملتُ مناهجَ أهل العلم في شرح المتون العلمية فوجدتها على أنواع :

النوع الأول: الشرح الإجمالي ؛ الذي يريد منه الشارحُ توضيح عبارات المتن باقتضاب شديد والإلمام السريع بمباحث ذلك المتن.

ولهذا المنهج فائدة جليّة في اكتساب تصوّرٍ أوّلي سريع لمسائل المتن ، وتناسب ارتباطها بعضها ببعض.

ولكن الاكتفاء به لا ينتج للطالب تحصيلاً علمياً يُعتمد عليه ، ولذلك تجد الغالب على من سلك هذه الطريقة في الدراسة الضعف العلمي ، وإن درس عدداً من المتون العلمية.

النوع الثاني: الشرح التحليلي الذي لا يكاد يغادر صاحبه لفظة من ألفاظ المتن إلا ويعلق عليها أو يشرحها ، بل ربما أعربها.

ولهذا التحليل والتفصيل فوائد قيّمة في فهم عبارات المتن ، وحلّ المشكلات ، والإلمام بتفصيلات المسائل التي يذكرها الماتن ، وهو أنفع مما قبله.

لكن يؤخذ على هذه الطريقة إفاضتها في التفصيلات إلى درجة تجعل الطالب يحس من نفسه أن تلك المعلومات ينسي بعضها بعضاً وتذهله عن المقصد العام لموضوع الدرس الذي يدرسه ، وربما اشتغل ذهنه بأنواع من المسائل الاستطرادية التي ليس لها صلة مباشرة بموضوع الدرس. فإن اكتفى طالب العلم بهذا المنهج أو لم يعقبه بمراجعة جيدة لأهم المسائل المتصلة بمقاصد الدرس نسي كثيراً مما درس ، ولم يرسخ في ذهنه إلا بعض الفوائد والمسائل التي ترتبط لديه ذهنياً بأمر مهمّة.

النوع الثالث: الشرح التأصيلي، الذي يُعنى فيه بالتركيز على قواعد الباب وأنواع مسأله وأدلتها، ومن يسلك هذا المنهج من العلماء يعتني ببيان مقاصد الدرس أكثر من عنايته بشرح عبارات المتن، بل ربما لا يعرض لشرح عبارات المتن أصلاً، وإذا قرئ عليه المتن بدأ بشرح عام لموضوع الدرس، ثم أفاض في تأصيل مسأله، ثم إن وجد في الوقت بقية عرض لبعض عبارات المتن بشيء من التعليق.

ذلك لأنه صرف عنايته إلى بيان تأصيل المسائل التي تضمنتها ذلك الباب، وربط تلك المسائل بأدلتها وتقسيماتها، ولو كان بعضها غير مذكور في المتن. وهذا المنهج أنفع المناهج لطالب العلم لأنه يعينه على بناء الملكة العلمية التي يتمكن بها من فهم مسائل العلم، وارتباط بعضها ببعض، وطرق دلالة الأدلة عليها، وغير ذلك من الفوائد العلمية.

ويؤخذ على هذا المنهج أنه ربما يفوت الطالب فهم بعض العبارات المشككة في المتن لانشغال الشارح عن شرح عبارات المتن التي قد يشكل بعضها على طلاب العلم. فإذا جمع الطالب مع هذا الشرح قراءة المتن قراءة متأنية، وسأل عما يشكل عليه أتى على سدّ الخلل، واكمل انتفاعه بهذه الطريقة.

النوع الرابع: الشرح الجمعي، الذي يجمع صاحبه الفوائد المتفرقة في شروح متعددة. ويمتاز هذا المنهج بكثرة الفوائد العلمية لاعتماد الشارح على شروح العلماء السابقين، وعنايته بجمعها والمكاملة بينها وتلخيصها للطالب، وعرضها بأسلوب ميسر منظم. وهذا المنهج في نقده تفصيلات يطول ذكرها لاختلاف طرق سالكي هذا المنهج في الجمع والتلخيص والتهذيب، ولكل طريقة ما يحمدها ويؤخذ عليها، لكن كلما كان الشارح أكثر إتقاناً في الجمع والتلخيص وحسن العرض والأسلوب كان شرحه أنفع.

النوع الخامس: الشرح التقريري، الذي يعتني فيه الشارح بإفادة الطالب بالفوائد واللطائف التي اجتناها والنقول المستملحة والنكت وما جرى مجراها، ويغلب على سالكي هذا المنهج من العلماء اختيار طريقة التحشية على المتون.

ولهذا المنهج فوائد حسنة لا يحسن الاكتفاء بها، ويفضّل عند الاختيار تأجيل هذا الشرح ليكون آخر ما يطلع عليه دارس المتن.

وقد يحتاج الطالب الجادّ إلى الجمع بين هذه المناهج عند دراسته للمتن العلمي، ليكون بعد دراسته لها بهذه الطريقة أحسن فهما وأكثر تحصيلاً وأكمل استعداداً لدراسة المتون العلمية المتقدّمة.

وقد حرصت في هذه السلسلة على الجمع بين مزايا هذه المناهج ما استطعت، وأسأل الله التوفيق والسداد.

وأصعب ما في الطريق أوله، ومن تبيّن له الطريقة وأخذ نفسه بالعزيمة حتى يعتاد السير في الطريق سهل عليه المضيّ فيه بمهارة، والله المستعان.

الدرس الأول: مقدمات مهمة في طلب العلم

مقاصد الدرس الأول

- المقصد الأول: بيان شدة الحاجة إلى الهداية، وأنها لا تكون إلا بالعلم الصحيح، وأن إهمال العلم يعرّض صاحبه لخطر الضلال.
- المقصد الثاني: بيان عداوة الشيطان للإنسان وحرصه على إضلاله.
- المقصد الثالث: بيان فضل العلم، والتحذير من العلم الذي لا ينفع.
- المقصد الرابع: بيان معالم المنهج الصحيح لطلب العلم، والميزان الذي توزن به طرق طلب العلم.
- المقصد الخامس: بيان المنهج المقترح لدراسة العقيدة.
- المقصد السادس: بيان أهمية دراسة سير المجددين.
- المقصد السابع: ترجمة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
- المقصد الثامن: التعريف برسالة ثلاثة الأصول وأدلتها.

الحاجة إلى الهداية

● لا نجاة للعبد ولا للأمة إلا بما يهديهم الله عز وجل به كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي: [رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

- وهذا يشمل جميع ما يحتاجون إلى الهداية فيه ، والهداية أصلها العلم.
- أول وصية وصى الله بها الناس عند بدء هذه الحياة الدنيا ما تضمنه قوله تعالى:

[البقرة: ٢٣٨].

● وقد ضمن الله تعالى لمن اتبع هداه أن لا يخاف ولا يحزن، وأن لا يضل ولا يشقى، وأن يخرج من الظلمات إلى النور وأن يهديه سبل السلام وأن ينجيهِ مما يخاف، وهذا وعد صادق للفرد والأمة.

○ قال الله تعالى:

[طه: ١٢٣]، وقال:

[الإسراء: ٩]، وقال:

[المائدة: ١٦].

● ونحن قد جاءنا أعظم الهدى وهو القرآن الكريم خير كتاب أنزل، وبعث إلينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو خير نبي أرسل، أحسن الهدي هديه كما ثبت في الحديث الصحيح: **(إن أحسن الهدي هدي محمد)** وقال الله تعالى عن القرآن:

[الإسراء: ٩].

○ لهذا كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، لأنها أعظم الأمم هداية.

● الهداية مبناها على العلم الصحيح، واتباع رضوان الله عز وجل بطاعة أمره وتصديق وعده والحذر من طاعة الشيطان وحزبه كما قال الله تعالى:

()

() [الحج: ٣، ٤].

• تولّي الشيطان يكون باتباع خطواته ، وتصديق ما يعدّ به ويميّني ، وفعل ما يزيّنه من المعاصي كما قال الله تعالى :

النساء: ١١٩ ، ١٢٠ .

()

• أخبر الله تعالى أن أعداءه أولياء للشياطين ، وأن **الناس حزبان** : حزب مع الله وحزب مع الشياطين ، وقال :

الأنعام: ١٢١ .

• العداوة الحقيقية بين الإنسان والشيطان قضية كبيرة بينها الله عز وجل لنا أتم بيان ، قال الله تعالى :

الأنعام: ١٤٢ .

• تكرر قوله تعالى : أربع مرات في القرآن الكريم .

• أمرنا الله تعالى أن نتخذ الشيطان عدواً ؛ وبيّن لنا مقاصده ، ولهذا الأمر والبيان آثارهما .

• وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم عداوة الشيطان للإنسان بيانا شافيا ، بل جاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((

• من شأن الشيطان حرصه على الإضلال كما قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ، قال :

القصص: ١١٥ ، وقال تعالى :

()

() ليس: ٦٠ -

()

١٦٢ ، جبلاً : أي خلقاً كثيراً كانوا مجبولين على الفطرة الصحيحة التي فطر الله الناس عليها .

• من آمن بالله واتبع هداه عصمه الله من كيد الشيطان وكفاه وأغناه

الزمر: ٣٦ .

• يحتاج المؤمن إلى اتباع هدى الله في كبير الأمور وصغيرها وحاجته إلى الهداية أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب والنفس ؛ لأن فوزه بالثواب ونجاته من العذاب متوقف على الهداية .

- المهتدون يتفاضلون في الهداية تفاضلاً عظيماً ولذلك أمر الله المسلمين أن يسألوه الهداية مراراً كثيرة في اليوم الواحد فلا تصح صلاة مسلم لا يدعو فيها بدعاء

[الفاتحة: ٤٦].

- ما يعترض الإنسان من عوارض الفتن والمحن والشورور والمعاصي والهموم والأحزان والجهل والشك والحيرة وغيرها هي من الظلمات التي وعد الله المؤمنين أن يخرجهم منها.
- لم يترك الله أمراً يحتاج الناس إلى بيانه إلا بيّنه لهم بما أنزل في كتابه الكريم وبما أرسل به نبيّه صلى الله عليه وسلم، فقد أكمل الله الدين وأتمه كما قال تعالى:

[المائدة: ٢٣].

- لما اجتمع الناس في أعظم جمع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قال لهم في خطبة الوداع العظيمة: ((

((

رواه مسلم من حديث جابر.

- في مستدرك الحاكم وسنن البيهقي وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((
- :
- ((. صححه الألباني.

فضل طلب العلم

- طلب العلم من أفضل القربات إلى الله تعالى.
- العلم أصل كل عبادة، وبيان ذلك أن كل عبادة يؤديها العابد لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله تعالى وعلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومعرفة ذلك تستدعي قدراً من العلم.

- معرفة ما يحبه الله وما يكرهه إجمالاً وتفصيلاً لا تكون إلا بالعلم.
 - الناس متفاضلون في العلم تفاضلاً كبيراً كما قال الله تعالى:
- [يوسف: ١٧٦]، وكلما كان الإنسان أكثر علماً بما ينفع كان أكثر فضلاً.

• تواترت الأدلة ببيان فضل العلم وأهله، وفضل طلبه، ورُتّب على ذلك من الثناء العظيم والثواب الجزيل في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يجعل المؤمن حرياً بأن يكون حريصاً على نيل هذا الفضل العظيم مجتهداً في طلبه.

المجادلة: [١١]،

• قال الله تعالى:

فأسند الرفع إليه جل وعلا وتكفل به، والله لا يخلف وعده.

• قال الله تعالى: [فاطر: ٢٨]، وقال:

طه: [١١٤].

[[الزمر: ٢٩]، وقال:

• في الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

• التفقه في الدين يشمل جميع أبوابه في الاعتقاد والأحكام والأخلاق والآداب والتزكية والجزاء وغيرها.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((

رواه مسلم.

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

.. متفقٌ عَلَيْهِ.

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((

)). رواه أبو داود والترمذي.

○ ذكر ابن عبد البر في التمهيد أن استغفار الملائكة دليل على أن الله يغفر له إن شاء الله ، وقال : (ألا ترى أن طلب العلم من أفضل الأعمال وإنما صار كذلك والله أعلم لأن الملائكة تضع أجنحتها له بالدعاء والاستغفار)١٠هـ.

● أدرك أئمة الهدى من علماء الأمة هذه الحقيقة فاجتهدوا في تعلّم العلم وتعليمه وصبروا على ما أصابهم حتى تبوؤوا المكانة التي رفع الله بها ذكرهم وأعلى شأنهم فكانوا أئمة الدين وأولياء رب العالمين ، وآثارهم في بيان فضل العلم مذكورة مشهورة.

● روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أنه قال : (ما عُبدَ اللهُ بمثلِ الفقه).

● قال مطرف بن عبد الله بن الشخّير: (فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع) رواه الإمام أحمد في الزهد.

● قال سفيان الثوري: (ما أعلم عملاً أفضلَ من طلب العلم وحفظه لمن أراد الله به خيراً) رواه الدارمي.

● وروى ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن عبد الله بن المبارك أنه قال: قال لي سفيان الثوري: (ما يُرادُ الله عزَّ وجل بشيء أفضل من طلب العلم، وما طلب العلم في زمان أفضل منه اليوم)١١هـ.

● نحن اليوم إنما نتعلم مما ورثته لنا أئمة الهدى من العلم روايةً ودرايةً؛ فعنهم نتلقى مسائل الاعتقاد، وعنهم نتلقى مسائل الفقه، وعنهم نتلقى معرفة صحيح الحديث من ضعيفه ومن تقبل روايته ومن ترد، وعنهم نتلقى الأخلاق الفاضلة والتزكية والسلوك.

● من صفات العلماء الربانيين أن يجدهم طالب العلم فيما يحتاج إليه من أبواب الدين أئمةً يقتدى بهم ويتلقى عنهم العلم والهدى.

● روى البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان المرادي أنه قال: سمعت الشافعي يقول: (ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم، قيل له: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل).

● وقال مهنا بن يحيى السلمي: قلت: لأحمد بن حنبل ما أفضل الأعمال؟ قال: (طلب

العلم لمن صحت نيته) قلت: وأي شيء تصحيح النية؟ قال: ينوي يتواضع فيه وينفي عنه الجهل).

- نقل ابن هانئ في مسائله عن الإمام أحمد أنه قال: (العلم لا يعدله شيء).
- نقل النووي في المجموع اتفاق السلف على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن.
- صنّف العلماء في فضل العلم وأهله مصنفات عظيمة النفع جليلة القدر، وأفرد له بعضهم أبواباً في بعض كتبهم فأفرد البخاري في صحيحه كتاب العلم وضمنه باباً في فضل العلم، وكذلك فعل الإمام مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والدارمي وغيرهم كثير.
- ومَن أفرد فضل العلم بالتصنيف: أبو نعيم الأصبهاني، وأبو العباس المُرهبني (أحمد بن علي، من شيوخ أبي نعيم)، وابن عبد البر، وابن القيم، وابن رجب، وغيرهم.
- لا توجد أمة من الأمم اعتنت بتعلم أحكام دينها كعناية هذه الأمة المباركة؛ فإنها قد بلغت فيه غاية لم تبلغها أمة من الأمم قبلها، واختصها الله فيه بخصائص.

التحذير من العلم الذي لا ينفع

- مما ينبغي أن يُعلم أنّ العلم منه نافع وغير نافع، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع؛ فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((
- رواه مسلم.

- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((
- رواه ابن ماجة.

- التعوذ من العلم الذي لا ينفع دليل على أن فيه شراً يجب التحرز منه.
- ينبغي لطالب العلم أن يعتني بالعلم الذي ينفعه في دينه ودنياه، ويحفظ وقته مما لا ينفعه.
- (العلم الذي لا ينفع) فسّر بتفسيرين: أحدهما: العلوم الضارة، والآخر: عدم الانتفاع بالعلوم النافعة في أصلها لسبب أفضى به إلى الحرمان من بركة العلم.
- من العلوم الضارة: السحر والتنجيم والكهانة وعلم الكلام والفلسفة وغيرها.

- العلوم التي لا تنفع كثيرة ومن أبرز علاماتها مخالفة مؤداها لهدي الكتاب والسنة ؛ فكل علم تجده يصد عن طاعة الله أو يزين معصية الله أو يؤول إلى تحسين ما جاءت الشريعة بتقبيحه أو تقبيح ما جاءت الشريعة بتحسينه فهو علم غير نافع.
- الفضول قد يدفع المتعلم إلى القراءة في ما لا ينفع ؛ فيعرض نفسه للافتتان وهو ضعيف الآلة في العلم.
- قال الله تعالى :

النور: ٤٦٣.

- افتتن بعض المتعلمين بعلم الكلام بعد أن كانوا في عافية منه ، وسبب ذلك مخالفة هدى الله تعالى ، واتباع غير سبيل المؤمنين.

المنهجية في طلب العلم

- مناهج طلب العلم كثيرة متنوعة ؛ لكن لها أصول جامعة ينبغي أن لا يخرج عنها طالب العلم ؛ وإلا أضاع وقته وجهده.
- كل من أراد أن يتعلم صنعة من الصنائع فلا بد له أن يصحب أستاذاً فيها يتعلم منه ، ويقوم إذا أخطأ ؛ حتى يشتد عوده في تلك الصنعة.
- من تلبس بلباس أهل العلم وتحدث بلسانهم واستعمل شيئاً من أدواتهم وهو ولم يسلك سبيلهم في تحصيله ورعايته فليس من أهل العلم ، وإنما هو جاهل متعالِم لا يوثق به ولا يأتمنه من يعرف حاله ، بل ما أسهل ما يبين الامتحان كذبه وادعاءه.
- المناهج الصحيحة في التعلم تجتمع في أربعة أمور: الإشراف العلمي ، والتدرج ، والتَّهْمَة في التعلم ، والوقت الكافي.
- يؤخذ العلم شيئاً فشيئاً ؛ على مرّ الأيام والليالي ؛ بالتهمة والمواصلة والصبر تحت إشراف علمي من عالم بصير بطرق التعلم حتى يجتاز الطالب مرحلة المتوسطين في طلب العلم.
- من أراد أن يكون عالماً وهو لم يسلك طريقة أهل العلم في التعلم فإنه لا يحصل مراده ؛ فإن تكلم في العلم وتصدر مع ذلك فهو جاهل متعالِم ضرره أكبر من نفعه.

- سلوك المنهج الصحيح في طلب العلم يفيد طالب العلم في حفظ وقته وجهده ويعرّفه بمعالم كل علم فيأتيه من بابه ويتعلمه على وجهه الصحيح؛ فإن سار فيه وصل ونجح، وإن تذبذب وانقطع لم يصل فيه إلى ما كان يأمل.
- مسارات طلب العلم لدى العلماء متعددة إلا أن لها ثوابت محددة تجمعها، وهي أن كل علم يؤخذ عن أهله ولكل علم مصادره التي ينهل منها العلماء، وأن طالب العلم يحتاج إلى من يرشده بادئ الأمر حتى يصلب عوده ويشتد، فيعرف ما يأتي وما يذر.

المنهج المقترح لدراسة العقيدة

- تعلم علم العقيدة يسير والله الحمد، وإذا سار فيه طالب العلم سيراً صحيحاً، اختصر على نفسه كثيراً من الجهد والوقت.
 - من المهم لطالب علم العقيدة أن يدرس مسائلها بتأنّ وتؤدة، وأن يحرص على حسن فهم المسائل وحفظ أدلتها، ويتعرّف على منهج أهل السنة في تلك المسائل.
 - لو مكث الطالب في الباب الواحد أياماً حتى يضبطه جيداً لما كان كثيراً، لأن الرسوخ في فهمه يعينه على حسن فهم ما بعده من الأبواب.
 - الأصل في منهج دراسة العقيدة حديث جبريل الطويل، وفي آخره قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)، وفيه مراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه: أشرط الساعة.
 - وأوّل ركن من أركان الإسلام: الشهادتان، وبهما يدخل العبد في دين الإسلام؛ فلذلك كان أوّل ما يجب على العبد أن يتعلّمه: التوحيد.
- في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: ((

((. وفي رواية في صحيح البخاري: ((

((.

- اخترنا لكم في البداية رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها لأنها تضمنت حديث جبريل، وإلا لو درس الطالب متناً آخر يفي بهذا المقصد التعليمي لكفاه إن شاء الله.

- إذا درس طالب العلم شهادة أن لا إله إلا الله دراسة جيدة عرف معنى التوحيد وأقسامه وواجباته وآدابه وما يقدر فيه، وعرف معنى العبادة التي يجب إفراد الله تعالى بها، وأنواعها، وأحوال دخول الشرك في العبادة وما يعتبر شركاً وما ليس بشرك، إلى غير ذلك من المسائل المهمة التي دلت عليها كلمة التوحيد العظيمة.
- وإذا درس شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم دراسة جيدة عرف معنى المتابعة وشروطها وواجباتها وآدابها وعرف معنى البدعة وحكمها، وعرف ما ينقض الشهادتين، وعرف مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاعة أو امره واجتناب نواهيه وتصديق أخباره وقبول أحكامه، واعتقاد أن هديه أحسن الهدي في الأمور كلها، وأن محبته مقدمة على محبة النفس والأهل والولد، وعرف أن ما ينافي تحقيق هذه الشهادة فهو مخرج عن دين الإسلام والعياذ بالله.
- الشهادتان أصل الإسلام ومفتاح الدخول فيه، فارتكاب أي أمرٍ ينقضهما يعدُّ ناقضاً من نواقض الإسلام.
- ثم بعد ذلك ينتقل إلى دراسة مراتب الدين فيدرس أركان الإسلام ومنها الشهادتان، وأركان الإيمان وركن الإحسان.
- غالب مسائل الاعتقاد التي يذكرها الأئمة في كتبهم ترجع إلى أركان الإيمان الستة، حتى إن بعض الأئمة يرتب الكلام في أبواب الاعتقاد على ترتيب أركان الإيمان.
- يوصى طالب العلم في المرحلة الأولى بدراسة ثلاثة الأصول وأدلتها أو ما يقوم مقامها مما فيه بيان مراتب الدين وشرح التوحيد وكتاب مختصر في شرح أسماء الله الحسنى.
- وفي المرحلة التالية: كتاب التوحيد والعقيدة الواسطية أو ما يقوم مقامهما.
- وفي المرحلة التي تليها: كشف الشبهات، ونواقض الإسلام، والعقيدة الطحاوية والفتوى الحموية والرسالة التدمرية أو ما يقوم مقام هذه الكتب.
- وفي المرحلة التي تليها يقرأ في كتب الاعتقاد المسندة وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من كتب في الاعتقاد.
- وفي المرحلة التي تليها يوسّع الطالب قراءاته في العقيدة، وليعتن بكتب الأئمة المجددين في

كلّ قرن وما اعترض دعواتهم من فتن الملل والنحل.

- ينبغي أن يُعلم أن المهم هو تحقيق هذه المقاصد التعليمية ؛ وأما المفاضلة بين المتون والكتب التي تعتنى بهذه الموضوعات فهي مما يدخله الاجتهاد واختلاف المسالك ، وإذا عرف الطالب المقصود لم يشغل بمسألة التفضيل بين الكتب والمتون والتذبذب بينها بل كان همه مجتمعا على فهم هذه الموضوعات المهمة ودراسة مسائلها جيداً.
- لا يحسن بطالب العلم الجاد أن يقف كثيراً عند كل ألفاظ المتون حتى يكاد يعربها لأن الإغراق في جزئيات المسائل الجانبية يشغله عن فهم المقصود الذي لأجله يدرس تلك المتون ، ويشتت ذهنه ويضعف تركيزه.
- اعتنِ بهذه المسألة جيداً ، ولتكن عنايتك متوجهة لفهم المقاصد أولاً ، ثم ما تحصّله بعد ذلك من العلم فهو خير على خير.
- مَنْ فقه ذلك سهل عليه أن يدرس في الفن الواحد متوناً كثيرة ، لأنه إذا درس متناً منها فهم مقاصده ومسائله فإذا قرأ متناً آخر في ذلك العلم كانت عنايته متوجهة إلى معرفة ما فيه من زيادة علم ، ولم يكن واقفاً عند رسوم الألفاظ.
- تنوع الاطلاع يحتاجه طالب العلم لكن بعد أن يضبط أصلاً في كل علم.
- من كان يدرس متناً ولا يتمه ثم ينتقل إلى متن آخر وينقطع فإنه يبقى مغبوناً في وقته وجهده محروماً من بلوغ مأموله إلى أن يعاود العزيمة الصادقة فيجتهد في تحصيل العلم على وجهه الصحيح.
- مراعاة التدرج ومتابعة الطلب مهمة جداً لطالب العلم فهي المنهجية الصحيحة في التعلم.
- هذه المتون التي اخترناها لكم هي على سبيل الاجتهاد في التفضيل ، وإلا لو درس الطالب كتباً أخرى تعتنى بتلك الموضوعات وفهم مقاصدها فإنه يكون قد أتى على المطلوب.
- من ابتلي بمخالطة أصحاب ملّة من الملل أو نحلّة من النحل أو تيار فكري فليعتن بقراءة ما كتبه أهل العلم عنها قراءة جيّدة ؛ لأن تعامله معهم فتنة توجب له التيقظ ومعرفة الهدى فيما يعاملهم به.

أهمية دراسة الدعوات الإصلاحية:

• مما يعين على فهم العقيدة فهماً حسناً قراءة تاريخ الدعوات الإصلاحية وسير المجددين من الأئمة.

• القراءة في سير المجددين وكتبهم تعين على فهم دعوة الإسلام كما ينبغي وتُعرفُ طالب العلم بما اعترض القائمين عليها من محن وابتلاءات ، وما جرت به سنة الله تعالى من نصر من ينصر دينه وجعل العقاب لأوليائه.

• من أهم فوائد دراسة سير المجددين وقراءة كتبهم :

○ ١ : التعرف على أسباب نجاح دعوة المجددين وانتفاع الناس بها.
○ ٢ : التعرف على أنواع مكائد أعداء الدين في المكر بها لردّها وإجهاضها وتغيير الناس منها.

○ ٣ : التعرف على مناهج الأئمة في معالجة هذا الأمر ، وما كان هديهم في مواجهة تلك التحديات من أعداء الداخل والخارج ، من المنافقين والكافرين.

○ تأمر الكفار والمنافقين على محاربة دعوة الإسلام الصحيحة يتجدد ويتنوع في كل عصر.
○ غالب مكائد الأعداء ترجع إلى أنواع إذا ضبطها طالب العلم ودرسها جيداً فهم كثيراً من مسائل الدعوة المعاصرة ، وتكشفت له بعض مكائد أعداء الدين اليوم.

○ من تأمل سير أئمة الدين من المجددين الكبار وغيرهم وجد منهم عناية بارزة بسير الأئمة قبلهم ، ومن قرأ كتبهم وجد استشهادهم بحوادث جرت للأئمة قبلهم أمراً ظاهراً.

• هذه المادة لا يحتاج فيها طالب العلم إلى متن يدرسه ، لكن ينبغي له أن يقرأ في هذا العلم أو في هذه المادة التاريخية شيئاً فشيئاً من كتب السير والتراجم وما جمع في سير بعض المجددين من المؤلفات المفردة الخاصة ، يقرأ سيرهم قراءة المعنى بفقّه أسباب نجاح الدعوة وما كان يعترضهم من عقبات وصعوبات وكيف تصدوا لمكائد الأعداء؟

• المقصد الذي يكون في نفس القارئ عند القراءة مهم جداً في انتفاعه من الكتاب ، فالقراءة بغرض الثقافة قد تفيد الطالب في توسيع مداركه وازدياده من المعرفة ، لكنها قد لا توصله إلى فقه ما تُنصر به الدعوة وكيف يكون إمدادها وحسن التدبير لها.

• أوّل ما ينبغي دراسته في ذلك سيرة إمام المجددين صلى الله عليه وسلم ، فقد جعل الله سيرته وهديه نبراساً للأئمة ومشكاة يقتبسون منها الهدى القويم في الملمات والشدائد التي تمر بهم ، بل قلّ أن يمر على عالم موقف من مكيدة الأعداء إلا وجد له أصلاً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

• ثم يدرس سير المجددين بعده من علماء الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى عصرنا هذا.

• وقد روى أبو داود والحاكم في مستدركه وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «

« والحديث صححه جماعة من أهل العلم.

• روى الخطيب البغدادي في تاريخه عن الإمام أحمد أنه قال : (إن الله يقبضُ للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي).

○ لفظ (مَنْ) في الحديث يحتمل الواحد والجماعة ؛ فقد يقوم بالتجديد واحد ، وقد يقوم به جماعة ، وقد نص على ذلك جماعة من أهل العلم.

○ رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «

« وهذا الحديث روي

من حديث أبي أمامة وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم وطرقه فيها ضعف بين.

○ هذا الحديث مختلف في تصحيحه وتضعيفه ، نُقِلَ عن الإمام أحمد أنه صححه ، وصححه ابن القيم رحمه الله باعتبار تعدد طرقه ، ومن أهل العلم من ضعفه ومنهم من حسنه ، لكن معناه صحيح.

○ يؤيده ما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «

○ هذا الحديث يدل على أن حاجة الناس إلى العلم ماسة وضرورية، لأنهم بحاجة إلى السؤال، فإن وجدوا عالماً سألوه وإن لم يجدوا اتخذوا رءوساً جهالاً فسئلوهم، فالحاجة إلى السؤال باقية.

○ ينبغي لطلاب العلم أن يفقهوا هذه المسألة جيداً؛ وهو أنهم اليوم طلاب، وغداً يحتاجهم الأمة؛ فينبغي لهم أن يتأصلوا بالعلم المفيد حتى إذا كانوا في السن والقدر الذي يؤهلهم للإفتاء والتعليم والدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة كانوا من خير من يقوم بهذا الأمر.

○ قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه في أواخر حياته: (لو كنت أعلم أنكم تحتاجون إليّ لتفقهتُ لكم) وهو من فقهاء الصحابة رضي الله عنه لكنه أراد أن يزداد من التفقه لأجل أن ينفعهم ويزداد من الخير بنشر العلم النافع.

● كلام العلماء في تعيين المجددين كثير وفيه اختلاف كبير، لكن من المجددين من عرف لهم كبير أثرهم في الأمة ولهم دعواتهم الإصلاحية الظاهرة ومن أشهر هذه الدعوات دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ودعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

ترجمة المؤلف رحمه الله

- هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي.
- ولد في بلدة العيينة من قرى نجد، سنة ١١١٥هـ.
- نشأ نشأةً صالحه فحفظ القرآن قبل بلوغه عشر سنين، وتلمذ على والده قاضي العيينة.
- ظهرت عليه أمارات النبوغ من حدة الذهن وقوة الحفظ وحسن الفهم وعلو الهمة.
- قرأ على صغر سنه كتباً كثيرة في التفسير والحديث والاعتقاد والفقه وغيرها.
- رحل في طلب العلم إلى الحرمين والأحساء والبصرة والزيبر.
- كان سريع الكتابة حادّ الذكاء قوي الحفظ جاداً مقبلاً على العلم والعمل.
- أقبل على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ففهم مقاصدها واختصر بعضها.
- أسفّ لما آل إليه حال الناس من غربة الدين وانتشار الشرك والجهل حتى عبّدت الأشجار والأحجار والقبور والجن.
- اتفق مع أمير الدرعية محمد بن سعود على الدعوة إلى التوحيد ونصرة الدين بالحجة والسنن، وتبايعا على ذلك.
- أقام مدرسة لتعليم التوحيد وعلوم الشريعة وألف لهم المناهج ورثب لهم الدروس فوفد إليه طلاب العلم وانتشرت دعوة الشيخ المباركة.
- كاتب الشيخ العلماء والأمراء والوجهاء وأقام الحجج وكشف الشبه.
- استجاب لدعوة الشيخ طائفة من الناس وأيدوه وناصروه، واستنكف آخرون وعادوه وأذوه، واجتهدوا في تنفير الناس عنه ورميه بالعظام.
- رفعت راية الجهاد بعد عام ١١٥٨هـ ففتح الله لهم القلوب والبلاد وأعلى الله كلمته ونصر أوليائه ودحض الشرك وأهله.
- كان الشيخ متولياً أمانة بيت المال وأمور السلم والحرب، وفي عام ١١٨٨هـ تركهما وانقطع للعبادة والتعليم إلى أن توفاه الله عز وجل في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ فرحمه الله رحمة واسعة وألحقه بال صالحين، وجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها

- المؤلف له رسالة أخرى باسم: (الأصول الثلاثة) أكثر اختصاراً من هذه الرسالة مطبوعة ضمن مجموع مؤلفاته، حذف منها بعض العبارات، وحديث جبريل الطويل.
- رسالتا المسائل الأربع والمسائل الثلاث أُلحقتا برسالة ثلاثة الأصول، وليست منها في الأصل كما نبه إلى ذلك شيخنا الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله.
- كان هذا التصرف سبباً مباركاً في كثرة تدريس هاتين الرسالتين الوجيزتين النافعتين.
- هذا الدليل هو لشرح رسالة **(ثلاثة الأصول وأدلتها)**، وهذه الرسالة مشهورة متداولة وقد طبعت كثيراً وشرحها كثير من أهل العلم في بلادنا، بل جعلوها من أول ما يبدؤون به تعليم العقيدة.
- **والأصول الثلاثة:** هي معرفة الله ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
- كان الشيخ رحمه الله يكرر تأليف هذه الرسالة ويلقنها للعامة، وفي بعض نسخها اختلاف يسير وموضوعها واحد.
- منها رسالة باسم (الأصول الثلاثة) طبعت من دون المسائل الأربع والمسائل الثلاث وليس فيها حديث جبريل الطويل وبينها وبين هذه النسخة اختلاف يسير.
- ومنها رسالة أكثر اختصاراً باسم (أصول الدين الثلاثة) أدخل في بعضها ألفاظاً عامية ليقربها للعامة.
- من تلاميذ الشيخ والمعتنين بتدريس هذه الأصول الثلاثة من اختصرها وصاغها بأسلوب السؤال والجواب كما فعل ذلك الشيخ: عبد العزيز بن محمد أبو حبيب الشثري وعلق عليها حاشية يسيرة وأسمى كتابه (المصقول في التعليق على مختصر ثلاثة الأصول) وقد اعتنى بنشرها حفيده الشيخ سعد بن ناصر الشثري حفظه الله.
- هذه الرسالة غلب عليها اسم (ثلاثة الأصول) حتى صار علماً عليها.
- هذه الإضافة (ثلاثة الأصول) صحيحة فصيحة، وهي مستعملة في نجد إلى اليوم.
- قال المبرد في المقتضب: (تقول: هذه ثلاثة أثوابٍ؛ كما تقول: هذا صاحب ثوبٍ؛

فإن أردت التعريف قلت: هذه ثلاثة الأثواب، كما تقول: هذا صاحب الأثواب؛ لأن المضاف إنما يعرفه ما يضاف إليه فيستحيل هذه الثلاثة الأثواب؛ كما يستحيل هذا صاحب الأثواب، وهذا محال في كل وجه، ألا ترى أن ذا الرمة لما أراد التعريف قال:

أمنزلتي مَيِّ سَلامٌ عليكما هل الأزمن اللائي مضمين رواجع

وهل يرجع التسليم أو يدفع البكا ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع

وقال الفرزدق:

ما زال مُذَّ عَقَدَتْ يَداهُ إِزارَه ودنا فأدرك خمسة الأشبار

فهذا لا يجوز غيره)ا.هـ.

○ ذكر الحريري في "أوهام الخواص" أنهم يقولون: ما فعلت الثلاثة الأثواب؛ فيعرفون الاسمين ويضيفون الأول منهما إلى الثاني؛ قال: (والاختيار أن يعرف الأخير من كل عدد مضاف، فيقال: ما فعلت ثلاثة الأثواب؟ وفيم انصرفت ثلاثمائة الدرهم؟).

• الأصول جمع أصل وهو ما بُنِيَ عليه، وسميت ثلاثة الأصول بهذا الاسم لأنه الدين مبني على معرفتها.

أهمية رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها

- كان الشيخ يلقن الطلبة والعامه هذه الرسالة ليدرسوها ويحفظوها ويعقلوا معانيها.
- الأصول الثلاثة هي: معرفة العبد ربه جل وعلا، ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
- هذه الأصول الثلاثة هي المسائل الثلاث التي يسأل عنها العبد في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الميت ليسمع حَقَّقْ نعالهم إذا وُلِّوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، مَنْ رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ؟ ومن نَبِيِّكَ؟).
رواه أبو داود وغيره.

• جميع مسائل الدين ترجع إلى هذه الأصول الثلاثة.

الدرس الثاني: شرح المسائل الأربع (٢/١)

قال رحمه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:
 الأولى: العِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَوْلَى.
 الثَّانِيَّةُ: الْعَمَلُ بِهِ.
 الثَّلَاثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.
 الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَدَى فِيهِ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: () ()

() [العصر: ١ - ٣]

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (هَذِهِ السُّورَةُ لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هِيَ لَكَفَتْهُمْ).
 وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
 [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).

عناصر الدرس:

- مقدمات الدرس
- شرح البسمة
- شرح قول المؤلف: (اعلم رحمك الله)
- شرح قول المؤلف: (يجب علينا تعلم أربع مسائل...)
- بيان مراتب الجهاد وصلتها بالمسائل الأربع
- شرح المسألة الأولى وهي العلم

- حكم طلب العلم
- فضل العلم
- وجوب الإخلاص في طلب العلم
- شرح المسألة الثانية: وهي العمل به
 - عظم شأن العمل بالعلم
 - حكم العمل بالعلم
 - ذم من لا يعمل بعلمه
 - بيان أن ذم من لا يعمل بعلمه لا يختص بالعلماء
 - هدي السلف في العمل بالعلم

مقدمات الدرس:

• كان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يعتني بتعليم طلابه الأصول الثلاثة وهي معرفة الله ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، وكان يلقتها للطلبة والعامّة حتى يحفظوها ويعقلوها معانيها.

• كرر تأليفها مراراً وبين النسخ اختلاف في العبارات وفي بعضها عبارات عامية لأنه كان يلقتها للعامّة لتصحيح فهمهم لمبادئ الإسلام وأصول الدين، لأن الشرك في زمنه كان قد فشا وانتشر واستفحل أمره بسبب الجهل وعلماء السوء وأهل البدع من الصوفية وغيرهم.

• قال محمد بن غييب وعبد الله بن عيدان وهما من تلاميذ الشيخ في رسالتهما إلى عبد الله المويس: (الباعث للكتاب إخبارك عن ديننا قبل أن يُجعل هذا الشيخ لهذا القرن يدعوهم إلى الله وينصح لهم ويأمرهم وينهاهم حتى أطلع الله به شمس الوحي وأظهر به الدين وفرق به أهل الباطل من السادة والكهان والمرتشين فهو غريب في علماء هذا الزمان هو في شأن وهم في شأن آخر، رفع الله له علم الجهاد فشمر إليه؛ فأمر ونهى ودعا إلى الله تعالى، ونصح ووفى بالعهد لما نقضوه، وشمر عن ساعد الجد لما تركوه، وتمسك بالكتاب المنزل لما نبذوه؛ فبدعوه وكفروه).

• وقالوا: (فديننا قبل هذا الشيخ المجدد لم يبق منه إلا الدعوى والاسم؛ فوقعنا في الشرك؛ فقد ذبحنا للشياطين، ودعوننا الصالحين، ونأتي الكهان، ولا نفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنة والبدعة..) إلخ ما قالوا.

• من عرف حال الناس في زمان الشيخ قبل هذه الدعوة المباركة عرف قيمة هذه الدعوة، وعظيم نفعها، وجلالة قدرها، وفهم سبب عناية الشيخ رحمه الله بتقرير هذه المسائل.

• ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع من كتبه أثراً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية).

○ معرفة حال أهل الجاهلية مهم لطالب العلم المعني بأمر الدعوة إلى التوحيد.

بدء المؤلف رسالته بالبسملة

• البدء بالبسملة من سنن الأنبياء.

○ قال الله تعالى :

النمل : ٢٩.

○ قال ابن عاشور: (والمظنون أن سليمان اقتدى في افتتاح كتابه بالبسملة بسنة موروثه

من عهد إبراهيم).

• وفيه اتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم في مكاتباته ومراسلاته ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل وبدأ بالبسملة.

• حديث: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم أقطع) ضعيف جداً، رواه الخطيب البغدادي في كتاب الجامع في أخلاق الراوي والرهائي في الأربعين من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

○ ورواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه بلفظ: (كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبت) أو قال: (أقطع).

○ ومن أهل العلم من حسنه كالسيوطي والعجلوني، وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة أنه ألف فيه جزءاً، وضعفه الألباني وجماعة من أهل العلم، وقال الدارقطني: الصحيح عن الزهري مرسلًا.

• ذكر بعض الشراح أن المؤلف ابتداء بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وفي هذا الاستدلال نظر، إذ لو بدأ متحدث حديثه بالحروف المقطعة اقتداء بالكتاب العزيز لعدَّ مبتدعاً.

بيان معنى البسملة

- البسملة اسم لكلمة (باسم الله) صيغ على طريقة النحت.
- (بسم) الباء للاستعانة والتبرك، و(اسم) مفرد مضاف فيعم جميع الأسماء الحسنى.
- حذفت الألف رسماً تبعاً لحذفها لفظاً للكثرة.

- متعلق الجار والمجرور محذوف ويقدر بفعل يناسب المقام نحو: أَكْتُبُ، أو أَعْلَمُ
 - يصح أن يقدر المتعلق اسماً كما دل عليه قوله تعالى:
- [هود: ٤١]، ويصح تقديره فعلاً كما دل عليه قوله تعالى:

[العلق: ١].

- الاستعانة بالله وشهود منته وطلب حفظه وتسديده من أسباب تمام العمل ونجاحه؛
- فينبغي للمعلم أن يستحضر معاني البسملة وأن تمام الأمر إنما هو بحول الله وقوته ومنته
- والعبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله.

• (الله) عَلَّمَ على الباري جل وعلا.

- قال سيويوه: (الله) أعرف المعارف.
- قال بعض علماء اللغة: أصله (الإله)، وهو فِعَالٌ بمعنى مفعول.
- المألوه هو المعبود الذي تأله الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً.
- هذا الاسم هو الجامع لجميع صفات الكمال والجلال والجمال، ويدل عليها بالتضمن واللزوم.

- وهو اسم مختص بالله جل وعلا، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى إليه ولا يضاف إليها؛
- فيقال: الرحمن والرحيم والغفور من أسماء الله، ولا يقال العكس.
- (اللهم) معناها يا الله، زيدت الميم عوضاً عن النداء، ولذلك لا تقال إلا في الدعاء.
- (الرحمن) أي ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء.

• (الرحيم) الذي يرحم من يشاء من خلقه.

○ جميع ما في الكون من خير فهو من آثار رحمة الله.

○ الهداية للحق من آثار الرحمة الخاصة.

- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (الرحمن) دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه،
- و(الرحيم) دال على تعلقها بالرحوم؛ فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال
- على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا
- فتأمل قوله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيماً)، (إنه بهم رؤوف رحيم) ولم يجئ قط رحمن

- بهم، فعلم أن (رحمن هو الموصوف بالرحمة، و(رحيم) هو الراحم برحمته).
- اقتصر المؤلف على البسمة اختصاراً لئلا يطيل على القارئ بالخطبة، ولأن البسمة من أبلغ الذكر والثناء.

شرح قول المؤلف: (اعلم رحمك الله)

- البدء بهذه الصيغة (اعلم) فيه تنبيه للقارئ، والدعاء له فيه تल्पف.
- استرعاء انتباه الطلاب والسامعين من سمات المعلم والداعية المؤثر.
- الرفق بالطالب والنصح له من سمات العالم الرباني.
- مبنى الدعوة والتعليم على الرحمة والنصح.
- العلم: إدراك المعلوم.
- الفرق بين العلم والمعرفة أن المعرفة مسبوقة بجهل أو غفلة غالباً، وقد تطلق على لازمها.
- قوله: (رحمك الله) دعاء للطالب بالرحمة، ومن رحمة الله بطالب العلم أن يوفق لحسن الفهم، ويتفهم بما يقرأ ويسمع، وأن يغفر له الذنوب التي يحرم بسببها التوفيق.
- المغفرة من آثار الرحمة؛ فالرحمة أعم من المغفرة.

شرح قول المؤلف: (يجب علينا تعلم أربع مسائل...)

- قوله: (يجب علينا) فيه تنبيه آخر للقارئ ليعتني بمعرفة ما يجب عليه.
- الوجوب هنا يراد به الوجوب العيني.
- هذه المسائل الأربع هي منهاج حياة المسلم.
- يتفاضل الناس في تحقيق هذه المسائل على درجات كثيرة.
- ينبغي لطالب العلم أن يأخذ بنصيب وافر من هذه المسائل.
- كان الشيخ رحمه الله يعتني بذكر الأعداد في رسائله من باب التعليم والإعانة على الحفظ والضبط فله المسائل الأربع، والمسائل الثلاث، والأصول الثلاثة والأصول الستة وغيرها.
- ذكر الأعداد له فائدة تعليمية وهو منهج نبوي في التعليم، وفي الأحاديث الصحيحة:

((..)) ، ((..))

وغير ذلك من الأحاديث.

- ذكر العدد يعين على الضبط والحفظ والاستذكار.
- هذه المسائل يجب على المسلم أن يجاهد نفسه عليها.

مراتب الجهاد

- مراتب الجهاد كما ذكرها ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد أربعة: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.
- جهاد النفس أربع مراتب أيضاً هي: العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه، وهي المسائل الأربع التي هي موضوع هذا الدرس.
- قال ابن القيم: (فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين، فإن السلف مُجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويُعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السموات).
- وجهاد الشيطان مرتبتان: جهاده على دفع الشبهات، وجهاده الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر.
- وجهاد الكفار والمنافقين أربع مراتب: بالقلب واللسان والمال والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.
- وجهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات ثلاث مراتب: الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز، انتقل إلى اللسان، فإن عجز، جاهد بقلبه.
- قال ابن القيم: (فهذه ثلاثة عشر مرتبةً من الجهاد، و"مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ التَّفَاقُ" اهـ وهو كلام نفيس سديد.
- من تأمل هذه المراتب تبين له منهاجه في الحياة؛ وحرص على إحسان الجهاد بهذه المراتب على هدي الكتاب والسنة، وقد قال الله تعالى:

[الحج: ١٧٨] الآية.

• الأمر بالجهاد في أي نوع من أنواعه لا يجب فيه على المكلف إلا ما يستطيع كما قال الله تعالى: **﴿التغابن: ١١٦﴾** وهذا يقطع على النفس عذر المشقة واستصعاب القيام بهذه الأمور.

• كل من يقوم بواجبه في ذلك من المؤمنين في أي نوع من أنواع الجهاد فهو من جند الله وحزبه، وهذا هو التجنيد الصحيح بل هو أفضل التجنيد، وهو أن تكون جندياً لله تعالى فتعمل بمرضاة الله وتنال محبته ورضوانه وفضله العظيم.

• شرف الله جنده ووعدهم بالنصر والتمكين ونسبهم إليه جل وعلا نسبة تشریف فقال تعالى: **﴿ () () ﴾**

[[الصفات: ١٧١ - ١٧٣]].

• من أهم صفات الجندي الطاعة والتسليم والعمل بما يكلف به، واستشعار مسؤولية العمل الذي استعمل عليه، وهذه الصفات مقررة في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة.

• تأمل الفرق العظيم بين من جند نفسه لله، ومن جند نفسه لهواها وللشيطان وللطواغيت.

• ومن أبي أن يكون جندياً لله تعالى فقد جند نفسه لغيره شاء أم أبى.

• الجندي لله تعالى **مرتبطة بهذه المسائل الأربع**: العلم والعمل والدعوة والصبر.

• هذه المسائل الأربع ليست أعمالاً يؤديها الإنسان في مدة يسيرة ثم يتركها، بل هي منهاج حياته ما دام في دار الابتلاء؛ فهو مطالب بها إلى أن يتوفاه الله عز وجل أو يرتفع عنه التكليف.

• لا ينبغي أن تكون دراستنا للمتون العلمية دراسة نظرية نستكثر بها من المعلومات فحسب، وإنما التعلم الصحيح أن نجعلها منهجاً علمياً وعملياً نمثله في حياتنا، وأن تكون حياتنا لله، وهمتنا لإعلاء كلمة الله، ورسالتنا أن نحيا في سبيل الله ونموت في سبيل الله **﴿ () ﴾**

[[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]].

شرح المسألة الأولى وهي العلم

- المراد بالعلم هنا العلم الشرعي.
- عرف العلم الشرعي بأنه معرفة الله ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

- شرح هذا التعريف هو موضوع رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها.
- معرفة الله تكون بالإيمان به وعبادته وحده لا شريك له.
- سبيل معرفة الله : التفكير في آيات الله المتلوّة وآياته الكونية.
- روى ابن حبان في صحيحه عن طلحة بن خراش يحدث عن جابر بن عبد الله أن (رجلاً قام يركع ركعتي الفجر وقرأ في الركعة الأولى

[الكافرون : ١]

حتى انقضت السورة فقال النبي)) «، وقرأ في الآخرة

[الإخلاص : ١] حتى انقضت السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم :))

« قال طلحة : وأنا أحب أن أقرأ بهاتين السورتين في هاتين الركعتين).

- قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله في كتاب تعظيم قدر الصلاة : (من عرف ربه واعترف به أوجبت معرفته حبه وهيبته ورجاءه وخوفه ، والدليل على ذلك أنه لو أعطى الدنيا كلها على أن تكفر به أو تكذب عليه ما فعل).هـ.
- ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم تكون بالإيمان به واتباع هديه.
- ومعرفة دين الإسلام تكون بتعلم العلم الشرعي الذي مبناه على آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فهي الأدلة على دين الإسلام.
- يطلق لفظ الإسلام على معانٍ ثلاثة :

○ المعنى الأول : الإسلام الكوني العام ، ويراد به خضوع جميع المخلوقات لأمر الله الكوني كما في قوله تعالى :

آل عمران :

.٤٨٣

○ المعنى الثاني : الإسلام الشرعي العام وهو دين الأنبياء جميعاً ويراد به توحيد الله تعالى وإفراجه بالعبادة كما في جاء آيات كثيرة عن عدد من الأنبياء أنهم من المسلمين ، وكما في

قوله تعالى :

[المائدة : ٤٤].

○ المعنى الثالث : الإسلام الشرعي الخاص وهو الشريعة المحكمة التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي المرادة في قوله تعالى :

[المائدة : ٢٣]

وقوله : [آل عمران : ١٨٥] ، وهو المراد هنا.

- الدليل هو طريق العلم والمرشد إليه ، والأدلة على قسمين : سمعي وعقلي .
- الأدلة السمعية : التي مستندها الثبوت بالتلقي سماعاً أو ما يقوم مقام السماع ، وهي أدلة الكتاب والسنة والإجماع .
- الأدلة العقلية : هي التي مستند ثبوتها العقل والنظر .

حكم طلب العلم

- قال الإمام أحمد : (يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه) قيل له : مثل أي شيء؟ قال : (الذي لا يسعه جهله صلواته وصيامه ونحو ذلك).
- يجب على العبد أن يتعلم ما يؤدي به الواجب ويكف به عن المحرم ويتم به معاملاته .
- ما زاد على القدر الواجب من العلوم الشرعية فهو فرض كفاية على الأمة .
- قال سفيان بن عيينة : (طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويجزئ فيه بعضهم عن بعض) وتلاه هذه الآية

[التوبة : ١٢٢].

- قال ابن عبد البر : (قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه ، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع).

فضل العلم

[المجادلة : ١١] ،

● قال الله تعالى :

[فاطر : ٢٨] ، وقال :

وقال :

[الزمر : ٩].

- عن معاوية رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((متفقٌ عَلَيْهِ.))

وجوب الإخلاص في طلب العلم

- في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذكر أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ، وذكر منهم رجلاً جمع القرآن ليقال: قارئ.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((

« يَعْني : رِيحَهَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح

- قال مالك بن دينار: (مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِالْعَمَلِ كَسَرَهُ عِلْمُهُ ، وَمَنْ طَلَبَهُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ زَادَهُ فَخْرًا).
- قال مطر الوراق: (خَيْرُ الْعِلْمِ مَا نَفَع ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ مَنْ عِلِمَهُ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ ، وَلَا يَنْفَعُ بِهِ مَنْ عِلِمَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ).

شرح المسألة الثانية: وهي العمل به

عظم شأن العمل بالعلم

- العمل بالعلم شأنه عظيم فثواب العاملين بالعلم ثواب عظيم كريم كما قال الله تعالى:

[الزمر: ١٧٤].

- وعقوبة تاركي العمل عظيمة شنيعة والقوارع عليهم في الكتاب والسنة شديدة كما قال

[البقرة:

الله تعالى:

، [٤٤] ، وقال تعالى:

()

() [الأعراف: ١٧٥ ، ١٧٦].

- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

))

:

((متفق عليه.

:

- عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((

:

((رواه الترمذي وقال:

حديث حسن صحيح.

- وعن أبي برزة أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

((رواه البزار وصححه

الألباني.

حكم العمل بالعلم

- الأصل في العمل بالعلم أنه واجب، وأن من لا يعمل بعلمه مذموم بكل حال، وعند التفصيل نجد أن العمل بالعلم على درجات.
- الدرجة الأولى: ما يلزم منه البقاء على دين الإسلام وهو التوحيد واجتناب نواقض الإسلام، والمخالف في هذه الدرجة كافر غير مسلم.
- والدرجة الثانية: ما يتأكد وجوب العمل به كالفرائض واجتناب الكبائر، والمخالفة في هذه الدرجة فاسق من عصاة الموحدين.
- الدرجة الثالثة: ما يستحب العمل به وهو نوافل العبادات واجتناب المكروهات.
- من علم وجوب فريضة من الفرائض وجب عليه أداؤها، ومن علم تحريم شيء من المحرمات وجب عليه اجتنابه.
- من العمل بالعلم ما هو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.
- يجب على طالب العلم أن يكون حريصاً على أداء الواجبات واجتناب المحرمات هذا في المقام الأول، ثم يؤدي من السنن والمستحبات ما ييسر له ويفتح الله له به عليه.

ذمُّ من لا يعمل بعلمه

- قال الله تعالى:

[البقرة: ٤٤].

- وقال:

الآية.

- وقال:

()

... [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] الآية.

- في حديث أبي هريرة في أول من تسعر بهم النار أنه يقال لقارئ القرآن: ماذا عملت فيما علمت.

- لأهمية هذا الأمر أفرد بعض العلماء بالتأليف، فكتب الحافظ ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) رسالة (ذم من لا يعمل بعلمه) وألف الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) كتاب (اقتضاء العلم العمل).

- أفرد له ابن عبد البر فصلاً في جامع بيان العلم وفضله، وقبله الآجري في أخلاق العلماء، وكذلك ابن رجب في فضل علم السلف على علم الخلف، وابن القيم في مفتاح دار السعادة.

- قال أبو إسحاق الألبيري:

وإن أوتيت فيه طويل باع وقال الناس إنك قد سبقت
فلا تأمن سؤال الله عنه بتويخ علمت فهل عملت

بيان أن ذم من لا يعمل بعلمه لا يختص بالعلماء

- من الخطأ أن يظن أن أحاديث الوعيد في ترك العمل بالعلم خاصة بالعلماء وطلاب العلم.

- كل من علم حكماً شرعياً وجب عليه العمل بمقتضاه، واستحق الذم على ترك العمل به إذا تركه.

هدي السلف في العمل بالعلم

- كان من هدي أئمة الدين رحمهم الله الحرص على العمل بالعمل.
 - قال الإمام أحمد: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به.
 - وقال سفيان الثوري: ما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط إلا عملت به ولو مرة واحدة.
 - وقال عمرو بن قيس السكوني: إذا سمعت بالخير فاعمل به، ولو مرة واحدة.
 - وعن وكيع والشعبي وإسماعيل بن إبراهيم بن مجمع أنهم قالوا: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به.
- إذا وطن طالب العلم نفسه على العمل بما يتعلمه من العلم، ولو مرة واحدة، كان ذلك تدريباً له وتعويداً على العمل.
- النفس إذا عودت على أمر تعودت عليه وسهل عليها، فتتعود نفسه على العمل، ويترقى بذلك في مراقي العبودية، ولا يزال العبد يزداد بذلك من التوفيق والفضل العظيم، ويجد من البركة في حياته وأعماله ما هو من ثمرات امتثاله واحتسابه في العمل بما تعلم، نسأل الله من فضله.
- قال مالك بن دينار رحمه الله: (ما من أعمال البر شيء، إلا ودونه عقوبة، فإن صبر صاحبها، أفضت به إلى روح، وإن جزع رجع).
- أعظم ما يعين على العمل بالعلم أن يربي الإنسان نفسه على اليقين والصبر، ولذلك تجد الإنسان لا يعصي الله تعالى إلا حين يضعف يقينه ويضعف صبره.
- اليقين يبصر صاحبه بعظيم العقاب على المعاصي فلا يقدم عليها صاحب لب، ويبصره بعظيم الثواب على الطاعات فلا يفرط فيها إلا مغبون.
- يدل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم عن المنافقين في شأن صلاتي الفجر والعشاء: (ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً).؛ فكان ضعف العلم اليقيني بالثواب سبباً في زهدهم فيه.

الدرس الثالث: شرح المسائل الأربع (٢/٢)

قال رحمه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:
 الأولي: العلمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.
 الثانيَّة: العَمَلُ بِهِ.
 الثالثيَّة: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.
 الرابعة: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.
 والدليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: () ()

() () العصر: ١- ٣

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (هَذِهِ السُّورَةُ لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هِيَ لَكَفَّتْهُمْ).
 وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
 [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).

عناصر الدرس:

• شرح المسألة الثالثة: وهي الدعوة إليه

○ فضائل الدعوة إلى الله تعالى

○ شروط الدعوة

○ شروط الدعوة

○ أنواع الدعوة

○ وسائل الدعوة

○ آداب الدعوة

○ مقاصد الدعوة

○ تفسير قول الله تعالى:

الآية.

- شرح المسألة الرابعة وهي الصبر
 - معنى الصبر
 - منزلة الصبر
 - أنواع الصبر
 - حكم الصبر
 - حاجة الداعية إلى الصبر
- تفسير سورة العصر
- شرح قول الشافعي رحمه الله: (هَذِهِ السُّورَةُ لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هِيَ لَكَفَّتْهُمْ).
 - ترجمة الإمام الشافعي رحمه الله
 - شرح قول البخاري رحمه الله: (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).
 - ترجمة الإمام البخاري رحمه الله
 - شرح قوله: (العلم قبل القول والعمل)

شرح المسألة الثالثة: وهي الدعوة إليه

- مرجع الضمير في قوله: (الدعوة إليه) إلى العلم الذي عمل به.

فضائل الدعوة إلى الله تعالى

- هي عمل الرسل والأنبياء الذي شرفهم الله به ، والداعي إلى الله تعالى بعلم وارث
للأنبياء متبع سبيلهم قال الله تعالى :

[يوسف : ١١٨] ، وقال تعالى :

[الحج : ١٦٧] ، وقال تعالى :

[النحل : ١٢٥] ، وقال تعالى :

[آل عمران : ١١٤] ، وقال :

[فصلت : ١٣٣].

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي يوم
خيبر:))

« متفق عليه.

- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((
« رواه مسلم.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((

« رواه مسلم.

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: ((
« رواه الترمذي

○ قال أبو سليمان الخطابي: (قوله: ((معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة

والبهجة).

- تنبيه: إنما ينتفع بالدعوة إلى الله تعالى من ابتغى بدعوته وجه الله ، وأما المرآئي والذي لا

يريد إلا الحياة الدنيا فسعيه باطل

()

[هود: ١٥ ، ١٦].

شروط الدعوة

• أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه ، وعلى بصيرة بصحة طريقة الدعوة ، وعلى بصيرة بحال المدعو فيدعوه بما يناسب حاله ، قال علي بن أبي طالب : (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) رواه البخاري ؛ فلذلك تجب مراعاة المصلحة الشرعية في الدعوة إلى الله تعالى .

أنواع الدعوة

• من أنواع الدعوة : دعوة الكفار إلى الإسلام ، ودعوة المسلم إلى مزيد من الهداية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم الشرعي ، والنصيحة لكل مسلم كل ذلك من أنواع الدعوة إلى الله تعالى .

وسائل الدعوة

• ينبغي للداعية أن يعتني بما ييسره الله له من وسائل الدعوة وهي كثيرة متنوعة والله الحمد ، وأوّل ذلك أن يتمثل الداعية ما يدعو إليه فيكون إماماً يؤتم به ويقتهى به في الخير ، ومن أكثر ما يؤثر في المتعلمين قيام المعلمين بما يقتضيه العلم ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس عملاً وخير الناس دعوة كما كان أحسنهم علماً .

• من وسائل الدعوة : إلقاء الخطب والدروس والمواظع وكتابة المقالات والرسائل وتأليف الكتب النافعة واستخدام تقنيات العصر في الدعوة إلى الله كالإذاعات والفضائيات ومواقع الانترنت وغيرها .

• من فُتح له في وسيلة من الوسائل فليعتن بها لعلها تكون سبباً موثقاً له إلى رضوان الله تعالى وجنات النعيم ، وأحبّ العمل إلى الله أدومه وإن قلّ .

حكم الدعوة

• الدعوة إلى الله تعالى فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقي لقوله

تعالى :

آل عمران : ١٤ ، وقوله :

التوبة : ١٢٢ .

• هذا الحكم من حيث الأصل ، وقد تتعين في أحوال :

○ فمن رأى منكراً وجب عليه تغييره بيده ؛ فإن لم يستطع فلبسانه ؛ فإن لم يستطع فبقلبه .

○ ومن سئل عن علم وجب عليه بيانه وحرم كتمانها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((رواه أبو داوود والترمذي من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

○ ومن استنصحه أخوه المسلم وجبت عليه نصيحته .

○ وكذلك إذا دعت الحاجة إلى البيان لم يجز تأخيرها .

آداب الدعوة

• من آداب الداعية في نفسه : أن يكون ممثلاً ما يدعو إليه ، ملتزماً تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً ، متحلياً بكمكارم الأخلاق مجتنباً مساوئها ، فإن وقع في شيء من المعاصي والتقصير بادر إلى التوبة والاستغفار وإتباع السيئة الحسنة .

• من آداب الداعية في دعوتها : أن يبدأ بالأهم ، وأن يحدث الناس بما يناسب أفهامهم ، ويستعمل الحكمة في جميع أموره فيلين في موضع اللين ، ويغلظ حين يحسن أن يغلظ ، وإذا وعظ أحسن الموعظة واقتصد فيها فلا يكثر فيملهم ولا يجفوا فيطول عليهم الأمد فتفسو قلوبهم ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا الموعظة في الأيام كراهة السامة علينا) متفق عليه .

• الداعية عرضة للخطأ والتقصير وغير معصوم من الوقوع في الذنوب ومخالفة السنة ، ولذلك يوصى بالاستغفار والتوبة ومحاسبة النفس وقبول النصيحة وأن لا يمنعه وقوعه في الذنب عن مواصلة الدعوة .

○ قيل للحسن البصري : إن فلاناً لا يعظُ ويقول : أخاف أن أقول ما لا أفعل ، فقال

الحسن: (وأينما يفعل ما يقول، ودَّ الشيطان أنه ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر).

- وقال مالك عن ربيعة: قال سعيد بن جبير: (لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر).
- قال مالك: وصدق! ومن ذا الذي ليس فيه شيء.
- قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى:

[البقرة: ١٤٤]: (فَكُلُّ من الأمر بالمعروف وفعله

واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها. والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف، وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه). ا.هـ.

مقاصد الدعوة:

- المقصد الأول: إقامة حجة الله تعالى على خلقه كما قال الله تعالى:

[النساء: ١٦٥].

- المقصد الثاني: براءة ذمة الداعية والإعذار إلى الله بامثاله أمر الدعوة وقيامه بما وجب عليه كما دل عليه قوله تعالى:

[الأعراف: ١٦٤]؛ فقدموا المقصد الأول وهو

الإعذار إلى الله تعالى وبرائة ذمتهم.

- المقصد الثالث: رجاء أن ينتفع المدعو بالدعوة فيستجيب لما ينجيهِ من العذاب ويوفى بسببه لنيل الثواب كما دل عليه قوله تعالى في الآية السابقة:

[الأعراف: ١٦٤].

- فقه مقاصد الدعوة يفيد في الحكم على وسائل الدعوة المعاصرة فما كان منها يحقق هذه المقاصد فهو من الوسائل المشروعة، وكل وسيلة تتضمن محذوراً في نفسها أو يترتب عليها مفسدة أعظم فإنها لا تحقق مقاصد الدعوة.

تفسير قول الله تعالى:

... الآية النحل:

.١٢٥

- للدعوة مراتب بعضها مقدم على بعض ؛ فمن كانت تجدي معه الموعظة الحسنة فلا يحسن أن يجادل ، لأنه مستجيب منقاد للحق ليس لديه شبهة تمنعه من الانقياد له ، وإنما يذكر لتنفعه الذكرى.
- وأما من كانت لديه شبهة تصده عن الحق فهذا ينتقل معه إلى مرتبة المجادلة والتي هي أحسن.
- وأما الظالمون المعتدون فيعاملون بما يجرهم أو يخفف شرهم مع القدرة ومراعاة الحكمة والمصلحة الشرعية المرجوة.
- الحكمة هي أصل مراتب الدعوة ؛ فيستعمل في كل حال ما يناسبها كما تدل على ذلك أدلة الشريعة ، ولا يقتضي أن تكون على التدرج مطلقاً ، بل قد يقدم الإنكار باليد على الإنكار باللسان إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك ، ويُرفق مع من يصلح له الرفق ، ويغلظ لمن لا يصلح له إلا الغلظة
- الأصل هو استعمال الرفق في الدعوة ، وعامة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الغلظة في الإنكار تجده لتعظيم حدّ من حدود الله ، وحرمة من حرّماته ليزجر المدعو عن ذلك ويبين له عظم شأن ما اقترف.
- الإغلاظ في الدعوة متضمّن معنى الرحمة لأن سببه والداعي له نصح المنكر عليه وزجره عما يضرّه في دينه ؛ فلذلك لا يجوز أن يفضي الإغلاظ إلى قول ما لا يجوز ولا أن يقصد الإضرار بمن لا يستحقّه.

شرح المسألة الرابعة وهي الصبر

معنى الصبر

- معنى الصبر معلوم مستقر في النفوس ، وقد تنوعت عبارات العلماء في التعبير عنه.
- قال أبو عبيد: أصل الصَّبْر الحَبْسُ وكل من حَبَسَ شيئاً فقد صبره.

- قال أبو حيان: الصبر حبس النفس على المكروه.
- قال ابن تيمية: الصبر فيه جمع وإمساك ولهذا قيل: الصبر حبس النفس عن الجزع.
- قال ابن القيم: الصبر هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره.
- قال ابن حجر: أحسن ما وصف به الصبر أنه حبس النفس عن المكروه، وعقد اللسان عن الشكوى، والمكابدة في تحمله، وانتظار الفرج.

منزلة الصبر

- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والصبر ضياء) رواه مسلم.
- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((متفق عليه.
- عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((متفق عليه.
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ((رواه وكيع في الزهد موقوفاً بإسناد صحيح، وروي مرفوعاً بإسناد ضعيف.
- وروى عبد الرزاق في مصنفه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (خمسة أحفظوهن، لو ركبتم الإبل لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن: لا يخاف العبد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحيي جاهل أن يسأل، ولا يستحيي عالم إن لم يعلم أن يقول الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد إذا قطع الرأس نتن باقي الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له).
- بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، قال الله تعالى:

أنواع الصبر

• ١ : الصبر على طاعة الله ، ومثاله قول الله تعالى :

[طه: ١٣٢] ، وقوله :

[الكهف: ٢٨].

• ٢ : الصبر عن معصية الله بالإمساك عنها ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في " طريق الهجرتين " عشرة أسباب تعين على الصبر عن المعصية ، خلاصتها : (العلم بقبح الذنب وأنه شر في نفسه ، والحياء من الله ، وقصد المحافظة على نعم الله فإن المعاصي تزيل النعم ، وخوف الله تعالى وخشية عقابه ، ومحبة الله تعالى فإن المحب الصادق لا يعصي من أحب ، والمحافظة على شرف النفس وزكائها وطهارتها لأن المعصية تدنسها ، وقوة العلم بسوء عاقبة المعصية وقبح أثرها ، وقصر الأمل واليقين بسرعة انقضاء الحياة ومجانبة الفضول في الطعام والشراب والنوم والمخالطة وغيرها وترك ما لا يعني المرء ، قال : والعاشر هو الجامع لهذه الأسباب كلها : ثبات شجرة الإيمان في القلب فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتم وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر).

• ٣ : الصبر على المصائب المقدرة ، قال الله تعالى :

()

()

() [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

• اجتمعت أنواع الصبر كلها في قوله تعالى :
تعالى إما كوني وإما شرعي ؛ فالحكم الكوني هو القضاء والقدر ، والحكم الشرعي هو الأمر والنهي.

• الصبر عن المعاصي أفضل من الصبر على المصائب ، لأن المعاصي تكون باختيار العبد ، والمصائب لا اختيار له فيها.

حكم الصبر

• الصبر الواجب ، وهو الصبر على أداء الواجبات ، والصبر عن المحرمات.

• الصبر المستحب، وهو الصبر على فعل المستحبات، والصبر عن المكروهات.
 • القدر الواجب من الصبر متفق عليه بين أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا كان الصبر واجبا باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها، والصبر عن اتباع أهواء النفس فيما نهى الله عنه).

• قال ابن القيم رحمه الله: (الصبر الواجب ثلاثة أنواع:

- أحدها: الصبر عن المحرمات.
 - والثاني: الصبر على أداء الواجبات.
 - والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها.
- وأما الصبر المندوب فهو الصبر عن المكروهات والصبر على المستحبات والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله) ١هـ.

• الرضا بالمصيبة قدر زائد على الصبر؛ وقد اختلف في حكمه على قولين: واجب ومستحب.

• للرضا بعد القضاء سببان:

- ١: اليقين بأن الله مستحق للرضا في جميع الأحوال، وهذا رضا المحبة.
- ٢: الرضا لعلم العبد بأن ما أصابه من قضاء الله هو خير له، وهذا رضا حسن الظن بالله والتصديق بوعدده.

• من ثواب الرضا عن الله أن يرضي الله عبده، والله عليم بما يرضي عبده.

حاجة الداعية إلى الصبر

• من سنن الله تعالى أن يكون للدعاة إليه أعداء من المجرمين يتبلي بهم صدقهم ويقينهم قال الله تعالى :

[الفرقان : ٣١].

• الداعية بحاجة إلى الهداية والنصر ؛ فبالهداية يوفق لسلوك سبيل الفلاح ، وبالنصر يتغلب على أعدائه.

• [الفرقان : ٣١] فيه حقيقة إيمانية يطمئن بها قلب الداعية فلا يخشى إلا الله ولا يصيبه وهن ولا حزن ولا خوف لوثوقه بهداية الله ونصره ما دامت دعوته لله على بصيرة.

• يجب على الداعية أن يصبر على ما يدعوا إليه من الحق وأن يصبر على ما يصيبه منه المشقة والأذى.

• وعد الله عباده المؤمنين بالنصر ووعدده حق لا يتخلف قال تعالى :

[آافر: ٥١] ، وقال :

[الروم: ٤٧].

تفسير سورة العصر

• العصر فيه قولان مشهوران :

○ القول الأول: أنه الدهر ، وقد ذكره البخاري في صحيحه عن الفراء وهو قول جمهور المفسرين.

○ القول الثاني: أنه وقت العصر من اليوم ، وهو مروى عن ابن عباس وقال به الحسن وقتادة.

○ اختار ابن جرير أن الآية تشمل القولين لأن لفظ العصر يطلق على المعنيين إطلاقاً صحيحاً ولا دلالة على التخصيص ، ولكل قول مناسبتة الظاهرة.

• يقسم الله تعالى بما شاء من خلقه ، والقسم بالشيء دليل على تشريفه ، وليس للمخلوق أن يقسم بغير الله تعالى.

• قوله تعالى : [العصر: ٢٢] هذا هو جواب القسم ، [العصر: ١٤ ، ١٥] وقال تعالى :
 [العصر: ٢٢] كأنه منغمس فيه قد أحاط به الخسران من جميع جوانبه.

• أعظم الخسران أن يخسر الإنسان نفسه وأهله يوم القيامة ويخسر مقعده من الجنة ، قال تعالى : ()

[الزمر: ١٤ ، ١٥] وقال تعالى :

[المائدة: ٥].

• في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «

».

• لا ينجو الإنسان من هذا الخسران إلا بالأمر الأربعة المذكورة في السورة : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر.

• هذه الأمور الأربعة مترتبة بعضها على بعض فالإيمان أساس العمل الصالح ، فلا يصلح العمل إلا بالإيمان ، والتواصي بالحق هو من الأعمال الصالحة ، وخص بالذكر لأهميته ، والتواصي بالصبر هو أيضاً من هو من التواصي بالحق ؛ لأن الصبر المأمور به إما واجب وإما مستحب ، والتواصي تواص بالواجب أو فعل المستحب

• فصارت مرتبة الإيمان هي الأصل وينبني عليها العمل الصالح وينبني عليهما التواصي بالحق وينبني على ذلك كله التواصي بالصبر.

• لذلك جاء في الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

• من قام بهذه الأمور الأربعة كما يجب فقد سلم من الخسران ، ومن قصر فيها بما لا يخرج من الإسلام فقد عرّض نفسه لشيء من الخسران ، ومن خرج من الإسلام أحاط به الخسران.

• الناس في تحقيق هذه الأمور الأربعة على ثلاثة أقسام :

○ القسم الأول: من لا يأتي بأصلها وهو الإيمان؛ وهم الكفار الخارجون عن دين الإسلام، وهؤلاء خسارتهم أعظم الخسارة، ويلتحق بهم من ارتدّ عن الدين بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام والعياذ بالله، كما قال الله تعالى:

()

() [الزمر: ٦٥، ٦٦].

● القسم الثاني: من يأتي بهذه الأمور الأربعة كما أوجب الله؛ فهؤلاء هم المفلحون الناجون من الخسران، الفائزون بعظيم الثواب، وهم على درجات في تحقيقها بين محسن ومقتصد.

○ القسم الثالث: من كان معه أصل الإيمان وأصل العمل الصالح لكنه يرتكب من المحرمات ويترك من الواجبات ما يستحق به العذاب، فهذا القسم يناله من الخسارة بقدر ما فرط فيه إلا أن يعفو الله عنه.

● قوله تعالى: [العصر: ٣] التواصي هو أن يوصي بعضهم بعضاً، وهذا كما يدل على وجوب الدعوة بإيضاء الآخرين بالحق، يدل على وجوب قبول الوصية بالحق إذا وجهت إليه.

● الحق هو امثال ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وتصديق خبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فمن قام بذلك فهو قائم بالحق.

● التواصي بالصبر يشمل التواصي بالصبر على فعل المأمور، والتواصي بالصبر على ترك المحذور، والتواصي بالصبر على المصائب المقدرة؛ فيصبر ويصبر إخوانه المسلمين.

● هذه السورة العظيمة تضمنت على وجازتها الدلالة على الدين كله لأن مبنى الدين على الأمر والنهي والخبر والقدّر؛ ففعل الأوامر وترك النواهي وتصديق الأخبار والإيمان بالقضاء والقدرة هو الحق الذي يجب التواصي به والصبر على أدائه.

● إذا تأملت هذه السورة تأملاً حسناً علمت ما يحبه الله من عباده المؤمنين؛ فهو يحب منهم الإيمان والقيام بالأعمال الصالحة وأن يتألفوا ويتوادوا ويتواسوا ويحب بعضهم لبعض الخير، فيتواصون بالحق وفعل ما يحبه الله ليكون بعضهم سبباً في ثواب بعض، ويتواصون بترك ما

حرم الله فيكون بعضهم سبباً في نجاة بعض ، ويتواصون على الصبر فيكونون متواسين متآلفين متحابين.

- من عرف ذلك حق المعرفة عرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :))

((. رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- إذا رأيت من نفسك سرورها وابتهاجها إذا رأيت من يطيعُ الله عز وجل ، واستيائها إذا رأيت من يعصيه وتمنيها له العافية من معصيته ؛ فذلك من دلائل صحة إيمانك وسلامة قلبك.
- أقبح ما يكون من الحسد أن يحسد المرء أخاه على قيامه بطاعة الله وأن يتمنى منه أن يقع في المعاصي ويحرمَ فضل الله عز وجل ؛ فإن هذا من إخوان الشياطين والعياذ بالله ، بل يخشى عليه أن يبتلى بما تمناه لأخيه المسلم.

- إذا قامت الأمة بهذه الأمور الأربعة (الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر) كانت كما يحب الله تعالى أن تكون ، وكان الله لهم كما وعدهم ، والله لا يخلف الميعاد.
- دلت هذه السورة على المسائل الأربع ؛ العصر: ٣ الإيمان لا يكون إلا

بعلم ، العصر: ٣ نص في المسألة الثانية وهي العمل بالعلم ،

العصر: ٣ دلّ على المسألة الثالثة وهي الدعوة إليه ، العصر: ٣ نصّ في

المسألة الرابعة.

- الإقسام على أن من لم يأت بهذه المسائل الأربع فهو خاسر دليل على وجوبها.

قول الشافعي رحمه الله: (هَذِهِ السُّورَةُ لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هِيَ لَكَفَّتْهُمْ)

ترجمة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

- الشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع وإليه نسبة الشافعي وهو من بني المطلب بن عبد مناف فهو قرشي مُطَّلَبِي.
- قال تلميذه الربيع بن سليمان المرادي : (ولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة رحمهما الله تعالى)، وكان ذلك سنة ١٥٠ هـ ، وطلب العلم وهو صبي ، روى عنه تلميذه المزني أنه

قال: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت "الموطأ" وأنا ابن عشر)، وكان يقول: جعلت لذتي في العلم.

- كان وافر العقل، حادّ الذكاء، سريع الحفظ، جليل القدر، صاحب فراسة وكياسة، وكان جميل الخُلقة؛ حتى قال المزي: لم أر أحسن وجهاً من الشافعي.
- توفي رحمه الله سنة ٢٠٤هـ، وقد عدّه الإمام أحمد المجدد الثاني.
- في سيرته عبر ودروس وأعاجيب؛ فقد كان آية في الصبر على طلب العلم والتفقه في الدين، ولقد ابتلي بقلّة الرزق فصبر، وله أشعار حسنة، وحكم مأثورة وأقوال جليّة مشهورة، ذكر النووي في مقدمة المجموع والذهبي في سير أعلام النبلاء طائفة حسنة منها.

قوله: (هَذِهِ السُّورَةُ لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هِيَ لَكَفَّتْهُمْ).

- لا أعرف مصدر هذه العبارة بهذا النص في كتب الشافعي لكنها مشهورة عنه بألفاظ مقاربة؛ فقد قال النووي في المجموع عن الشافعي أنه قال: (الناس في غفلة عن هذه السورة () () العصر: ١، ١٢).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: لو فكر الناس كلهم في سورة العصر لكفّتهم. وهو كما قال).

- وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (قال الشافعي، رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لكفّتهم).

- وقال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة: (قال الشافعي رضي الله عنه: لو فكّر الناس كلهم في هذه السورة لكفّتهم).

- قال ابن القيم: (وبيان ذلك أنّ المراتب أربع، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله: إحداها: معرفة الحقّ، والثانية: عمله به، والثالثة: تعليمه من لا يحسنه، والرابعة: صبره على تعلّمه والعمل به وتعليمه، فذكر تعالى المراتب الأربع في هذه السورة).

- وهذه السورة بينت للمسلم منهاج النجاة من الخسران، فمن أخذ بأسباب النجاة نجا، ومن تركها هلك وخسر، فهي حجة بينة كافية.

- لعظيم ما دلت عليه هذه السورة كان من فقه الصحابة رضي الله عنهم كثرة قرائتها في

المجالس والتذكير بها ففي معجم الطبراني وصحيح ابن حبان وشعب الإيمان للبيهقي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي مدينة الدارمي رضي الله عنه وكانت له صحبة قال: (كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: () .. [العصر: ١، ٢] ثم يسلم أحدهما على الآخر). وقد صححه الألباني رحمه الله.

قول البخاري رحمه الله: (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).

ترجمة الإمام البخاري رحمه الله

- البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن بردزبه وهي كلمة بخارية تعني الزرّاع كما ذكر ذلك الذهبي في السير.
- ولد سنة ١٩٤ هـ، وكان والده ورعاً حريصاً على الكسب الطيب، ومات ومحمد صغيراً فنشأ يتيماً، وقال عن نفسه: (ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب). وقال: (فلما طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، يعني أصحاب الرأي)
- قال البخاري: (كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب) يقصد صحيحه الذي هو أصح الكتب المصنفة.
- قال ابن أبي حاتم سألته: هل من دواء يشربه الرجل، فينتفع به للحفظ؟ فقال: لا أعلم، ثم أقبل علي، وقال: (لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر).
- وكان صاحب ورع عظيم روي عنه أنه قال: (ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها).
- أوذي رحمه الله في آخر حياته وطرده من بلده بسبب كيد حسّاده، وجرت له محن، وصبر على بلاء كبير، قال عبد القدوس السمرقندي: جاء محمد إلى أقربائه بخرتنك، فسمعتة

يدعو ليلة إذ فرغ من ورده: (اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك).
فما تم الشهر حتى مات، وكان ذلك سنة ٢٥٦هـ.

قوله: (العلم قبل القول والعمل)

• هذا باب في كتاب العلم من صحيحه، وهذا الكلام نقله الشيخ بالمعنى وزاده توضيحاً ولعله كتبه من حفظه، ونص عبارة البخاري رحمه الله: (باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: [محمد: ١١٩]؛ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ).

• استدل بقول الله تعالى: استدل بقول الله تعالى: فلما بدأ بالعلم قبل القول والعمل كان ذلك دليلاً على تقديم العلم، والاستغفار قول، وهو أيضاً عمل لأنه عمل صالح.

• تقديم العلم على العمل يدل عليه العقل أيضاً فإن العمل بلا علم عمل على غير هدى، وما كان على غير هدى فإنه لا يقبل، فكان تقديم العلم على العمل واجباً.

• تقرير هذا الأمر مهم في تفهيم الناس العقيدة الصحيحة، فإن بعض من يقع في الشرك في العبادة يعمل أعمالاً من الصلوات والصدقات والحج وغيرها فيرى أنه قد أدى ما عليه، ويستدل بقيامه بهذه الأعمال على أنه على الحق؛ فأراد الشيخ أن يبين أن العلم بالهدى مقدم، وأن الأعمال إذا لم تكن مبنية على الهدى فإنها باطلة مهما بلغت كثرتها وظن صاحبها أنها تنفعه.

• من يقوم بهذه الأعمال ويشرك في عبادة الله فيذبح لغير الله ويدعو غير الله ويقدم النذور لغير الله فهو مشرك كافر بالله تعالى خارج من دين الإسلام وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

• لا ينفع مع الشرك عمل لقول الله تعالى:

[الأنعام: ١٨٨]؛ فلهذا أورد الشيخ رحمه الله قول البخاري.

الفرق بين العالم الرباني وعالم السوء

○ العالم الرباني يقول بما يدل عليه الدليل الصحيح ويقصد النصح للناس؛ فيبين الحق

لهم كما دلّ عليه الدليل، ويعلمهم ما يحتاجون إليه من العلم والهدى.

○ وعالم السوء يفتي بهواه، ويلبس الحق بالباطل، ويدلّس على الناس، ويسكت عن بيان الحق عند وجوب بيانه؛ فهو خطر وفتنة يجب الحذر منها.

الدرس الرابع: شرح المسائل الثلاث (٢/١)

قال رحمه الله:

[المسائل الثلاث]

اعْلَمَ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ: الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

()

الثَّانِيَّةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا غَيْرُهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مَوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[المجادلة: ٢٢].

عناصر الدرس:

- بيان مقاصد رسالة المسائل الثلاث
- شرح قوله: (اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل)
- شرح المسألة الأولى وهي قوله: (الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً؛ بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار..)
- إفراد الله تعالى بالخلق والرزق
- قوله: (ولم يتركنا هملاً...)
- قوله: (بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار)

○ قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

()

[المزمل:١٥، ١٦].

• شرح قوله: (الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرِكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا غَيْرُهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الجن:١٨].

[الجن:١٨].

○ تفسير قول الله تعالى:

بيان مقاصد رسالة المسائل الثلاث:

• هذه المسائل الثلاث مهمة في تأصيل فهم التوحيد وتقرير الاحتجاج له، وهي مبنية على الشهادتين ولوازمهما.

○ المسألة الأولى بعضها في تقرير توحيد الربوبية وبعضها في تقرير شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

○ والمسألة الثانية في تقرير وجوب توحيد العبادة.

○ والمسألة الثالثة في بيان أن من لوازم التوحيد البراءة من الشرك وأهله.

قوله: (الأولى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ).

● تضمنت هذه المسألة ثلاثة أمور:

- : أن الله خلقنا ورزقنا، وهذا من توحيد الربوبية، ولا ينكره إلا ملحد.
- : أن الله لم يتركنا هملًا، وهذا أمر لا يمكن لمنتسب إلى الإسلام أن ينكره، وهذا لبيان حكمة الله تعالى وتقرير مبدأ الرسالة والبعث والجزاء.
- : أن الله تعالى أرسل إلينا رسولاً من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وهذا هو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الأمر الثالث مترتب على المقدمتين الأولى والثانية، ومن أقر بالرسالة لزمه الإقرار بمقتضاها، وهو أن من أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.
- من أقر بهذه الأمور الثلاثة لزمه الإقرار بوجوب التوحيد، ولذلك قدّم رحمه الله هذه المسألة على المسألة الثانية.

● هذه المقدمات التي رتب بعضها على بعض بعبارة وجيزه سهلة تتقبلها النفوس هي مدخل مهم للاحتجاج لوجوب التوحيد.

○ بيان ذلك: أن أعظم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو إفراد الله تعالى بالعبادة؛ فمن عصاه في أعظم ما أمر به فهو من أهل النار.

○ من ادّعى أنه يطيعه في أداء بعض الواجبات والانتها عن بعض المحرمات، وهو يعصيه في أعظم الأمور وأهمها، وما جاهد عليه الكفار وبين للناس أنه الفارق بين الإسلام والكفر، فهو عاصٍ للرسول صلى الله عليه وسلم، وطاعته له في غير هذا الأمر لا تنفعه ما دام أنه لم يطعه في أهم الأمور وأصل الإسلام الذي من أجله بعثه.

○ ثم ذكر الدليل على ذلك وهو قول الله تعالى:

()

[المزمل: ١٤، ١٥]

ليبين للقارئ أن تلقي العقيدة يجب أن يكون مبنياً على الدليل، وأنه لم يأت للمخاطب بكلام من تلقاء نفسه، بل بينه له ما يدل عليه الدليل الصحيح، وهذا من سمات العالم الرباني.

- هذا الترتيب يعرفك بخبرة الشيخ رحمه الله وحسن معرفته بتقرير مسائل التوحيد، فبدأ بالأمور البينة السهلة المتفق عليها حتى مع من يخالف في بعض مسائل توحيد العبادة.
 - البدء بالأمور المتفق عليها طريقة حسنة في الإقناع والإلزام بالحجة.
- الإقرار بأن الله خلقنا ورزقنا مستقرّ في غالب النفوس وتقتضيه الفطرة الصحيحة، لا يخالف فيه إلا ملحد.
 - الشيخ رحمه الله كتب هذه الرسالة لأناس يعلم أنهم يقرون بتوحيد الربوبية، فبدأ بالأمر المتفق عليه.
- قوله: الثانية: وهي أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا نبيُّ مرسل ولا ملكٌ مقرب ولا غيرهما..
 - بعد أن قرّر الشيخ المسألة الأولى بأسلوب قريب من أفهام المخاطبين، وافى بأركان الحجة العلمية انتقل إلى تقرير المسألة الثانية وهي مسألة وجوب التوحيد الذي هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.
 - تفضّن إلى حسن تعبير الشيخ في تقريره هذه المسألة بما دلّت عليه شهادة أن لا إله إلا الله.
 - شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن لا يعبد مع الله أحدٌ من خلقه مهما كان لا نبي مرسل ولا ملك مقرب؛ فالعبادة حق الله وحده.
 - قوله: (إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته) هذه العبارة المصاغة بعناية لا يستطيع المخالف في مسائل التوحيد إنكارها، وإن خالف في تسمية بعض الأمور عبادة.
 - كثر الشرك في زمان الشيخ رحمه الله وانتشرت مظاهره من دعاء الصالحين وتقديم النذور للقبور والذبح لغير الله وغيرها، وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال منهم من يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن ويظن أنه مسلم، وفي بعض البلدان اليوم من يفعل مثلهم.
 - إذا قلت لهؤلاء: (إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته) فإنهم لا ينازعونك في هذا الأمر، فاختار الشيخ التعبير بما هو أقرب إلى القبول.
 - إذا أفروا بهذا لزمهم وجوب التوحيد وإفراد الله بالعبادة وتحريم الشرك والإقرار بأنه منافٍ للإسلام مناقض لمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

- مكث الشيخ سنوات طويلة وعمراً مديداً وهو يدعو إلى التوحيد ويناظر المجادلين فيه ويكشف الشبه ويقرر الحجج ويدعو العامة والعلماء والأمرء، ويعلم طلاب العلم مسائل التوحيد ويقررها لهم من وجوه كثيرة حتى يفهموها؛ فهو صاحب خبرة قيمة في هذا الباب.
- حصل للشيخ مع المخالفين في مسائل توحيد العبادة مناظرات ومخاصمات وحروب وفتن ومحن استمرت سنوات طويلة، وأكثر من كان يجادله ويناظره ويناصبه العداء علماء السوء وأهل البغي والحسد.
- كان الشيخ رحمه الله يخشى على العامة من فتنة علماء السوء فكان يجتهد في توضيح مسائل التوحيد لهم بأسلوب ميسر قريب من أفهامهم، وينتقي لهم العبارات بعناية بالغة، وقد فتح الله له في هذا الباب فتحاً عظيماً، ونفع به نفعاً كبيراً.

قوله: (الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)

- هذه المسألة هي من واجبات تحقيق الشهادتين، فمن أقر بالشهادتين إقراراً صحيحاً وعرف معناهما معرفة صحيحة لزمه أن يقرّ بالمسألة الثالثة، وهي البراءة من الشرك وأهله.
- من أحبَّ الله ورسوله لزمه أن يحب من يحبه الله ورسوله، وأن يبغض من يبغضه الله ورسوله.
- هذه المسائل الثلاث ترجع إلى معاني الشهادتين ولوازمهما؛ فمن فقه معنى الشهادتين فقهها صحيحاً عرف هذه المسائل الثلاث.
- هذا عرض موجز لبيان مقاصد هذه الرسالة، وسبب ترتيبها على هذا النحو.
- ينبغي لطالب العلم إذا أراد دراسة باب من أبواب العلم أن يتعرف على المقصد العام للباب قبل أن يدخل في تفاصيل عبارات المتن؛ فإنه إذا فهمه سهل عليه بعد ذلك فهم جملة وفق هذا المقصد العام.

شرح عبارات المتن

قوله: (اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل)

- نصّه على كل مسلم ومسلمة هو من باب التأكيد واسترعاء الانتباه، وليعلم جميع المكلفين أنهم معنيون بهذا الواجب، وسواءً في ذلك الذكر والأنثى.
 - تعلم هذه المسائل واجبٌ لأنها من معنى الشهادتين وواجباتهما، ومن عرف معنى الشهادتين معرفة صحيحة فقد عرف هذه المسائل الثلاث، وإن لم يقرأ هذه الرسالة.
 - تنوع العبارات وعرض الحجج من أكثر من وجه مما ينبغي للداعية أن يعتني به، خصوصاً إذا كان مخاطب قوماً ألفوا المنكر واعتادوه.
 - بعض الشُّبه قد تَعَلَّق ببعض القلوب ويصعب تخلصها منها، فعرض الحق وتقريره بأكثر من طريقة يفيد المهتدي زيادة اليقين، ويفيد من في قلبه شبهة في كشف شبهته.
 - تنوع الاحتجاج من الهدي القرآني والنبوي، ومن تدبر القرآن والسنة وجد لذلك أمثلة كثيرة ولا سيما في المسائل الكبار كمسألة التوحيد والبعث والجزاء والنبوة وأن القرآن حق وغيرها من المسائل الكبار تجد تقريرها في القرآن والسنة من وجوه كثيرة.
 - بعض العلماء إذا أجابوا عن بعض الشبه يجيبون عنها من وجوه كثيرة لأن كثرة الأدلة وتنوعها تورث اليقين في النفس وتزيل ما يلقيه الشيطان من الشبه.
- المسألة الأولى وهي قوله: (الأولى: أَنْ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ..)

إفراد الله تعالى بالخلق والرزق

- اعتقاد أن الله خلقنا ورزقنا فرض واجب، وهو من توحيد الربوبية.
 - التوحيد على ثلاثة أقسام:
 - : توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالى بأفعاله من الخلق والملك والتدبير والرزق وغيرها.
 - : توحيد الألوهية، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

- : توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العليا .
- اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق من توحيد الربوبية ، ومن أنكر ذلك فهو كافر كفراً أكبر والعياذ بالله .
- الأدلة على أن الله خلقنا ورزقنا كثيرة منها قوله تعالى :

[الروم : ٤٠] ، وقوله :

[البقرة : ٢١] ، وقوله :

[الصفات : ٩٦] ، وقال تعالى في

[الذاريات : ٥٨] .

الرزق :

- أشار الله تعالى إلى الدليل العقلي على تفرده بالخلق بطريقة السبر والتقسيم وهو من الأدلة العقلية الملزمة في قوله تعالى :

[الطور : ٣٥ ، ٣٦] .

- لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالاتٍ بالتقسيم الصحيح : إما خُلِقوا من غير شيء ، وإما خُلِقوا أنفسهم ، وإما خَلَقَهُم خالِقٌ غيرُ أنفسهم .
- لا شك أن القسمين الأولين باطلان ، يدرك بطلانهما كل عاقل ؛ والثالث : هو الحق الذي لا شك فيه ، وهو جل وعلا خالقهم المستحق منهم أن يعبدوه وحده جل وعلا .
- قال جبير بن مطعم رضي الله عنه : أتيت المدينة في فداء بدر (وفي رواية : فداء المشركين) قال : وهو يومئذ مشرك قال : (فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة المغرب فقرأ فيها بـ [الطُّورِ] فلما بلغ هذه الآية :

()

()

()

()

- [الطور : ٣٥ - ٣٨] كاد قلبي أن يطير) ، وفي رواية : (فكأنما صُدِّعَ قلبي لقراءة القرآن) رواه أبو داوود الطيالسي وأحمد وأصله في الصحيحين وفيهما أنه قال : (وذلك أول ما قر الإيمان في قلبي) .
- من أسماء الله الحسنی "الخالق" و"الخالق" .

- إذا أحسن العبد التفكير في اسم الخالق جل وعلا امتلأ قلبه يقيناً وتعظيماً لله جل وعلا.
- كثرة مخلوقات الله وعظمة بعضها واتساعها من أظهر الأدلة على عظمته جلّ وعلا وسعة علمه وقدرته.

• إتقان الخلق وإحكامه دليل على حكمة الله تعالى وعظيم قدرته

المالك: ١٣.

- سير المخلوقات بنظام دقيق عجيب دليل على علم الله وحكمته وحسن تديره.
- إنشاء هذه المخلوقات العجيبة على غير مثال سابق دليل على عظمة الله وكمال غناه وبديع صنعه.

• الله تعالى هو بديع السموات والأرض الذي ابتدع خلقها العجيب، ولم يكتسب معرفة خلقها من أحد، وذلك لكمال علمه وقدرته وإحاطته.

• في عوالم الأفلاك والملائكة والإنس والجن والحيوانات والنباتات والرياح والسحاب والمياه وغيرها من العوالم الكثيرة والعجيبة ما تحار له الأبواب، وفي كل عالم من هذه العوالم أمم وأصناف لا يحصيها إلا من خلقها.

• في كل مخلوق من هذه المخلوقات دقائق وعجائب في تفاصيل خلقه تبهر العقول، فتستدل بها على حكمة خالقها جل وعلا وسعة علمه، وعظيم قدرته، فتبارك الله رب العالمين.

النحل: ١٧.

• دليل الخلق من أعظم وأظهر أدلة الربوبية

• الله تعالى هو الذي خلق كل شيء، ولا يستطيع أحد أن يخلق كخلق جل وعلا، ولقد تحدى المشركين أن يخلقوا هم وآلهتهم ذباباً فلم يستطيعوا، بل تحداهم أن يسترجعوا ما يأخذ منهم الذباب!، وذلك غاية ما يكون من الضعف والذل؛ فكيف يدعون لما لا يخلق حقاً في العبادة؟!!

• الذي لا يخلق شيئاً لا يستحق أن يكون إلهاً، بل الإله الحق هو ربنا الذي انفرد بالخلق، فلذلك يجب إفراده بالعبادة، كما قال الله تعالى:

الأعراف: ١٩١.

- الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق لم يخالف فيه إلا الملاحدة الذين ينكرون وجود الله تعالى ، والمجوس الذين يزعمون أن للكون خالقين النور والظلمة.
- كان مشركو العرب يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ومع ذلك لم يكونوا مسلمين لأنهم لم يخلصوا العبادة لله عز وجل ولم يطيعوا الرسول ، قال الله تعالى :

[العنكبوت : ٢٦] .

- من أقرب بأن الله تعالى هو الخالق الرازق ولم يخلص العبادة لله تعالى فهو مشرك كافر متوعدّ بهذا العذاب الأليم .

قوله: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا...)

- (هملاً) أي : مهملين بلا أمر ولا نهى ولا غاية.
- قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى :
[القيامة : ١٣٦] ، قال : هملاً ، رواه ابن جرير وغيره .
- أخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله تعالى :
[القيامة : ١٣٦] ، قال : أن
يُهمَل .

- قال ابن جرير : (وقوله :
[القيامة : ١٣٦] ، يقول تعالى
ذكره : أیظنّ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملاً لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يُتعبّد بعبادة).

- العرب تقول : إبلٌ هَمَلٌ وَهَمَلَى إذا كانت مهملة مسيبة ليس لها راع يراعها .
- وهذا كما قال تعالى :

()

() [المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦] .

- الله تعالى يتنزّه ويتعالى عن أن يخلق الخلق عبثاً ويتركهم هملاً ، كيف يكون ذلك وهو الحكيم الخبير!!

- خلقنا الله لغاية عظيمة بينها الله تعالى بقوله :

()

()

() [الذاريات : ٥٦ - ٥٨] .

- بيّن الله لنا أنه خلقنا لعبادته ، وبيّن لنا كيف نعبده ؛ وذلك بطاعة الرسل الذين أرسلهم

إلينا فمن أطاعهم فقد عبد الله كما يجب الله ، ومن عصاهم فقد استحق العذاب لأنه لم يمثل الأمر الذي خلق لأجله.

قوله: (بَلْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَمِنْ أطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)

• (بل) إذا تقدمها نفي فهي لتقرير هذا النفي وتأكيده ، ويكون ما بعدها بيان وتوجيه يعرف به صحة النفي السابق ، وهذا كما في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام:

() [النساء: ١٥٧ ، ١٥٨] ؛ فإثبات رفع عيسى عليه السلام بيان لصحة

النفي السابق وهو أنه لم يقتل.

• (ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً): رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد صحة أننا لم نترك هملاً.

• هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.
• قال الله تعالى:

()

[النساء: ١٣ ، ١٤].

• طاعة الرسول طاعة لله تعالى ، قال الله تعالى:

[النساء: ٨٠].

• **الناس في شأن الرسول قسمان**: مطيع ومتولي ، ومن صفات العصاة اللازمة أنهم متولون متعدون لحدود الله عز وجل.

• من أصول تقرير وجوب التوحيد: بيان وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن أعظم ما جاءت به الرسل: توحيد الله عز وجل.

• من أقر برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لزمه تصديقه فيما يخبر به وطاعته فيما يأمر به واجتناب ما ينهى عنه لأن هذا هو معنى الإيمان بالرسول.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

)). رواه مسلم.

قوله: (والدليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

()

[المزمل: ١٥، ١٦].

• الضمير عائد إلى الله عز وجل ، والضمير إذا كان عائداً إلى فرد وصيغ بصيغة الجمع فهو للتعظيم.

• أي بعثناه إليكم برسالة يؤذيها، فافقهوا معنى هذه الرسالة وامثلوا ما فيها.

• كل رسول شهيد على أمته، وسيأتي النبي صلى الله عليه وسلم

شهيداً على أمته يوم القيامة في مشهد عظيم وصفه الله بقوله:

()

[النساء: ٤١، ٤٢]؛ ففي هذه الآية وعيد شديد لمن

عصى الرسول.

• شهادة الرسول على من كانوا في حياته بما رأى منهم، وعلى من بعده بما ترك لهم، كما

قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام:

[المائدة: ١١٧].

• وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

رواه أحمد وغيره من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

• [المزمل: ١٥]، وهو موسى كليم الله صلى الله عليه وسلم.

وسلم.

• [المزمل: ١٦] لم يقل فعصاه فرعون، وأعاد ذكر لفظ الرسول،

لفائدة بلاغية لطيفة وهي بيان ترتب الحكم على الوصف لا على الشخص.

○ استحقاق فرعون للعذاب هو لأجل أنه عصى من أرسله الله عز وجل، وليس لأجل

كون الرسول هو موسى، بل لو أرسل إليه غير موسى فعصاه لاستحق العذاب أيضاً.

• [المزمل: ١٦] أي فعذبتاه عذاباً شديداً ثقيلاً متتابعاً كما يتتابع الواهب

من المطر قال ابن جرير رحمه الله: (العرب تقول لمن تتابع عليه الشر: لقد أوبل عليه).

○ عبّر بالأخذ لبيان أنه لا يفلت من هذا العذاب؛ فأخذه جل وعلا عند الغرق هو

وجنوده فلم يفلتهم
 للغرق، وأرواحهم للحرق، بسبب خطيئاتهم وطغيانهم.
 • وهم في البرزخ يعذبون كم قال تعالى:

[غافر: ٤٦].

○ من يعصي الرسول من هذه الأمة فإنه مستحق للعذاب الويل؛ نعوذ بالله من معصية الرسول.

قوله: (الثَّانِيَةَ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُّقْرَبٌ وَلَا غَيْرُهُمَا، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

• الله تعالى لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، بل توعد من أشرك به أحداً منهم وعيداً شديداً، بل توعد الرسل أنفسهم أنهم إن أشركوا أحبط أعمالهم وجعلهم من الخاسرين.

• قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم:

()

() [الزمر: ٦٥، ٦٦].

○ أي لا تعبد إلا الله، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر في لسان العرب، فالعبادة حق لله وحده.

• وقال تعالى:

[المائدة: ١١٦].

• وقال تعالى:

[آل عمران: ٨٠].

()

• وقال تعالى عن الملائكة:

()

()

() [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

• لعظيم جرم الشرك فإن الله لا يغفره كما قال الله تعالى :

[النساء: ١١٦].

• إذا كان أشرف الخلق وهم الأنبياء والملائكة ليس لهم نصيب من العبادة، بل يفرقون فرقاً شديداً من أن يُدعى فيهم شيء من خصائص الله تعالى، ويغضبون غضباً شديداً على من يصنع ذلك، فكيف يدعونه لأنفسهم.

• في سنن أبي داود من حديث جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابيُّ فقال يا رسول الله: جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا؛ فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك!، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (())
 ((وسبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبِّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال:))

ولما قال له رجل: (ما شاء الله وشئت) أنكر عليه وقال له: ((!!))

• العبادة حق لله تعالى وحده ليس لأحد فيها حق كائناً من كان.

• إذا تقرر هذا فإن ما يفعله الذين يذبحون لغير الله من الأولياء والجن وغيرهم ويقدمون لهم النذور ويسألونهم الحوائج أولى بأن يكونوا من المشركين.

• قال الشيخ رحمه الله في كتابه كشف الشبهات: (إذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس عليه، فاعلم أن :
 : أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى :

[الإسراء: ٦٧].

وقوله :

()

[الأنعام: ٤٠، ٤١].

وقوله:

[الزمر: ٨]، إلى قوله:

[الزمر: ٨].

وقوله:

[لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا، والله المستعان.

: أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله. إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية. وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه وترك الصلاة وغير ذلك. والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يُشاهد فسقه وفساده ويَشهد به) ١.هـ.

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الجن: ١١٨].)

المساجد فيها ثلاثة أقوال:

- **القول الأول:** هي مواضع السجود من جسد الإنسان لأنها المساجد التي يسجد بها وهي (لله) لأن الله هو الذي خلقها فلا يجوز أن تعبد هذه المساجد إلا الله، وهذا القول مروى عن سعيد بن جبير والربيع بن أنس البكري وذكره الفراء وجهاً في التفسير، وقال به الزجاج.
- **القول الثاني:** المساجد مصدر كالمضارب فهي بمعنى السجود يقال سجدت سجوداً ومسجداً ومساجد، وهذا قول ابن قتيبة رحمه الله.
- **القول الثالث:** المساجد مواضع الصلاة التي يصلى فيها ويدعى فيها فهي لله لا يجوز أن يشرك مع الله أحد، وهذا قول جمهور المفسرين لأنه المعنى المتبادر لهذا اللفظ والمعهود في القرآن.

- لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ [الجن: ١٨] لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَسْجِدَانِ مَعْرُوفَانِ: الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَهُمَا مَعْظَمَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ تَعْظِيمًا كَبِيرًا، وَلَهُمَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، وَجَمَعَهُمَا عَلَى مَسَاجِدَ يَفِيدُ التَّعْظِيمَ أَيْضًا.
 - كَوْنُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ لِلَّهِ لَا يَنَازِعُ فِيهِ أَحَدٌ، فَإِنَّ الْأَصْنَامَ مُحَدَّثَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَمْ تَكُنْ فِيهِ، وَقَدْ بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ لِلَّهِ لَا لِلْأَصْنَامِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْعَى فِيهَا غَيْرَهُ.
 - قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهَا: (يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [الجن: ١٨] أَيُّهَا النَّاسُ التَّوْحِيدُ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ).
- [الجن: ١٨] وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ فِيهَا شَيْئًا، وَلَكِنْ أَفْرَدُوا لَهُ
- [الجن: ١٨]

الدرس الخامس: شرح المسائل الثلاث (٢/٢)

قال رحمه الله:

(الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(المجادلة: ٢٢).

عناصر الدرس:

- بيان مناسبة المسألة الثالثة للمسألتين قبلها.
- أسباب البراءة من المشركين.
- مقاصد البراءة من الشرك وأهله.
- غاية البراءة من المشركين.
- ميزات البراءة من الشرك في الإسلام.
- معنى الموالاتة.
- معنى اتخاذ الكفار أولياء.
- تفسير قول الله تعالى:
- درجات الكفار.
- حكم موالاتة الكفار.
- سد الذرائع المفضية إلى موالاتة الكفار.
- أقسام المسلمين في البراءة من الكافرين.
- أحكام معاملة الكفار.
- حكم تهنئة الكفار بأعيادهم.

(آل عمران: ٢٨).

بيان مناسبة المسألة الثالثة للمسألتيين قبلها:

- قوله: (من أطاع الرسول) هذا هو مقتضى المسألة الأولى من المسائل الثلاث التي ذكرها المؤلف رحمه الله.
- وقوله: (ووحده الله) هذا هو مقتضى المسألة الثانية.
- أي إذا أتيت بما وجب عليك في المسألة الأولى التي سبق بيانها، وأتيت بما وجب عليك في المسألة الثانية فاعلم أنه لا يجوز لك أن توالي من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.
- هذه المسألة يخاطب بها من أقر بالشهادتين، أما من لم يقر بهما فيبين له وجوبهما، وأن الإنسان لا يدخل في الإسلام حتى يشهد الشهادتين، فإذا شهد الشهادتين عرّف بما يجب عليه.
- من لوازم تحقيق الشهادتين البراءة من الشرك وأهله.
- قال الله تعالى:

الممتحنة: ٤٤.

- التآسي بهم هنا يشمل: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله، والكفر بهما، وإبداء العداوة والبغضاء لهم حتى يؤمنوا بالله وحده.
- البراءة من الشرك وأهله لها أسباب ومقاصد وغاية تنتهي بانتهائها وأحكام تحكمها.

أسباب البراءة من المشركين

- أسباب البراءة من المشركين على قسمين: أسباب متعلقة بالمتبرئين وهم المؤمنون، وأسباب متعلقة بالمتبرأ منهم وهم المشركون والكفار.
- أما أسبابها المتعلقة بالمتبرئين وهم المؤمنون فهي:
- : موافقة الله تعالى فيما يحب ويبغض.
- كلما كان المؤمن أشد حبا لله كان أكثر بغضا لمن يبغضه الله، ولذلك قال الله تعالى:

.. [المجادلة: ٢٢]؛ فأتى بها

بصيغة الخبر، كأن الأمر مفروغ منه، وأنه من مقتضيات الإيمان الضرورية.

○ نَبَّهَ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا السَّبَبِ بِقَوْلِهِ :

[الممتحنة : ١١٣].

● : طاعة الله تعالى في أمره ؛ فإن الله تعالى أمر بالبراءة من الشرك وأهله ونهى عن توليهم.

○ مدح إبراهيم ومن معه على براءتهم من المشركين ، وأمرنا أن نأتسي بهم في هذه البراءة التي مدحها الله عز وجل في القرآن في أكثر من موضع.

● : الغضب لله جل وعلا والحمية له ، فإنَّ مَنْ صدق في محبة محبوب ووجد من يغضبه أحسَّ في قلبه بغضاً له.

○ لا أحد أحبَّ إلى المؤمن من الله تعالى كما قال الله تعالى :

[البقرة : ١٦٥] فمدحهم على ذلك.

○ إذا رأى المؤمن من يُغضب إليه الذي هو أحبُّ شيء إليه وجد في قلبه بغضاً ومقتاً له.

○ من وجدَ هذا من نفسه فقد صحَّ إيمانه ؛ بل هو علامة على وثوقه وكمالهِ ؛ ففي مسند

أبي داود الطيالسي من حديث معاوية بن سويد بن مقرن عن البراء بن عازب قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((

قلنا : الصلاة ؛ قال :))

قلنا : الصيام ؛ فقال مثل ذلك ، حتى ذكرنا الجهاد فقال : مثل ذلك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((

○ وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((

)) . رواه أبو داود وغيره.

○ قال ابن القيم رحمه في إغاثة اللهفان شارحاً هذا الحديث : (فإن الإيمان علم وعمل والعمل ثمرة العلم وهو نوعان : عمل القلب حبا وبغضا ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلا وتركا وهما العطاء والمنع ؛ فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالى كان صاحبها مستكمل الإيمان وما نقص منها فكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه) . اهـ.

● : إثبات أن محبة الله تعالى مقدمة على محبة غيره ، وأن الله أحب إلى العبد مما

سواء، وأن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بين لنا هذا الدين أحب إليه مما سواه من الخلق.

○ من كان هذا حاله وجد حلاوة الإيمان كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

:

((

○ هذه الأمور الثلاثة يترتب بعضها على بعض.

أما أسباب البراءة المتعلقة بالمتبراً منهم وهم المشركون والكفار فمنها:

● ١: محادّتهم لله ورسوله، وبغضهم لما يحبه الله، ومحبتهم لما يبغضه الله، وسعيهم في محاربة دينه، ومن كان هذا حاله فهو مستحق لأن يعادى ويتبرأ منه مهما كانت قرابته، قال الله تعالى:

[المتحنة: ٢١].

● ٢: أنهم أعداء للمؤمنين يجتهدون في إعناتهم والمشقة عليهم وإفساد أمورهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وإذا تمكنوا من المؤمنين ساموهم سوء العذاب.

○ قال الله تعالى:

[المتحنة: ٢٢]، وقال:

[آل عمران: ١١٨].

● ٣: سعيهم للصدّ عن سبيل الله عز وجل بأقوالهم وأعمالهم، وقولهم على الله بلا علم وافترائهم الكذب على الله ليضلوا الناس بغير علم، وتنيهم كفر المؤمنين كما قال الله تعالى عنهم:

[المتحنة: ٢٢]، وقال تعالى:

()

() [هود: ١٨، ١٩] فكان من أول الصفات التي وصف الله بها الظالمين أهل النار صدهم عن

سبيل الله.

○ وذلك كما قال الله تعالى :

()

[الأعراف: ٤٤ ، ٤٥].

○ الصد عن سبيل الله شأنه عظيم وهو ظلم مبين لأن فيه إغواء للناس عن سلوك الصراط المستقيم المفضي إلى رضوان الله وجنات النعيم ، فمن صد الناس عن سبيل الله فلا شك أنه ظالم معتدٍ مستحق للعذاب والبراءة منه ومن فعله.

● ٤ : حسدهم للمؤمنين وتمنيهم زوال الخير عنهم كما قال الله تعالى عنهم :

[البقرة: ١٥].

● ٥ : كفرهم بنعم الله جل وعلا ومقابلتها بالشرك والفسوق والعصيان

()

()

[إبراهيم: ٢٨ - ٣٠].

● البراءة من الشرك وأهله أصل عظيم من أصول الدين ، وحدّ من حدود الله ، وله أسبابه المبيّنة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

مقاصد البراءة من الشرك وأهله فهي:

● ١ : رعاية حدود الله عز وجل ، وأعظم الحدود ما جعله الله من الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ، وسمى الله المشركين محادين له ولرسوله ، فهم في حد ، والمؤمنون في حد.

○ البراءة من الشرك وأهله هي من القيام لله بما يجب ، وهي واجب من واجبات الإيمان ،

[المائدة: ٨].

وقد قال الله تعالى للمؤمنين :

● ٢ : إنكار المنكر العظيم الذي لا أعظم منه وهو الشرك بالله جل وعلا فهو أنكر المنكرات وأكبر الكبائر وإنكاره من أوجب الواجبات وأعظم الحقوق.

● ٣ : التنصّل من موافقة المشركين على دينهم وإقرارهم لما هم عليه من الشرك ، وقد

علمنا ما توعد الله به أهل الشرك من العذاب المهين والغضب الشديد والخلود في النار.

○ إذا علم المؤمن بعظيم مقت الله للكفار حرص على التنصل من موافقتهم على ما مقتهم الله عليه أو إقرارهم عليه ؛ وقد قال الله تعالى فيهم :

[لغافر: ١٠].

● **٤:** رجاء أن يقلع المشرك عن شركه إذا وجد من المؤمنين بغضاً لما يفعله من الشرك ومجانبة والامتناع عن بعض التعاملات معه فلا تؤكل ذبيحته ولا يشرب في آنيته ولا يرث ولا يورث ولا يناكح ولا يوالى ولا يتشبه به في شيء مما يختص به إلى غير ذلك من الأحكام.

○ هذه المجانبة قد تحمل بعض الكفار على الإسلام ، وقد أسلم لهذا السبب عدد منهم.

● **٥:** الاعتزاز بدين الله تعالى والاستغناء به جل وعلا ، فإن الله لما أمرنا بالبراءة من الشرك وأهله علمنا أن الله تعالى قد أغنانا عنهم بفضله وأعزنا بدينه ، فإن الله أكمل لنا الدين ، ومن إكماله أنه واف بما نحتاجه في جميع شؤوننا ، وما يقع فيه بعض المسلمين من موالاته الكفار هو من مظاهر ضعف اعتزازهم بدين الله عز وجل.

● **٦:** النصيحة للمسلمين وبيان الحق لهم فإن موالاته الكفار قد تغرّب بعض المسلمين ففتنهم عن دينهم.

غاية البراءة من المشركين

● الغاية التي تنتهي عندها هذه البراءة فهي إيمان من أمرنا بالبراءة منه فإذا آمن فهو من إخواننا نحبه ونواليه كما قال الله تعالى :

[المتحنة: ٤].

○ إذا آمنوا بالله وحده لا شريك له وكفروا بما يعبد من دونه فهم من المؤمنين نحبههم ونواليهم ، وقد قال الله تعالى عن المشركين :

[التوبة: ١١].

● من تأمل مقاصد البراءة الإيمانية عرف سموها وجلالة قدرها ، وعظيم حلم الله تعالى وسعة مغفرته وأنه هو التواب الرحيم والعتو الحلِيم وأنه يقبل التوبة ممن تاب ولو كان مشركاً.

مميزات البراءة من الشرك في الإسلام:

- : فمدار الحب والبغض فيها على ما يحبه الله ويبغضه الله ، ومن كان هذا حاله فقد أسلم قلبه لله.
- : لا تخلو منها لحظة من لحظات حياته فهو وإن لم يستشعرها فهو مستصحب لحكمها ، وهذا البغض عبادة قلبية عظيمة.
- : وعلى تحقيق المصالح الشرعية ودرء المفاسد فهي ليست بغضاً أهوج ، ولا عاطفة عمياء. بل لها أحكام سنوضحها إن شاء الله.
- فهذه البراءة تخلو من آثار البراءة الجاهلية العمياء.
- الولاء والبراء أمر فطري وما من شخص إلا وهو يوالي ويعادي.
- من جعل موالاته ومعاداته لله فقد استكمل الإيمان ، ومن جعل موالاته ومعاداته على أمر جاهلي فهو امرؤ فيه جاهلية.
- جاء الإسلام بتهذيب الولاء والبراء وتصحيح مساره ، وتقويم منهجه ، وبيان أحكامه ، فصحح ما يعقد عليه الولاء والبراء ، وصحح معنى الولاء والبراء ، وبين منهجه الذي ينتهجه المؤمن بلا غلو ولا تفريط ، وبين أحكامه وما يجوز فيه وما لا يجوز ، وبين الحقوق التي يجب حفظها ولا يجوز الاعتداء عليها حتى مع المخالفين.
- مما يجب أن يُعلم أن هذا الولاء والبراء محكوم بأحكام الشريعة ، ومن سار على ما بينه الله من الهدى في هذا الباب العظيم لم يحصل منه ما يحصل من آثار الولاء والبراء الجاهلي الذي يُعقد على عرق أو بلد أو حزب أو جماعة أو غيرها من الأسباب الجاهلية التي يعقد عليها الولاء والبراء.
- البراءة في الإسلام لا يخرج عن مقتضى العدل والإحسان ، بل كل أحكام الشريعة لا تخرج عن مقتضى العدل والإحسان كما قال الله تعالى :

[النحل : ٩٠] ،

[البقرة : ١٨٣] .

وقال :

- نهى الله عن الاعتداء على الكفار كما قال تعالى :

[البقرة: ١٩٠].

- اقتران النهي عن العدوان بالقتال في سبيل الله يدل على الرسالة السّامية للإسلام.
- إذا كان بيننا وبين الكفار عهد وخبنا منهم الخيانة ونقض العهد وقامت قرائن وأمارات على ذلك لم يجز أن نبدهم بالقتال حتى نعلمهم بنذ عهدهم إليهم كما قال الله تعالى:

[الأنفال: ٥٨].

- لم يرض الله لأوليائه أن يكونوا خائنين، ولم يرض لأوليائه أن يكونوا معتدين، ولم يرض لأوليائه أن يكونوا ظالمين.
- المؤمنون وإن كانوا يبغضون الكفار بغضاً شديداً ويعادونهم في الله إلا أنهم لا يحملهم ذلك على ظلمهم والاعتداء عليهم كما أرشدنا الله تعالى بقوله:

[المائدة: ٢]، وقال تعالى:

[المائدة: ٨].

- بل إن الله يحب لأوليائه أن يكونوا محسنين مقسطين، وأن تكون معاملتهم للناس حسنة يزينها الصدق والوفاء بالعهد وحسن القول والخلق كما قال الله تعالى:

()

[المتحنة: ٨ ، ٩].

- المنهي عنه أن تتولاهم فنناصرهم على المسلمين بأن ندلهم على عورة من عورات المسلمين، وأن نعينهم على المسلمين بأي نوع من أنواع الإعانة.
- الإحسان إلى من ليس من أهل الحرب والقتال بما لا يعين على المسلمين ليس بمنهي عنه، بل هو من القسط الذي يحبه الله.
- ينبغي أن نفرق بين حسن المعاملة والمحبة القلبية؛ فمودة الكفار ومحبتهم محرمة في دين الإسلام، بل إن بغضهم من لوازم الإيمان، ونحن إنما نبغضهم لما أبغضهم الله عليه من الكفر والفسوق والعصيان، لا نبغضهم لذواتهم وهيتاتهم وأنسابهم وأعرافهم وبلدانهم، ولذلك

فإنهم إن تابوا وأسلموا أحببناهم لزوال مقتضى البغض والكراهية.

• أما التعامل معهم فيكون وفق أحكام الشريعة، وقد أمرنا الله تعالى بأن نقول للناس حسناً، وأن نعاملهم بالحسنى، وألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، ويجب علينا أن نفي بالعهد بيننا وبينهم، وإذا ائتمنا أحد منهم أدينا له الأمانة، وندعوهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن، ونبين لهم أخلاق أهل الإسلام، ودعوة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى مكارم الأخلاق.

• كل ما سبق مطلوب، ولا يقتضي محبتهم القلبية وهم مقيمون على الكفر والفسوق والعصيان، لأن تعامل المؤمن نابع من إيمانه وامتناله لأحكام الشريعة السمحة وأخلاق القرآن العظيم.

• أما الكفار المحاربون والمعتدون الظالمون من الكفار والمنافقين فقد أمرنا بالغلظة عليهم، كما قال الله تعالى: [التوبة: ٧٣] فالذين يستحقون أن نجاهدهم أمرنا بالغلظة عليهم.

• هذه الغلظة لها حدودها الشرعية فلا يجوز أن تفضي بالمسلم إلى قول ما لا يجوز قوله ولا على العدوان والبغي.

• تبين مما سبق أن البراءة في الإسلام لها مقاصد سامية، وآداب عالية، وأنها ليست كالبراءة الجاهلية المبنية على الظلم والعدوان وقول الإثم والبهتان، وغضب الحقوق والدعاوى الباطلة.

• وأن البغض الإيماني ليس حقداً عنصرياً ولا كرهاً أعمى، بل هو بغض إيماني له أسباب ومقاصد وغاية كما تقدم.

• ونحن مع بغضنا لهم بسبب أعمالهم وكرهنا ومقتنا لكفرهم وفسوقهم وعصيانهم نود لهم الهداية ونسأل الله أن يخرجهم من الظلمات إلى النور وندعوهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن، رجاء أن يمين الله عليهم بالهداية فنواليهم بعد المعادة ونحبهم بعد البغض كما قال الله تعالى:

معنى الموالة

- الموالة تطلق على معنيين بينهما تناسب وتلازم وهما التحاب والتناصر.
- تطلق الولاية في اللغة على المحبة والنصرة وعلى ما ينشأ منهما؛ فالخليف ولي، والكفيل ولي، والقيم على من تحته ولي كولي اليتيم وولي المرأة.
- لفظ "المولى" يُطلق في اللغة على معانٍ متعددة، ويجمعها أن لكل موالة سبباً تنعقد عليه ومقتضى تقتضيه بحسب نوع تلك الولاية.
- الأسباب التي تنعقد بها الولاية تختلف باختلاف نوع تلك الولاية؛ فالقريب وليّ لقربه بسبب القرابة، والقيم على المرأة واليتيم وليّ لهما بسبب القوامة والرعاية، والكفيل وليّ لمكفوله بسبب عقد الكفالة والضمان، والخليف وليّ لخليفه بسبب الخلف، وولي الدم هو المطالب به من عصبة القتل.
- السيّد وليّ لمملوكه بسبب استرقاقه له، ويبقى الولاء له بعد عتقه - إن أعتقه - ويرث بسببه، وكلاهما مولى للآخر.
- تطلق الولاية في اللغة على هذه المعاني وغيرها، ولها في كل مقام من هذه المقامات ما يناسبه، وما تقتضيه من الحقوق والواجبات.
- المعنى الجامع لما تقتضيه الولاية من المولى هو النُصرة، فالوليّ نصير لمولاه، والنصرة معنى جامع ينتظم جميع ما تقتضيه الولاية في كل مقام بحسبها؛ فتكون النصرة بالمال والجاه والرعاية والمؤازرة وغيرها من المعاني اللائقة بكلّ نوع من أنواع الموالة، وكل هذه المعاني يصدق عليها في اللغة اسم النصرة.
- الولي هو الذي يقوم بما تقتضيه الولاية في كل موضع بحسبه من المحبة والموافقة والتأييد والسعي فيما يجبه المولى.
- يكثر الاقتران بين الولاية والنصرة في القرآن الكريم قال الله تعالى عن نفسه المقدسة:

آل

[الأنفال: ٤٠]، وقال:

[الشورى: ٤٦] وقال:

عمران: [١٥٠]، وقال:

إلى [النساء: ٨٩]

[الشورى: ٨] وقال:

غير ذلك من الآيات تدل على أن النصره من مقتضيات الولاية وأنها هي مقصودها، وبدونها لا تصح الولاية.

○ الولاية أصلها المحبة والموافقة، ومقتضاها النصره والتأييد؛ فمن شأن الولي أنه ينصر مولاه.

● النصره علامة على صدق الولاية، فمن قام بواجب النصره فقد أدى حق الولاية، ومن خذل مولاه ولم ينصره فإنه لم يقيم بواجب الولاية، وأما من سعى في مشاقته ومحاربه فهو عدو له وليس بمولى، وإن تظاهر بالولاية.

● يستفاد من هذا أن أولياء الله هم الذين ينصرون الله عز وجل فيقومون بما تقتضيه محبته جل وعلا من تحقيق ما يحبه الله ويرضاه واجتناب ودفع ما يكرهه ويبغضه فيجاهدون في سبيله لإعلاء كلمته بما أمكنهم من الوسائل المشروعة؛ فمن فعل ذلك فهو من أولياء الله.

● ومن قام بضد ذلك بأن والى أعداء الله فنصرهم وأيدهم على محاربة دين الله فليس من أولياء الله، بل هو من أعداء الله، لأن هذه الأعمال تنافي محبة الله.

○ لا تحصل هذه الخصلة من المؤمنين وإنما تحصل من المنافقين النفاق الأكبر والعياذ بالله؛ فهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

معنى اتخاذ الكفار أولياء

● اتخاذ الكفار أولياء يطلق على معنيين:

○ : أن ينصر المنافق الكافر على المؤمنين وعلى محاربة دين الله عز وجل ومحادة الله ورسوله.

○ : أن يستنصر به على ذلك.

● إذا حصل هذا أو هذا فقد اتخذ ولياً، وكلاهما ولي للآخر، بينهما رابط الولاية.

● هذا التعبير من روائع التعبير القرآني لأن فيه اختصاراً بديعاً مع الدلالة على المعنى، والتنبية على العلة، وإلغاء الفارق في الوصف بين الحالتين، والإبقاء على رونق اللفظ وحسن السبك.

● من صفات المنافقين الملازمة لهم وعلاماتهم الظاهرة وأعمالهم المتواترة أنهم يتخذون

الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

- جعل الله هذا الأمر من أول ما وصف به المنافقين، وأعظم ما مقتهم عليه، وتوعدهم بسببه العذاب الشديد.

• قال الله تعالى:

()

() [النساء: ١٣٨، ١٣٩]

• إلى أن قال:

()

()

()

() [النساء: ١٤٤ - ١٤٧].

• وقال تعالى:

() [المائدة: ٥١] إلى قوله

تعالى:

() [المائدة: ٥٧].

- لما ذكر الله الذين كفروا من بني إسرائيل بين لنا أن من أعظم ما مقتهم عليه أنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين فقال تعالى:

()

() [المائدة: ٨٠، ٨١]

- اتخذ المنافقين للكفار أولياء قد بين الله تعالى تفاصيله في كتابه الكريم إذ قال الله تعالى:

()

()

() [الحشر: ١١ - ١٣].

○ هذه الآيات تبين لك بياناً جلياً معنى اتخاذ الكفار أولياء.

● إذا تأملت ما ذكره الله من التحذير من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين تبين لك أن هذا الأمر حدّ عظيم من حدود الله جل علا ، وأنه فارق بين الكفر والإيمان ، وأن الله قد توعد من فعله وعيداً شديداً ، وعدّ من فعله عدواً له ، ونفى عنه الإيمان ، وأوجب له الدرك الأسفل من النار ، لما تضمنته هذا العمل من الخيانة العظمى ، والخديعة الكبرى ، ومحاربة الله ورسوله وأوليائه.

● لذلك لا يفعله من في قلبه إيمان ، وإنما هو من خصال المنافقين النفاق الأكبر والعياذ بالله.

● نزه الله تعالى عباده المؤمنين ويرأهم من هذه الخصلة الذميمة اللثيمة المبنية على الخداع والمكر والكيد للمؤمنين ومؤازرة الكافرين ؛ فقال الله تعالى :

﴿آل عمران : ٢٨﴾.

● قال ابن جرير : (ومعنى ذلك : لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم ، وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين ، وتدأونهم على عوراتهم ، فإنه مَنْ يفعل ذلك

﴿آل عمران : ٢٨﴾ يعني بذلك : فقد برئ من الله وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر).

● ﴿آل عمران : ٢٨﴾ هذا استثناء منقطع ، وفي معناه قولان للسلف :

● : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ؛ فتظهروا لهم الولاية وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على دينهم ولا تعينوهم على مسلم بشيء.

○ هذا القول مروى عن جماعة من المفسرين منهم ابن عباس وأبو العالية الرياحي وجابر بن زيد ، وقال به ابن جرير الطبري.

○ دلّ هذا القول على أنّ المؤمن إذا خشى من الكفار ضرراً لا يحتمله ؛ فلا بأس أن يداريهم مداراة يدفع بها شرهم مع انطواء القلب على بغضهم وبغض ما يفعلون من الكفر والفسوق والعصيان.

○ معنى كون الاستثناء منقطعاً يفيد أن هذه المداراة ليست موالاة للكفار.

• : [آل عمران: ٢٨] أي إلا أن يكون بينكم وبين بعض الكفار رحم فتتقون قطيعتها فتصلونها من غير أن تتولوهم في دينهم. وهذا قول قتادة والحسن البصري.

○ صحَّح ابن جرير هذا القول من جهة المعنى في نفسهن لكنه بين أن لفظ الآية لا يدل عليه.

• المعنى الذي ذكره قتادة والحسن يدل عليه نصّ قول الله تعالى في الأبوين الكافرين: [لقمان: ١٥]. وقوله:

[المتحنة: ٨] وسبب نزولها في قصة أم أسماء بنت أبي

بكر رضي الله عنهما.

درجات الكفار

• بيّن الله تعالى في كتابه أن الكفار على ثلاث درجات: الأبوين الكافرين، والذين لم يقاتلوا المؤمنين ولم يعينوا عليهم، والمحاربون والمعينون على قتال المؤمنين والعدوان عليهم، وجعل لكل درجة حكماً.

• أما الأبوان الكافران فأمر الله بإحسان صحبتتهما، وكذلك الأرحام الذين ليسوا من أصحاب الدرجة الثالثة، قال الله تعالى فيهما:

()

() [لقمان: ١٤، ١٥].

• وأما أصحاب الدرجة الثانية فقال الله تعالى فيهم:

() [المتحنة: ٨].

• وأما أصحاب الدرجة الثالثة فقال الله تعالى فيهم:

() [المتحنة: ٩].

○ أي يتخذهم أولياء كما يفعل المنافقون.

○ قال ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: [المتحنة: ٩] أيها

المؤمنون [المتحنة: ٩] من كفار أهل مكة

[المتحنة: ٩] يقول: وعاونوا من أخرجكم من

دياركم على إخراجكم أن تولوهم، فتكونوا لهم أولياء ونصراء: [المتحنة: ٩]

يقول: ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء [المتحنة: ٩] يقول:

فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولوهم، ووضعوا ولايتهم في غير موضعها، وخالفوا أمر الله في ذلك).

حكم موالاة الكفار

- موالاة الكفار ردة عن دين الله تعالى، وهي ناقض من نواقض الإسلام والعياذ بالله.
- الموالاة تشمل محبتهم لدينهم والرضى به ومناصرتهم على المسلمين وعلى محادة الله ومحاربة دينه فهذا ناقض من نواقض الإسلام.
- بعض علماء الدعوة يفرقون بين الموالاة والتولي في الحكم، وهذا التفريق لا أعرفه عن السلف ولا تقتضيه اللغة فالموالاة والتولي في اللغة وفي استعمال السلف واحد وكلاهما يدل على اتخاذ الكفار أولياء.
- ما يذكره بعضهم في تفسير الموالاة بمحبة بعض أهل الكفر على أمر دنيوي من غير اتخاذهم أولياء فهذه ليست موالاة على الحقيقة، ولها أحكامها.
- يجب التفريق بين هذين القسمين من المسائل؛ فالله تعالى قد جعل موالاة الكفار وتوليهم حداً من الحدود الفارقة بين الإسلام والكفر.
- الموالاة هي: التوافق والتناصر على محاربة الإسلام والمسلمين، فمن تحالف مع الكفار لمحاربة المسلمين فقد اتخذهم أولياء وارتدّ بذلك عن دين الإسلام.
- وأما محبة بعض الكفار على أمر دنيوي لا حرب فيه على المسلمين ومصاحبتهم ومعاشرتهم ومعاملتهم فلها له أحكام أخرى؛ منها ما هو مشروع مأمور به بضوابطه الشرعية، ومنها ما هو محرم لا يجوز، وهي ليست من موالاة الكفار.

- ما ذكره المفرّقون بين الموالاتة والتولّي من أمثلة الموالاتة التي ليست بتولٍّ هي في حقيقتها من مظاهر التساهل في التعامل مع الكفار أو من ذرائع الموالاتة؛ فالخلاف هو في تسمية تلك المظاهر موالاتة.
- تولّي الكفار هو اتخاذهم أولياء، وكذلك هي موالاتهم، والعبرة بالمعنى الشرعي الذي علّق به الحكم.
- قال الله تعالى:

()

() [المائدة: ٨٠، ٨١]؛ فاتخاذهم أولياء هو

بمعنى توليهم.

- لا يجوز لمسلم أن يتولى الكفار ولو كان من تولاه أحد أبويه أو من عشيرته فاتخاذهم أولياء وإعانتهم على دعوة الإسلام وعلى المسلمين كفر وردة عن دين الله عز وجل.
- وأما مصابحتهم ومعاشرتهم والإحسان إليهم من غير موالاتة فليست من هذا الباب، وهي على درجات ولها أحكام.

○ قال الله تعالى:

[لقمان: ١٥] فهذه المصاحبة بالمعروف واجبة على المسلم الذي له

والدان كافران، وليست هذه المصاحبة بالمعروف من الموالاتة في شيء.

○ وقال تعالى:

[التوبة: ٢٣].

○ أمر الله تعالى بمصاحبتهم بالمعروف ونهى عن اتخاذهم أولياء وحذر من ذلك، ووصف من فعل ذلك بأنه من الظالمين المتوعدين بالعذاب الشديد؛ فعلم أن مصاحبتهم بالمعروف ليست من الموالاتة في شيء.

- قال ابن جرير رحمه الله في تفسير آية التوبة: (يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفتشون إليهم أسراركم، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله، وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام

[التوبة: ٢٣] ، يقول: إن اختاروا الكفر بالله، على التصديق به

والإقرار).

• هذا التفسير من ابن جرير هو الحق وهو الذي تقتضيه دلالة النصوص؛ فمناصرة الكفار على المسلمين وموالاتهم كفر وردة عن دين الله عز وجل، ولو كان الذين والوهم آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم.

• من فقه مقاصد الشريعة فقهاً صحيحاً اتضحت له حدود الله عز وجل التي بينها في كتابه الكريم.

• إذا تبين هذا فكل ما أذن الله به في معاملة الكفار من مصاحبة بالمعروف ومعاشرة الرجل لزوجته الكتابية، والإحسان إلى من أذن الله بالإحسان إليهم من الكفار كل ذلك ليس من موالاتهم في شيء.

• وكذلك الثناء على بعض الخصال الحسنة لدى بعض الكفار ليس من موالاتهم بل هو جائز لا بأس به، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بعض الخصال الحسنة لدى بعض الكفار، وقال لأشج عبد القيس: ((

○ لكن ينبغي ألا يتخذ ذلك ذريعة لمحبة باطلهم أو الاغترار بما لدى بعضهم من خصال حسنة فيعتقد أنهم على الحق في دينهم.

سد الذرائع المفضية إلى موالات الكفار

• جاءت الشريعة بسد الذرائع المفضية إلى موالات الكفار، فنهى الله تعالى عن اتخاذهم بطانة؛ فقال الله تعالى:

[آل عمران: ١١٨].

• اتخاذهم بطانة يؤنس بهم ويستشارون أو يُطلعون محرم في دين الإسلام، لكنها ليست موالاتاً، وإنما هي ذريعة إلى الموالات، وفرق بين الأمرين، وقد خاطب الله المؤمنين الذين نزلت فيهم هذه الآية باسم الإيمان.

• روى ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كان رجال من المسلمين

يوصلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم، ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم:

[آل عمران: ١١٨] إلى قوله: [آل عمران: ١١٩].

- هؤلاء الذين نزلت فيهم الآية ليسوا متولين للكفار ولا محبين لدينهم ولا مناصرين لهم على المسلمين، وإنما كان ما فعلوه محرماً لأنهم قد يفضي بهم إلى موالة الكفار، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.
- من أفضت به هذه الخصلة إلى موالة الكفار ومناصرتهم ارتدّ بسبب ذلك، ومن لم تُفض به إلى الموالة فهو آثمٌ فاسقٌ بمعصيته ولا يحكم بكفره.
- من تودد إلى الكفار المحاربين بغية تحقيق مصلحة دنيوية من غير أن ينطوي قلبه على محبة الكفار ومحبة دينهم ولا أن يكون في ذلك مناصرة للكفار على المسلمين فهو فاسق مخالف لهدى الله تعالى لكنه لا يكفر بمجرد ذلك.
- لا يسمى فعله موالة وإنما هو ذريعة للموالة جاءت الشريعة بسدها كما في قوله تعالى:

[المتحنة: ١].

- وكذلك الثناء على بعض الخصال المحرمة لدى بعض الكفار ومحبتها أمر محرّم لا يجوز، كالثناء على غناء المغنين منهم، وكذلك التعاون معهم على بعض المعاصي كالغناء وغيره من الأعمال المحرمة هو حرام لقول الله تعالى:

[المائدة: ٢٢].

- أمّا إذا أفضى هذا التعاون إلى اتخاذهم أولياء ومناصرتهم على المسلمين فهي ردة عن دين الإسلام.

- بعض الأعمال تكون صورتها الظاهرة واحدة، ويختلف حكمها باختلاف الباعث عليها؛ فقد يفعلها بعضهم ويكون آثماً فاسقاً ولا يحكم بكفره، ويفعلها بعضهم ويكون مرتداً عن دين الإسلام.

- من كان قصده من التعاون مع هؤلاء الكفار اتخاذهم أولياء ومحاربة دين الإسلام

والمناصرة على المسلمين وإفساد أخلاقهم لأجل أن ينتصر عليهم الكفار فهذه ردة عن دين الإسلام.

• ومن لم يقصد ذلك وإنما أراد ما دونه من اللهو المحرّم ونحوه من غير قصد مناوأة دين الله فقد أتى منكراً عظيماً يخشى عليه من مغبته.

• استفصل النبي صلى الله عليه وسلم من حاطب بن أبي بلتعة لما كان معروفاً بالإيمان والخير ونصرة الله ورسوله ، ولم يستفصل من المنافقين الذين والوا اليهود لعلمه بحالهم.

• حاطب رضي الله عنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقصده ، وصدّقه فيما ذكر أنه لم يفعل ذلك رضى بالكفر بعد الإسلام ؛ فصدّقه النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر بصدقه.

• في رواية أن حاطباً رضي الله عنه قال : (يا رسول الله ! أما والله إني ناصحٌ لله ولرسوله ، ولكنني كنت غريباً في أهل مكة ، وكان أهلي بين ظهرائهم ، وخشيت عليهم ؛ فكتبت كتاباً لا يضرّ الله ورسوله شيئاً ، وعسى أن يكون منفعَةً لأهلي).

• دلّ سؤال النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً عما حمّله على ما صنع على اعتبار القصد.

• ودلّ إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بصدق حاطب فيما قال ؛ على أن الحكم على من فعل مثل فعله بما يظهر من صدقه.

• بعض العلماء يُطلق على بعض الأعمال بأن فيها نوع موالاتة أي أنها ليست صريحة في الموالاتة ، وهذا في حال الحكم على بعض الأعمال الظاهرة التي لا يتبيّن قصدُ فاعلها أو أن فاعليها على مراتب فيها.

• التشبه بالكفار الأصل فيه التحريم ، ومنه ما يصل بصاحبه إلى الكفر ومنه ما هو دون ذلك ، وليس كل تشبه موالاتة.

أقسام المسلمين في البراءة من الكافرين

- إذا تبين ما سبق عرفت أن المسلمين في البراءة من الكفار على ثلاثة أقسام :
 - فارتكبوا من الظلم والعدوان والتنفير
 - عن دين الله عز وجل ما لا يحل لهم ، وهم مخطؤون في ذلك خطأ شنيعاً.
 - حتى حصلت منهم مودة ومحبة للكفار في بعض

- شؤون دينيهم من غير أن يتخذوهم أولياء، وإنما خالفوا هدى الله ففعلوا ما لم يأذن الله به.
- فأصحاب هذين القسمين مخالفون لهدى الله خاطؤون مذنبون.
- فتبرؤوا من الكفر وأهله وعاملوهم
- بمقتضى شرع الله فأحلوا ما أحله الله وحرّموا ما حرّمه الله ورعوا فيهم حدود الله.
- فهؤلاء هم الموفقون الناجون.

أحكام معاملة الكفار

- بيّن الله تعالى في كتابه الكريم أحكام معاملة الكفار وبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أراد تفاصيل ذلك فليطلبه بتعلم هذه المسائل في كتب الفقه.
- حرّم الله مناكحة المشركين الوثنيين وحرّم ذبائهم، وأباح نكاح الكتابيات وأباح طعام أهل الكتاب، وحرّم استعمال آنية الكفار، وحرّم التشبه بهم، وبين أحكام التهادي بين المؤمنين والكافرين وما يجوز منه وما لا يجوز، إلى غير ذلك من الأحكام التي يحتاج طالب العلم إلى تعلمها، ولا سيما من يتلى بمعاملة الكفار كثيراً؛ فيعرف ما يحل له وما لا يحل له، مع انطواء قلبه على محبة الله ورسوله وبغض الشرك وأهله.

حكم تهنئة الكفار بأعيادهم

- لا تجوز تهنئة الكفار بأعيادهم، ويختلف حكم المهنتى باختلاف قصده.
- من هنأ الكفار بأعيادهم الكفرية رضا بما يصنعون فهو كافر مرتدّ عن دين الإسلام والعياد بالله.
- ومن هنأهم بعبارات فيها مجاملة لا يريد بها التعبير عن الرضا بعقيدتهم فهو قد ارتكب حراماً لكن لا يُحكم بكفره ما دام قلبه منكراً كفرهم.
- قال ابن القيم رحمه الله: (وأما التهنة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يُهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهناً بهذا العيد ونحوه؛ فهذا إن سلّم قائله من الكفر فهو من المحرّمات، وهو بمنزلة أن تُهنئة بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشدّ مَقْتاً من التهنة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام

ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنا عبد بمعصية أو بدعة أو كُفِّرَ فقد تعرّض لمقت الله وسخطه) ا.هـ.

○ وقال ابن عثيمين رحمه الله: (يُحرم على المسلمين التّشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة، أو تبادل الهدايا، أو توزيع الحلوى، أو أطباق الطعام، أو تعطيل الأعمال ونحو ذلك، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ تشبه بقوم فهو منهم) ا.هـ.

○ وأما من شاركهم ليطعم معهم أو ليستمتع بفسقهم وغنائهم فقد أتى محرماً عظيماً، ولا يحكم بكفره ما دام قلبه منكراً لكفرهم وشركهم.

أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (١)

هذه أسئلة وتطبيقات افتراضية ولها أمثلة في الواقع لقياس فهم الطلاب لمقاصد الدروس السابقة.
س١: رجل وجد دعاية لدورة تدريبية تنظمها إحدى المؤسسات، وهذه الدورة تدرّس نظريات تثبت - على قولهم - أن كل الأفعال التي يعتبرها الناس خاطئة يمكن تبريرها ولها دوافع إيجابية، وأن النظر إليها نظرة إيجابية هو الموقف الصحيح لتقبل الآخرين والتعايش معهم كما هم. ما حكم الالتحاق بهذه الدورة؟ اذكر الدليل على ذلك.

س٢: رجل لديه اضطراب في النوم، وكثيراً ما ينام عن صلاة الفجر، هل يصح له أن يدعو غيره إلى أداء صلاة الفجر مع جماعة المسلمين؟

س٣: رجل مرّ برفقة عائلته على قوم يشربون الخمر، وخشي أنه إذا أنكر عليهم اعتدوا على أهله، فهل ينكر عليهم؟

س٤: رجل وجد مُلجداً ينكر وجود الخالق عز وجل، فكيف يلزمه بالحجة على ذلك؟

س٥: اشترك رجل مسلم مع رجل نصراني في مصنع لتصنيع الأواني وبيعها، فما حكم ما فعله المسلم؟

٦: ألقت الشرطة القبض على عصابة مكونة من خمسة أفراد هم:

١: خالد (مسلم)

٢: زيد (مسلم)

٣: ماريا (نصرانية)

٤: ووتش (نصراني)

٥: اليعازر (يهودي)

تقوم هذه العصابة بالنصب والاحتيال والسرقة؛ فما حكم ما فعله خالد وزيد؟ وهل هو ردة عن دين الإسلام؟

س٧: طالب مسلم مبتعث للدراسة في الخارج، وتعرف على طالبة نصرانية واتخذها عشيقة له؛ فما حكم ما فعله هذا الطالب؟ وهل هو ردة عن دين الإسلام؟

س٨: باحث متخصص في إعداد الدراسات والبحوث، اجتمع به موظف استخبارات من دولة كافرة، وطلب منه التعاون في إعداد بعض الدراسات عن الأنشطة الدعوية في بلد من بلدان

المسلمين وتعريفه بمصادر تمويلها وأثر هذه النشاطات على أهل ذلك البلد، وأن يقدم له التوصيات المناسبة لتحجيم دور هذه النشاطات ومنع تمويلها وتشويه جهود القائمين عليها، فقام هذا الباحث بإعداد هذه الدراسة، وقدمها لموظف الاستخبارات، وحصل بموجب ذلك على مبلغ مالي وحوافز تشجيعية.

السؤال : ما حكم ما فعله هذا الباحث؟

الدرس السادس: شرح الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه جل وعلا

قال رحمه الله:

(اعلم أَرشَدَكَ اللهُ لِبَطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ - : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

[الذاريات: ٥٦]، وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُوحِدُونَ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشُّرْكَ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النساء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟
فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّي اللهُ الَّذِي رَبَّنَا، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ: مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

وَأَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا.

[غافر: ٥٧].

وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[افصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

[الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ : هُوَ الْمَعْبُودُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

()

[البقرة: ٢١ - ٢٢]

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : (الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ).

عناصر الدرس :

- بيان معنى الحنيفية.
 - الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام
- بيان معنى الإخلاص
- بيان أعظم ما أمر الله به وهو التوحيد.
- بيان أعظم ما نهى الله عنه وهو الشرك.
- بيان الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها وهي: معرفة العبد ربه ونبيه ودين الإسلام بالأدلة.
- دراسة الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه جل وعلا.
 - بيان معنى الرب.
 - بيان طرق معرفة العبد ربه جل وعلا.
 - أمثلة للآيات الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله عز وجل
 - حجج وجوب التوحيد في القرآن الكريم

شرح مقاصد الدرس

- تنبيه: هذا الدرس شروع في شرح رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها، والرسالتان السابقتان ملحقتان بهذه الرسالة كما تقدم بيانه.

بيان معنى الحنيفية

- الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباعها، وهي ملة التوحيد، وهي الدين القيم كما فسرت في النصوص.
- لما رأى إبراهيم عليه السلام قومه على الشرك في عبادة الله عز وجل بين لهم الأدلة على التوحيد وقال لهم ما حكى الله تعالى عنه:
[الأنعام: ٧٩] فدلّ على أنه هو الحنيف وهم غير حنفاء.

- حنيفاً أي مستقيماً موحداً.
- قال ابن جرير: (وأما "الحنيف"، فإنه المستقيم من كل شيء، وقد قيل: إن الرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له "أحنف"، نظراً له إلى السلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد "المفازة"، بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة، وكما قيل للديع: "السليم"، تفاعلاً له بالسلامة من الهلاك، وما أشبه ذلك). ا.هـ.
- ويقال: رجل يتحنف أي يتحرى أقوم الطريق.
- الحنيف هو المستقيم على الطريقة، والملة الحنيفية هي الدين المستقيم، وهو دين التوحيد، قال الله تعالى لنبيه الكريم:
[يونس: ١١٥] وقال:

[الروم: ٣٠] وقال الله

تعالى:

[البينة: ٥].

- هذه الآيات تدل دلالة بيّنة على أنّ الحنيفية هي الملة المستقيمة.
- في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم عن ربه جل وعلا أنه قال:))

- «. والاجتيال هو الميل عن القصد والاعوجاج في الضلالة، ومنه: المجول لاعوجاجه.
- قال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث وينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

هجوت مباركاً برّاً حنيفاً
أميناً الله شيمته الوفاء

○ حنيفاً: أي مستقيماً لا تجدون عليه مغمراً.

- تبين مما سبق أن الحنيفية هي الملة القويمية المستقيمة التي لا ميل فيها، ولا انحراف، ولا مطعن فيها، وهي ملة التوحيد.

الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام

- أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم الحنيفية، وأثنى الله تعالى في كتابه الكريم على إبراهيم بأنه كان حنيفاً في مواضع كثيرة من القرآن:
- قال الله تعالى:

البقرة: ١٣٥، وقال:

آل عمران: ٤٩٥، وقال:

النساء: ١٢٥، وقال:

الأنعام: ١٦١، وقال:

النحل: ١٢٣، وقال:

النحل: ١٢٠.

- الحنيفية التي مدحها الله عز وجل وأثنى على أهلها، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بها، وأمر بها عباده هي: أن يكونوا مستقيمين على الدين القيم لا يشركون بالله شيئاً، مخلصين العبادة لله جل وعلا.
- قال ابن تيمية: (القرآن كله يدل على أن الحنيفية هي ملة إبراهيم، وأنها عبادة الله وحده والبراءة من الشرك، وعبادته سبحانه إنما تكون بما أمر به وشرعه وذلك يدخل في الحنيفية ولا

يدخل فيها ما ابتدع من العبادات كما ابتدع اليهود والنصارى عبادات لم يأمر بها الأنبياء) ا.هـ.
 • قال: (وقال الأصمعي: من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عند العرب).

بيان معنى الإخلاص

- الإخلاص في اللغة: التصفية والتنقية
- ومعناه شرعاً: تخليص الأعمال من الشرك بالله جل وعلا، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة لا شريك له.
- من لم يعبد إلا الله فقد أخلص العبادة لله جل وعلا، وصفها ونقاها من عبادة غيره جل وعلا، وهذا هو التوحيد المأمور به.
- الإخلاص عبادة قلبية؛ فلذلك يتفاضل المخلصون في قوة الإخلاص.
- الإخلاص على درجات: أولها تخليص العمل من الشرك الأكبر، وهو ما لا يتم إسلام العبد إلا به، وأعلىها تحقيق مرتبة الإحسان في الإخلاص.
- يزداد الإخلاص بأمرين:
 - أحدهما: إحسان الإخلاص بقوة الاحتساب وتصفية العمل من شوائب ما يقدر فيه.
 - والآخر: الاستكثار من النوافل بعد الفرائض؛ لأن كل عبادة يؤديها العبد خالصة لله يزداد بها إخلاصاً.
- كلما كان العبد أكثر إخلاصاً كان أحب إلى الله تعالى وأقرب إليه، والدليل حديث الولي.
- وأسعد الناس بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.
- القلب السليم هو الذي سلم من الشرك وإرادة غير وجه الله تعالى.
- من أخلص العبادة لله فهو من المسلمين الموعودين بدخول الجنة والنجاة من النار.
- ومن لم يخلص لله تعالى فهو مشرك كافر مخلد في عذاب جهنم. والعياذ بالله.
- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة وقلت أخرى، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «

«، وقلت أنا: (من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة) رواه

البخاري.

• ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه صحّ مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ففي صحيح البخاري من حديث أبي ذر مرفوعاً: ((

• للإخلاص فضائل عظيمة:

○ منها: أنه سبب النجاة من عذاب النار ودخول الجنة.

○ ومنها: أنه شرط لقبول العمل.

○ ومنها: أنه سبب التخلص من تسلط الشيطان وإغوائه لدلالة قوله تعالى:

[ص: ٨٢، ٨٣]، قال أبو سليمان

()

الداراني: (إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء).

○ ومن فضائله: أنه السبب الأعظم لمحبة الله للعبد، وما يتبعها من بركات عظيمة من مغفرة الذنوب، وتفريج الكرب، ومضاعفة الحسنات، ورفع الدرجات، والحفظ من الشرور والآفات، ودر كيد الأعداء، وزوال الهموم والغموم، وحصول النعم والبركات، واندفاع النقم والعقوبات، والتوفيق للطاعات والقربات.

○ ومن فضائله: أن صاحب الإخلاص لا يكون مذموماً ولا مخذولاً، دلّ على ذلك قول

الله تعالى: [الإسراء: ٢٢]؛ فلما جعل الله الذم

والمخذلان على أهل الشرك علمنا أن أهل الإخلاص لا يكونون مذمومين ولا مخذولين، وبحسب ما يبلغ العبد من الإخلاص يكون نصيبه من النجاة من الذم والمخذلان.

○ ومن فضائله: ما يجده المؤمن المخلص من الحياة الطيبة التي هي أعظم نعيم الدنيا من سكينه النفس، وطمأنينة القلب، وعزة الطاعة، وحلاوة الإيمان، وبرد اليقين، ولذة المناجاة.

• قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شأنه الله)، قال الله تعالى:

بيان أعظم ما أمر الله به وهو التوحيد

• عرفنا أن أعظم ما أمر الله به التوحيد بأمر:

○ ١: أنه أول ما كان يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو أول ما كان يدعو

إليه الرسل كلهم كما قال الله تعالى:

{الأنبياء: ٢٥}، وقال:

{النحل: ٣٦}.

○ كل رسول بعثه الله إلى قوم كانت أول دعوته إلى التوحيد كما تجده مبينا فيما قصه الله

من أنباء الرسل مع قومهم في القرآن الكريم:

○ قال الله تعالى:

{الأعراف: ٥٩}.

○ وقال:

{الأعراف: ٦٥}.

○ وقال:

{الأعراف: ٧٣}.

○ وقال:

{٨٥}

• في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما

بعث معاذاً إلى اليمن قال له: ((

((

• ٢: أن توحيد الله تعالى هو مفتاح الدخول في الإسلام، وبدونه لا يكون المرء مسلماً،

وإذا ارتكب العبد فعلاً ينقض هذا التوحيد خرج من دين الإسلام، واستحق الخلود في عذاب

النار؛ كما قال الله تعالى:

{الزمر: ٦٥} ()

()

- ٣: أن ثواب فاعله أعظم الثواب وهو رضوان الله تعالى ومحبته والخلود في الجنة، وعقاب تاركة أعظم العقاب وهو سخط الله تعالى ومقته والخلود في نار جهنم، والعياذ بالله؛

معنى التوحيد

- التوحيد: مصدر وَحَّد يُوحِّد توحيداً إذا جعل الشيء واحداً، فإذا جعل العبد قصده واحداً لله جل وعلا، ولم يقصد بالعبادة شريكاً له تعالى فهو موحد مخلص لله جل وعلا.
- الذين يصرفون شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى غير موحدين، بل هم مشركون خارجون عن دين الإسلام مستحقون للعذاب الشديد والخلود في نار جهنم والعياذ بالله.
- أقسام التوحيد ثلاثة:

○ ١: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله تعالى بأفعاله من الخلق والرزق والملك والتدبير وغيرها.

○ ٢: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

○ ٣: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

بيان أعظم ما نهى الله عنه هو الشرك

- ويعرف أن الشرك هو أعظم ما نهى الله عنه بأمور:
 - ١: أن أول دعوة الرسل كانت إلى التوحيد واجتناب الشرك.
 - ٢: أن من لم ينته عن الشرك فهو كافر غير داخل في دين الإسلام.
 - ٣: أن عقاب الشرك أعظم العقاب وهو الخلود في النار كما قال الله تعالى:
- [المائدة: ٧٢].
- ٤: أن الله لا يغفر لمن أشرك به في عبادته مهما كان سابق صلاحه كما قال الله تعالى:

[النساء: ١١٦]، وقال تعالى:

[الزمر: ٦٥]، وقال الله تعالى بعدما ذكر

الأنبياء في سورة الأنعام:

()

[الأنعام: ٨٧، ٨٨].

○ الأنبياء - على صلاحهم وشرفهم ومحبة الله لهم - لا يغفر لهم الشرك بالله جل وعلا لو وقع منهم، وقد علمنا أن الله تعالى قد عصمهم من الشرك، وبقي الخطاب يتلى علينا لتدبره ونتأمله، ونفهم منه عظيم جرم الشرك؛ فغير الأنبياء أولى بأن لا يغفر لهم إذا أشركوا.

○ ٥: أن النبي صلى الله عليه وسلم عدّ الشرك بالله أكبر الكبائر؛ فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «

:

:

! :

: « متفق عليه.

○ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم، قال: « إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: « أي؟ قال: «

● خطر الشرك عظيم، وهو أعظم ذنب عصي الله به، والمشرك كافر بالله عز وجل وإن ادّعى الإسلام، ومقت الله له أعظم المقت كما قال الله تعالى:

[غافر: ١٠].

● لا يقبل الله من المشرك عملاً حتى يُسلم، ومن وقع في الشرك بعد إيمانه حبط عمله وأصبح من الخاسرين.

● الشرك أكبر الكبائر، وأعظم الظلم، وهو خيانة لأعظم الأمانات، وتوَلَّ عن أداء أعظم الحقوق، وهو حق الله عز وجل في الأمر الذي خلق الخلق لأجله.

● المقصود من كل ما سبق بيان خطر الشرك ووجوب اجتنابه والتحرُّز منه، وأن تكون أوّل دعوة المصلحين إلى التوحيد واجتناب الشرك.

بيان أصول الدين الثلاثة

- أصول دين الإسلام: هي معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
- هذه الأصول الثلاثة راجعة إلى معنى الشهادتين.
 - معرفة العبد ربه هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وهو الأصل الأول.
 - ومعرفة العبد نبيه صلى الله عليه وسلم هي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 - وأما دين الإسلام فهو الرسالة التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم.
 - لتوضيح هذا الأمر يقال: ههنا ثلاثة أمور: مُرسِلٌ، ورسولٌ، ورسالة؛ فالمرسل هو الله جل وعلا، والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم، ورسالته هي دين الإسلام.
 - الدين لا يقوم إلا على هذه الأصول الثلاثة، فهي أصول الدين، وهي المسائل التي يُسأل عنها العبد في قبره، كما في سنن أبي داود وغيره من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

:

«

- هذه الرسالة هي في شرح هذه الأصول الثلاثة، التي هي أصول الدين.
- مسائل الدين كلها ترجع إلى هذه الأصول الثلاثة.

الأصل الأول: معرفة العبد ربه جل وعلا.

- بيان معنى (الرب)

- الرب هو الجامع لجميع معاني الربوبية من الخلق والملك والإنعام والتدبير والتربية والإصلاح؛ فالربوبية في اللغة تشمل هذه المعاني كلها.
- الله هو الخالق العظيم والخلاق العليم الذي خلق كل شيء، فما من موجود من المخلوقات إلا والله تعالى خالقه وحده لا شريك له.

- ومن معاني (الرب) في لسان العرب: المالك؛ فرب الشيء هو مالكه، ورب الدار: صاحبها ومالكها، ورب الإبل: مالكها.
- لا يطلق هذا اللفظ بغير الإضافة إلا على الله عز وجل، فهو الرب وحده.
 - الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، لا يخرج شيء عن ملكه، فهو مالك كل شيء، وييده ملكوت كل شيء، فله جميع معاني الملك؛ فيملك المخلوقات، ويملك تصرفاتها ويملك تدبيرها والتصرف فيها، فلا تتصرف إلا بإذنه.
 - وهو الذي يملك بقاءها وفناءها، وحركاتها وسكناتها، فيبقئها متى شاء، ويفنيها إذا شاء، ويعيدها إذا شاء، بل لا تملك جميع المخلوقات لنفسها نفعاً ولا ضرراً إلا بإذنه جل وعلا.
 - وهذا مما يوجب توحيده جل وعلا بالعبادة، وطاعته فيما يأمر به، وينهى عنه.
- لذلك أنكر الله تعالى على من يعبد غيره فقال:

[الفرقان: ٢٣].

- بقية المعاني العظيمة للربوبية العامة من الإنعام والإصلاح والتربية والتدبير هي من آثار اسمه (الملك).
 - تأمل معاني الربوبية والتفكر في آثارها في الخلق والأمر يورث اليقين بوجود التوحيد، وأن العالم لا صلاح له إلا بأن يكون ربه واحداً، كما قال تعالى:
- [الأنبياء: ٢٢] وقال:

[المؤمنون: ٩١].

- كما أن الكون ليس له إلا رب واحد على الحقيقة، فلا يكن في قلبك إلا إله واحد هو هذا الرب العظيم، فأسلم قلبك له واعبده وتوكل عليه.
 - اسم الرب يقتضي أن نعبده جل وعلا ونفرد بالعبادة ولهذا قال تعالى:
- [البقرة: ٢١] فاستدل على توحيد العبادة باسم الربوبية.

- والربوبية لها معنيان :
 - بالخلق والملك والإنعام والتدبير، وهذه عامة لجميع المخلوقات.
 - لأوليائه جل وعلا بالتربية الخاصة والهداية والإصلاح والنصرة والتوفيق والتسديد والحفظ.
 - الله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها.
 - إذا تأملت هذه المعاني تبين لك بجلاء أنه لا يستحق العبادة أحد إلا الله جل وعلا ، وأن عبادة غيره ظلم عظيم ، وكفر مبين ، وسفه وضلال.
 - هذه الإماحة يسيرة لبعض معاني الربوبية ، تطلعك على ما وراءها من المعاني العظيمة وتشعر لك أبواب التفكير فيها.
 - يطلق لفظ (الرَّبِّ) في النصوص ويراد به المعبود ، كما في سؤال العبد في قبره : من ربك؟ المراد به من معبودك الذي تعبد به؟
 - والرَّبُّ الحق هو الله ، وهو المعبود الحق ؛ فاجتماع المعنيين له تعالى اجتماع صحيح.
 - ما عبد من دون الله فليس معبوداً بحق ، وليس برب على الحقيقة ، وإنما اتَّخَذَ رِباً ، واتَّخَذَ إِيَّاهَا ، كما في قوله تعالى :
- ١٨٠ ، وقوله تعالى :
- الحديث : (يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم)... الحديث ، ففهم عدي رضي الله عنه من هذا اللفظ معنى العبادة ، لأن اتخاذ الشيء رِباً معناه عبادته ، لأن الربوبية تستلزم العبادة.
- إذا قيل : الرب هو المعبود ، فهذا الإطلاق صحيح باعتبار ، وإذا قيل : من معاني الرب فصحيح باعتبار آخر.

طرق معرفة العبد ربه جل وعلا

- لمعرفة العبد ربه جل وعلا طريقتان بينهما الله عز وجل في كتابه الكريم :
- التفكير في آياته الكونية المخلوقة.
- التفكير في آياته الشرعية وهي آيات القرآن العزيز وما تضمنه أمره جل وعلا في كتابه وفي غيره من الآيات البينات.

- (الآية) في اللغة: تطلق على العلامة وعلى الرسالة وعلى الجماعة.
- قال الله تعالى: ﴿مريم: ١١٠﴾ أي علامة في قول الجميع لا أعلم في ذلك خلافاً.
- وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (())
- «؛ فالآية هي العلامة البينة الدالة على المراد.
- ومن الإطلاق الثاني وهو استعمال مشهور في لغة العرب قول كعب بن زهير:
- ألا أبلغا هذا المعرض آية أيقظان قال القول إذ قال أو حلم
- الآيات هي علامات بينات على ما أراده الله تعالى بها، وهي رسائل من الله إلينا.
- لفظ (الآية) أبلغ من (العلامة) ولذلك استعمل في القرآن الكريم، ففيه زيادة على معنى الدلالة معنى الوضوح والجلء والبيان، ومنه يقال (إياة الشمس) يعني ضوءها.
- قال الخليل بن أحمد: (الآية: العلامة، والآية: من آيات الله، والجميع: الآي)
- قوله: (والآية: من آيات الله) يشمل الآيات الكونية والشرعية
- فالآيات الكونية: الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض وما أنعم به من سائر النعم كلها آيات على أنها من عند الله جل وعلا وهي علامات بينات لا ينكرها إلا مكابر مُعاند.
- والآيات الشرعية هي: آيات القرآن المتلوة، سميت بذلك لأنها دالة على أنها من عند الله عز وجل، ولأن فيها من البراهين البينة ما يوجب قيام الحججة على من بلغته.

أمثلة للآيات الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله عز وجل

- ذكر الله تعالى في الكتاب براهين عقلية تدل على بطلان عبادة ما يعبد من دون الله
- قال الله تعالى:

[فاطر: ٤٠].

- فذكر الله ثلاثة أدلة بينة على أن هؤلاء الشركاء الذين يُدعون من دون الله لا يستحقون أن يعبدوا من دون الله جل وعلا.

■ فهم لم يخلقوا شيئاً، وعبادة من لا يخلق من دون خالقه سفه وضلال كما دل عليه قوله تعالى:

[الأعراف: ١٩١].

■ وليس لهم نصيب في الملك يشاركون الله فيه، فيسألهم من يدعوهم من نصيبهم الذي يملكونه.

■ ولم يأذن الله بعبادتهم؛ فبطل ما كانوا يغرون به بعضهم من زخرف القول والعدّات الباطلة.

○ وقوله تعالى:

[فاطر: ٤٠] بيان لسنة كونية لا تنخرم، وهي أن الظالمون إنما يغر بعضهم بعضاً ويميّ بعضهم بعضاً حتى إذا أتوا ما يفتهم الله عليه وعانوا عذابه لم تنفعهم وعودهم ولم تغن عنهم من الله شيئاً.

○ هذه الآية نظير قول الله تعالى:

() [الأحقاف: ٤٤]؛ فلم يخلقوا شيئاً ابتداءً، وليس لهم فيه شراكة في الملك،

ولم يؤدّن بعبادتهم.

● وقال تعالى:

()

() [سبأ: ٢٢، ٢٣].

○ قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه؛ فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلّق قلبه به، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود: مالكا للأسباب التي ينفع بها عابده، أو شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً ومعاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده؛ فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت انتفت أسباب الشرك وانقطعت موادّه؛ فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة لمالك الحق؛ فنفى شركتها

له، فيقول المشرك: قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً؛ فقال: ؛ فلم يبقَ إلا الشفاعة؛ فنفاها عن آلهتهم؛ وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؛ فهو الذي يأذن للشافع؛ فإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين؛ فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها؛ وأما من كل ما سواه فقيرٌ إليه بذاته، وهو الغني بذاته عن كل ما سواه فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه؟! اهـ.

• التفكير في آيات وجوب التوحيد يورث اليقين ببطلان الشرك، وأنه حد بين الكفر والإيمان، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

[غافر: ٦٦].

حجج وجوب التوحيد في القرآن الكريم

• من أهم الحجج التي تكرر ذكرها في القرآن تنبيهها على وجوب التوحيد:

○ ١: أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر فهو المستحق للعبادة.

○ ٢: أن الله تعالى هو الذي بيده وحده النفع والضرر وغيره لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن غيره كما قال الله تعالى:

[التوبة: ١٧٦] أي الذي يعلم أحوالكم ويسمع دعاءكم.

○ ٣: أن الموحدين معهم سلطان الحجة والبرهان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له، وبذلك أرسلت إليهم الرسل.

○ ٤: أن المشركين الظالمين إنما يغرّ بعضهم بعضاً وأنهم لا حجة لهم على الشرك، بل حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد.

• والمقصود أن من تأمل الآيات الكونية والآيات الشرعية تبين له وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة، وأن من أشرك بالله شيئاً فهو من الخاسرين.

• الظالمون يكون لديهم علوم يفرحون بها، ومزاعم يغترون بها، ويتعمون عن التفكير في ما أمر الله بالتفكير فيه من الآيات البينات، ويفرحون بما عندهم من العلم الدنيوي،

ويُعرضون عما جاءت به الرسل ، ويستهنئون بهم وبما جاؤوا به حتى إذا فنيت أعمارهم ، وانقضت مهلة بقائهم في الدنيا ، ورأوا ما كانوا يوعدون تبين لهم أنهم كانوا خاطئين.

• إذا رأوا آيات الآخرة عند الموت تبين لهم أن الشرك بالله باطل وضلال مبين ، فيؤمنون حين لا ينفعهم الإيمان ولا يقبل منهم ، ويتخلى عنهم الشيطان بعد أن أوردتهم المهالك ، وكُتب عليهم الشقاء الأبدي ، وحرمت عليهم السعادة أبداً ، وخسروا الخسران المبين والعياذ بالله.

()

• قال الله تعالى:

()

()

()

() [غافر : ٨١ - ٨٥].

شرح عبارات المتن

قوله: (اعْلَمُ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ أَنْ الْحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ - : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ).

- الدعاء للمتلقي فيه تلطف له كما سبق بيانه ، والإرشاد هو الدلالة على طريق الرشد.
- الرشد هو إصابة الحق ، وهو ضد الغي ، قال الله تعالى :
[البقرة: ٢٥٦] ، وقال تعالى :

[الأعراف: ١٤٦].

- قال دريد بن الصمة :
- وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أُرشد
- الغيُّ والغواية بمعنى واحد ومعناهما: الضلال والخطأ ومخالفة الصواب والانهماك في الباطل ، والرشد نقيضه وهو الحق والصواب والهدى.
- الطاعة هي امتثال الأمر واجتناب النهي .
- قال الزجاج : (الملة في اللغة: السنة والطريقة)
- قال ابن سيده : (طريقٌ مَلِيلٌ ومَمِيلٌ قد سُلِكَ فيه حَتَّى صَارَ مَعْلَمًا).

قوله: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)

- هذا هو معنى الحنيفية التي أمر الله بها.

قوله: (وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ).

- دليله قول الله تعالى :

[البينة: ٥].

[الذاريات: ٥٦]

قوله: (وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

- أي خلقهم الله لعبادته كما قال الله تعالى :

[الذاريات: ٥٦].

- هذا الأسلوب في لسان العرب يسمى الحصر، فالله حصر الغاية من خلق الجن والإنس في عبادته جل وعلا وحده لا شريك له.
- من لم يفعل ذلك لم يؤدّ ما خلق لأجله؛ فيستحق العذاب على تركه ما خلق لأجله.
- الإنس هم: بنو آدم عليه السلام، سموا إنساً لأنهم يأنس بعضهم ببعض.
- والجن سمواً جنّاً لاجتنانهم أي استتارهم عن أنظار الناس كما قال الله تعالى:

{الأعراف: ٢٧}.

قوله: (وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُؤَحِّدُونَ)

- هذا تفسير باللازم، لأن العبادة إذا لم تكن خالصة لله تعالى فهي باطلة، ليست بشيء.
- العبادات الباطلة يجعلها الله يوم القيامة هباءً منثوراً؛ كما قال الله تعالى عن المشركين: {الفرقان: ٢٣}؛ لأن من لم يوحد الله فعبادته باطلة؛ فصار حكمه كحكم من لم يعبد الله أصلاً.
- العبادة التي تنفع صاحبها هي العبادة المقبولة التي جمع صاحبها شرطي القبول: الإخلاص والمتابعة.

قوله: (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ).

- عرف التوحيد بأنه إفراد الله تعالى بالعبادة.
- هذا هو تعريف توحيد الألوهية، وهو الذي وقعت الخصومة فيه بين الرسل وقومهم، وأما توحيد الربوبية فلم يخالف فيه إلا قلة وهم الملاحدة والثنوية.
- الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بأن الله تعالى هو الخالق الرازق ولم يدخلوا في دين الإسلام لأنهم لم يفرّدوا الله تعالى بالعبادة ولم يطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أعظم ما أمر الله به وهو التوحيد.

قوله: (وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكَ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{النساء: ٣٦}.

- عرف الشرك بالله بأنه دعوة غيره معه، وهو تعريف حسن دلّ عليه النص، مع اختصاره

ووفائه بالدلالة على المراد.

• قال الله تعالى:

()

[فاطر: ٤٠]، وقال:

[فاطر: ١٣، ١٤].

• قوله: (وهو دعوة غيره معه) يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

• الشرك على قسمين:

○ : ويكون في الربوبية والألوهية:

■ أما الشرك الأكبر في الربوبية فهو: اعتقاد شريك لله تعالى في أفعاله من الخلق والرزق والملك والتدبير.

■ وأما الشرك الأكبر في الألوهية: فهو عبادة غير الله تعالى.

○ : وهو ما كان وسيلة للشرك الأكبر وسمي في النصوص شركاً من غير أن يتضمن صرفاً للعبادة لغير الله عز وجل.

■ ومثاله: الرياء بتحسين أداء الصلاة، لطلب مدح الناس وإعجابهم على عبادته لله جل وعلا؛ فهو صلى الله، لكنه أراد أن يمدحه الناس على حسن صلاته، وربما زاد في تحسينها ليزداد الناس في مدحه؛ وهو شرك أصغر، لأنه لم يخلص القصد لله جل وعلا، وليس بشرك أكبر لأنه لم يعبد غير الله.

قوله: (والدليل قوله تعالى: [النساء: ٣٦].

• قرن النهي عن الشرك بالأمر بعبادة الله تعالى فتبين بذلك معنى التوحيد.

• تُسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة، وبدأ الله تعالى فيها بحقه الذي خلق الخلق لأجله.

قوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

• صاغ المؤلف رحمه الله هذه المسائل بطريقة السؤال والجواب لتكون أقرب للفهم، وأيسر

للتلقين للعامة والناشئة.

- ينبغي أن يعتنى المعلم بتعليم الناشئة هذه المسائل وتلقينهم إياها حتى ينشأوا على معرفة هذه الأصول العظيمة التي هي أصول الدين.
- والأصول جمع أصل، وهو ما ينبى عليه الشيء؛ فمن لم يقم أصول الدين فدينه ليس له أصل، وهذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين.

قوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ: مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [الفاحة: ١٢]، وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالِمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالِمِ).

- هذا شروع في بيان الأصل الأول، وهو معرفة العبد ربه جل وعلا.
- قوله: (وهو معبودي ليس لي معبود سواه)؛ هذا تلقين للمتلقى، وبيان له بأن لا يكون له معبود سوى الله جل وعلا.

قوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ)

- عَطَفَ المَخْلُوقَاتِ عَلَى الآيَاتِ مِنْ بَابِ عَطَفَ الخَاصِ عَلَى العَامِ.

قوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

- أي من آياته الكونية، والآيات الكونية من المخلوقات، وعبر عنها بالآيات لموافقة لفظ قوله تعالى:

[فصلت: ١٣٧].

قوله: (وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا).

- هذه المخلوقات هي من الآيات الكونية لأنها دالة على خالقها جل وعلا، وعبر عنها بالمخلوقات لموافقة لفظ قوله تعالى:

[١٥٧].

[غافر: ١٥٧]

قوله: (وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[فصلت: ١٣٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[الحديد:

(١٤).

○ هذه الآيات الكونية باب عظيم لمعرفة الله تعالى، وهي حجة في وجوب التوحيد.

قوله: (وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

()

[البقرة: ٢١، ٢٢].

- لما كانت الربوبية دليلاً على وجوب التوحيد، وكان الله هو الرب على الحقيقة لا ربّ لنا سواه، وأن غيره مما يعبد من دونه إنما أتخذ ربّاً وليس له من الربوبية شيء؛ كان الربّ هو المستحقّ للعبادة، فهو الرب وهو المعبود الذي لا يستحقّ العبادة سواه جل وعلا.
- قوله: (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (الْحَاقِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ)).
- الاستشهاد بأقوال العلماء يزيد المعلم والداعية قوّة في إقناع المتعلمين والمخاطبين.

الدرس السابع: بيان معنى العبادة وأنواعها

قال رحمه الله:

(وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالدَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا: كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى.

[الجن: ١٨]، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

شَيْئًا لغيرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[المؤمنون: ١١٧].

عناصر الدرس:

- ١: بيان معنى العبادة.
 - العبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح
 - طرق معرفة العبادة
 - شروط قبول العبادة
- ٢: التذكير بالعهد العظيم بين العبد وربّه جل وعلا.
- ٣: بيان درجات تحقيق العبودية لله تعالى.
- ٤: بيان الفرق بين العبادة الكونية والعبادة الشرعية.
- ٥: بيان وجوب أفراد الله تعالى بالعبادة.

مقاصد الدرس

- لما ذكر المؤلف رحمه الله أن الأصل الأول من أصول الدين هو معرفة العبد ربه جل وعلا ، وبين أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وفسره بأنه إفراد الله بالعبادة ، وذكر الدليل على ذلك ، وبين أن أعظم ما نهى الله عنه هو الشرك في عبادة الله جل وعلا ، اقتضى الترتيب أن يبين معنى هذه العبادة التي لها هذا الشأن العظيم.
- معرفة معنى العبادة من أهم ما يجب على طالب العلم معرفته.
- من المهم في هذا الباب دراسة الأصول التي يميّز بها طالب العلم حقيقة العبادة وكيف يدخل الشرك في العبادات وسبل تجنب هذا الشرك.
- هذا الدرس مقدّمة مميّدة لدرسين بعده في أنواع العبادات التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

بيان معنى العبادة

- قال ابن جرير رحمه الله : (العبودية ، عند جميع العرب أصلها الذلّة ، وأنها تسمى الطريق المذلّل الذي قد وطّئته الأقدام ، وذلّته السابلة (معبداً)).
 - قال طرفة بن العبد :
- تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَّبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبَدٍ
- قال ابن جرير : (يعني بالمور: الطريق ، وبالمعبد : المذلّل الموطوء ، ومن ذلك قيل للبعير المذلّل بالركوب في الحوائج : معبد ، ومنه سمي العبد عبداً لذلّته لمولاه) .هـ.
 - وقال أبو منصور الأزهري : (ومعنى العبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع . ويقال طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مذلّلاً بكثرة الوطء).
 - يشهد لما ذكره أبو منصور ما أنشده الخليل في العين لمن لم يسمّه :
- تَعْبَدَنِي نَمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى وَنَمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مَطِيْعٌ وَمُهْطَعٌ
- هذا تعريف لها باعتبار أصل معناها الملازم لها ، واعتبار هذا المعنى مهم .
 - والعبادة على نوعين : عبادة كونية ، وعبادة شرعية .
- فأما فهذه عامة لجميع الخلق ، كما قال الله تعالى :

[مریم: ٩٣]، وقال:

[آل عمران: ٨٣].

○ وأما : فلها تعريفات ذكرها بعض أهل العلم، وقد سلكوا مسالك في التعريف.

○ من أحسنها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة (العبودية)؛ إذ قال رحمه الله تعالى: (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة).

■ قوله: (من الأعمال والأقوال) هذا قيد يخرج الأشخاص والأمكنة والأزمنة التي يحبها الله فلا توصف بأنها عبادة، لأن العبادة تتعلق بما يتعبد به.

■ تعريف شيخ الإسلام للعبادة حسن بديع، وهو وصف جامع مانع للعبادات الشرعية.

■ وأما العبادات الشركية والبدعية فلا يشملها هذا التعريف لأن الله تعالى لا يحبها ولا يرضاها ولا يقبلها، وإن كانت داخلية في اسم العبادة لغة؛ لأن كل ما يُتقرب به إلى المعبود فهو عبادة.

■ قال الله تعالى: () [الكافرون: ١، ٢]؛

فسمى ما يفعلونه عبادة، وقال تعالى:

[الشورى: ٢١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

رواه مسلم.

■ العبادات الشركية والبدعية وإن كان يشملها اسم العبادة لغة وحقيقة من جهة كونها صادرة عن تذلل وخضوع للمعبود، لكنها عبادات باطلة عند الله؛ فمن عبد الله عبادةً غير خالصة له فهي مردودة عليه، وكذلك من عبد الله بعبادة لم يأذن الله بها فهي مردودة عليه.

● تعريف شيخ الإسلام للعبادة تعريف بالحد الرسمي، وتعريف ابن جرير وأبي منصور تعريف لها بالحد الحقيقي.

- تعريف شيخ الإسلام باعتبار ما يشمل اسم العبادة مما شرع للعبد أن يتعبد به في شريعة الإسلام، وقول ابن جرير: (العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة) هذا بيان لما تكون به العبادة فهي لا تكون إلا بتدلل وخضوع.
- يصحب هذه الذلة في العبادات الشرعية التي أمر الله بها ثلاثة أمور: المحبة، والانقياد، والتعظيم.

• :
 ○ قال الله تعالى:

[البقرة: ١٦٥].

○ قال إبراهيم الصولي:

وهان عليّ اللوم في جنب حبها وقول الأعادي إنه لخليع
 أصمُّ إذا نوديت باسمي وإنني إذا قيل لي يا عبدها لسميع

○ وفي معناه ما ذكره القشيري وابن العربي وغيرهما عمّن لم يسمّوه:

يا قوم قلبي عند زهرائي يعرفه السامع والرائي
 لا تدعني إلا بـ(يا عبدها) فإنه من أشرف أسمائي

○ العابد مُحبٌّ لعبوده أشد المحبة؛ يقدّم محبته على محبة النفس والأهل والولد والمال، لا يهناً إلا بذكر محبوبه، ولا يأنس إلا بفعل ما يحبه، فذكره في قلبه ولسانه لا يكاد يكل ولا يمل من ذكره، بل يأنس بذكره في كل أحيانه، ويجتهد في كسب رضاه ومحبته، حتى لو بلغ الأمر به أن يضحي بنفسه في سبيله، وهذه المرتبة من المحبة لا يستحقها أحد غير الله عز وجل.

○ إذا عظمت محبة الله في قلب العبد قادتة إلى الاستقامة على طاعة الله عز وجل، وامثال أوامره واجتناب نواهيه، فهو يطيعه محبة له ورغبة ورهبة؛ كما قال الله تعالى:

()

() آل عمران: ٣١، ٣٢.

○ هذه الآية يسميها العلماء آية الامتحان، فإن دعوى المحبة سهلة، ولكن صدقها يبين

بهذا الامتحان وهو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

■ من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أثبت صدق محبته لله تعالى ، وأحبه الله جل وعلا وأفاض عليه من فضله ورحمته وأول ذلك مغفرته لذنوبه التي هي سبب الشقاء والعذاب.

○ ومحبة الله تورث في نفس المؤمن حلاوة وعزة ورفعة لا يجدها غيره أبداً ، ذلك أن الله كتب العزة والرفعة والحياة الطيبة لعباده المؤمنين الذين يحبونه ويتولونه ، وجعلهم جزية وأولياءه وأنصاره وأتباعه وعباده فأضافهم إليه إضافة تشریف وتكريم تقتضي لطفه بهم ومحبته وتوليه لهم ، ف

١٦٨ ، فهو وليهم الذي يتولى أمورهم ويجيب دعاءهم ويقضي حوائجهم ويفرج كربهم ويعينهم ويعيذهم ويغشهم ويغفر لهم ويرحمهم ويحفظهم ويتقبل أعمالهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً.

○ من كملت محبة الله في قلبه كملت طاعته واستقامته ، ومن كملت طاعته لم يعذبه الله أبداً ، كما قال تعالى :

المائدة : ١٦٨ ، فالمحبة تمنع العذاب.

■ ولذلك قال الحسن البصري : (والله لا يعذب الله حبيبه في النار).

○ إنما يقع العبد في الذنوب والمعاصي إذا ضعف إيمانه وقل يقينه ، وضعف حبه لله وحبه لثوابه ، حتى يؤثر اللذة الفانية على ثواب الله الباقي ، فيقع في التقصير ويستحق من العذاب بقدر ما يعمل من المعاصي.

● الأمر الثاني : التعظيم والإجلال ، فإن العابد معظّم لعبوده أشد التعظيم ، ومُجَلٌّ له غاية الإجلال ، فالتعظيم من لوازم معنى العبادة.

○ لفظ العبادة في اللغة فيه معنى التعظيم ، كما قال حاتم الطائي :

وعاذلة هبّت بليل تلومني وقد غاب عيُوق الثريا فعرداً
تقول ألا تُبقي عليك فإني أرى المال عند المسيكين مُعبداً

■ قال أبو منصور الأزهري : (أي مُعظماً مخدوماً).

- تعظيم شعائر الله وحرماته من آثار تعظيم المؤمن لربه جل وعلا ، وإجلاله له .
- قال الله تعالى :

[الحج : ٣٢] .

- أَمَرَ اللهُ بِتَعْظِيمِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
- [الإسراء : ١١١] أَي عَظَمَهُ تَعْظِيمًا شَدِيدًا ، وَقَوْلُهُ :
- [الحج : ٣٧] أَي : تَعْظَمُوهُ شُكْرًا لَهُ عَلَى هِدَايَتِهِ لَكُمْ .

- من تأمل أسماء الله الحسنى وتأمل آثارها في الخلق والأمر تبين له بعض معاني عظمة الله جل جلاله ، وأورثه ذلك تعظيم أوامره ونواهيه ، والحرص على أن يكون من أوليائه وحزبه المفلحين ، واشتد كرهه لما يعرضه لمقت الله وسخطه .

- : يقال طريق معبّد أي مذلّ ، فالعابد منقاد لمعبوده خاضع له .

- ذلّ العبد لله عز وجل وانقياده لطاعته هو عين سعادته ، وسبيل عزته ورفعته .
- من ذلّ لله رفعه الله وأعزه ، ومن استكبر واستنكف أذله الله وأخزاه ، وسلط عليه من يسومه سوء العذاب ، ويذله ويهينه .

- أعظم الخلق خشية لله وانقياداً لأوامره الأنبياء والملائكة والعلماء والصالحون ، وهم أعظم الخلق عزة ورفعاً وسعادة .
- وأعظم الخلق استكباراً واستنكافاً مردة الشياطين ، والطغاة والظلمة ، وهم أعظم الخلق ذلاً ومهانة .

- وهذه الأمور الثلاثة (المحبة والتعظيم والانقياد) مبنية على التذلل لله جل وعلا ، وبها يتحقق معنى العبودية لله جل وعلا .

العبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح

- عبادة القلب جامعة لأمرين :
- ١ : الاعتقاد وهو التصديق واليقين ، ويسمّى قول القلب .
- ٢ : وعمل القلب من المحبة والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من أعمال القلوب .

- وعبادة اللسان هي بقول ما يحبه الله من الذكر والدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأقوال التي يحبها الله.
- وعبادة الجوارح هي ما تقوم به جوارح الإنسان من أعمال التعبد كالصلاة والزكاة والصيام والحج والذبح والنذر وغيرها.
- العبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح.

طرق معرفة العبادة

- تعرف العبادة بإحدى ثلاث طرق :
 - الطريق الأول: أن يرد في النصوص تسمية عمل من الأعمال أو قول من الأقوال بأنه عبادة ؛ كما في حديث : (الدعاء هو العبادة).
 - الطريق الثاني: أن يدل الدليل على أن الله تعالى يحبه ، إما بترتيب الثواب على فعله ، أو العقاب على تركه ، أو بمدح فاعله وذم تاركه أو غير ذلك ؛ فما يحبه الله ويرضاه فهو عبادة.
 - الطريق الثالث: أن يدل الدليل على أن الله أمر به ؛ فأمر الله به دليل على أن الله يحبه فيكون عبادة.

شروط قبول العبادة

- لقبول العبادة شرطان :
 - الشرط الأول: الإخلاص لله جل وعلا.
 - والشرط الثاني: أن تكون هذه العبادة صواباً على سنة النبي صلى الله عليه وسلم.
- بتحقيق هذين الشرطين: إخلاص العبادة لله عز وجل ، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، يكون العبد من المسلمين الموعودين بدخول الجنة ، ومن نقض شرطاً منهما فليس من أهل الإسلام والعياذ بالله.
- فالشرط الأول هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، والشرط الثاني هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله ، ولا يصح إسلام عبد حتى يشهد هاتين الشهادتين.

٢: العهد العظيم بين العبد وربّه جل وعلا

- مَنْ شهد أن لا إله إلا الله فقد عاهد الله أن يخلص العبادة له وحده، وبهذا العهد يدخل في دين الإسلام، وقد علمت معنى العبادة فيما سبق.
- لذلك كانت (لا إله إلا الله) أعظم الحسنات، وأعلى شعب الإيمان، ومفتاح الجنة، وأفضل الذكر، ومن كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة.
- هذا العهد العظيم جزاءً من وفى به أن يدخله الله الجنة، ومن خان هذا العهد وغدر ونقضه أدخله الله النار.
- وهذا العهد الذي بين العبد وربّه بالتوحيد وإخلاص العبادة له هو أعظم العهود، وأعظم الأمانات، وجزاؤه وثوابه أعظم الجزاء والثواب، وعقاب نقضه ونكثه أعظم العقاب.
- أحرص ما يكون الشيطان على أن ينقض العبد هذا العهد الذي بينه وبين ربّه؛ ليحرمه ثواب الوفاء به ويوبقه في عذاب نقضه، فهو يوسوس له، ويعده ويمنيه، ليثبّطه عن الوفاء بهذا العهد العظيم.
- لا يزال الشيطان حريصاً على أن ينقض العبد هذا العهد الذي بينه وبين الله نقضاً تاماً، فينقض عهد الله من بعد ميثاقه؛ فيرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام ينقضه به هذا العهد فيموت العبد كافراً والعياذ بالله.

○ هذه هي غاية الشيطان التي أقسم عليها كما بين الله تعالى ذلك بقوله:

()

()

()

()

() [الإسراء: ٦١ - ٦٥].

- من حقق العبودية لله تعالى لم يكن للشيطان عليه سلطان.
- معنى لأحتنكن: أي لأستولين عليهم ولأقودنهم إلى المعاصي كما يقود الرجل

دابته فيلقي على حنكها حبلاً يحتنكها به ويقودها به إلى حيث يشاء.

- أعظم الحسran أن يبيع العبد هذا العهد بطاعة عدوّه وتصديق أمانيّته؛ فيحرم الثواب العظيم الذي جعله الله لمن وفى بعهده وصدّق بوعدده.
- قال الله تعالى:

() ()
() () ()

[يس: ٦٠ - ٦٤]

- كل عبادة غير الله تعالى فهي عبادة للشيطان لأنها طاعة له في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله وأعظم ما حرم الله تعالى هو الشرك، سواء شعر الإنسان أنه يطيع الشيطان أو لم يشعر.

- وكل منفعة أو لذة يحصلها العبد بسبب نقضه لهذا العهد فهو ثمن قليل زائل ولو أعطي الدنيا بحذافيرها، وقد قال الله تعالى:

() ... [النحل: ٩٥] الآيات

○ ضمن الله لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات أعظم الثواب في الدنيا والآخرة ففي الدنيا لهم الحياة الطيبة التي لا أفضل منها، وفي الآخرة يجزيهم الله أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

- في الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «

:

«

- شأن هذا العهد عظيم، ولذلك شرع أن يجده العبد في اليوم واللييلة مراراً حتى لا ينساه أو يغفل عنه، وقد تضمنته الشهاداتتان، وهما يكرران في الأذان والإقامة وفي تشهد كل صلاة.
- كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه التشهد في الصلاة كما يعلمهم السورة من القرآن.

○ وهذا العهد تضمنه سيد الاستغفار الذي يستحب للعبد أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى

ورُتّبَ على الدعاء به الثواب العظيم.

٣: درجات تحقيق العبودية لله تعالى

- إذا تبين لك ما سبق فاعلم أن تحقيق العبودية لله تعالى على ثلاث درجات :
 - : الإتيان بأصل العبودية لله تعالى ، وهو ما يبقى به المرء مسلماً ، فيعبد الله وحده لا شريك له ، ويحْتَنَبُ عبادة غير الله جل وعلا ، ويأتي من الفرائض ويحْتَنَبُ من النواقض ما يبقى به إسلامه . فهذه درجة الإسلام .
 - : تحقيق الكمال الواجب في العبادة ، وهذه مرتبة الإيمان ، وهي درجة عباد الله المتقين .
 - : تحقيق الكمال المستحب في العبادة ، وهذه مرتبة الإحسان ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .
- كل درجة من هذه الدرجات يتفاضل المسلمون فيها تفاضلاً كبيراً لا يحصيهم إلا من خلقهم .
- أما من أشرك بالله تعالى شيئاً فليس من أهل عبودية الله ، وإنما هو من عباد الشيطان كما قال الله تعالى :
ليس :
١٦٠
- أصحاب الدرجة الأولى مسلمون موعودون بدخول الجنة وإن عذبوا قبل ذلك على بعض ما اقترفوه من الذنوب ؛ فما معهم من التوحيد والإسلام مانع من الخلود في النار ، وفي هذه الطبقة يكون أهل الكبائر من المسلمين .
- وأصحاب الدرجة الثانية هم المتقون الذين يحْتَنَبُونَ المحرمات ويؤدُونَ الفرائض ؛ فيؤدُونَ حقوق العبادة الواجبة ويحْتَنَبُونَ الشرك الأصغر من الرياء وتعلق القلب بغير الله تعالى كالتعلق بالمال والرياسة والأشخاص وغيرهم فهذا كله قاذح في تحقيق القدر الواجب من العبودية لله تعالى .
- من تعلق شيئاً دون الله وكل إليه ، ومن أحب شيئاً من دون الله حتى يعصي الله بسببه عذب به ، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

))

..((

■ هذا دعاء عليه من النبي صلى الله عليه وسلم بالتعاسة والانتكاسة، فكلما قام من سقطته وقع في أخرى، وإذا أصيب ببلاء لم يهتد للخروج منه، وسبب ذلك عبوديته للدنيا، وغفلته عن الله جل وعلا.

○ إذا كان العبد همته للدنيا إن أعطي منها رضي، وإن لم يعط ظل ساخطاً على قضاء الله وقدره متبرماً منه لم يكن قلبه سليماً لله جل وعلا بل فيه عبودية لغير الله.

○ هذا أمر تشاهد آثاره فيمن تعلق قلبه بمال أو رئاسة أو شخص يحبه حتى يعصي الله لأجله؛ فيكون في قلبه رقّ لما أحبه وتعلق به وعصى الله لأجله.

○ قال ابن تيمية رحمه الله: (كلُّ مَنْ عُلِقَ قَلْبُهُ بِالْمَخْلُوقِينَ أَنْ يَنْصُرُوهُ أَوْ يَرْزُقُوهُ أَوْ أَنْ يَهْدُوهُ خَضَعَ قَلْبُهُ لَهُمْ وَصَارَ فِيهِ مِنَ الْعِبُودِيَةِ لَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ).

● وقال أيضاً: (ومن أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألد ولا أمتع ولا أطيب والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحسوب آخر يكون أحب إليه منه أو خوفاً من مكروه فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح أو بالخوف من الضرر. قال تعالى في حق يوسف: (يوسف: ١٢٤). هـ.

● إذا كان القلب أسيراً لشيء من هذه المحبوبات لم يكن خالصاً لله جل وعلا، ولم يأت صاحبه بالعبودية الواجبة، بل يكون في قلبه ذلٌّ لها مصحوب بخوف ورجاء وهذا هو معنى العبادة التي يجب إخلاصها لله جل وعلا، ولذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبداً للمال، وإن كانت هذه العبودية ليست تامة بحيث تفضي به إلى الشرك الأكبر إلا من بلغت به عبوديته للدنيا أن يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام والعياذ بالله.

● قال ابن القيم رحمه الله: (وليس له أنفع من التوجُّه إلى الله وإقباله عليه وتوكُّله عليه، وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده، فلا يُعَلِّقُ قَلْبَهُ بغيره ولا يستغيثُ بسواه ولا يرجو إلاَّ إِيَّاه).

• ومتى عَلَّقَ قلبه بغيره ورجاهُ وخافهُ وُكِّلَ إليه ، وُخِذِلَ من جهته ، فَمَنْ خافَ شيئاً غيرَ الله سُلِّطَ عليه ، وَمَنْ رَجَا شيئاً سِوَى الله خُذِلَ من جهته وحُرِّمَ خيرَه ، فهذه سُنَّةُ الله في خَلْقِهِ :

[الأحزاب: ٦٢] اهـ..

• هذا الذل يختلف عن الذل الذي أمر الله به ومدحه كما في قوله تعالى في شأن الوالدين :

[الإسراء: ٢٤] ، وقوله :

[المائدة: ٥٤] فهذه ذلة مصحوبة بالرحمة وقصد الإحسان إلى المتذلل له فليس فيها ما يقدر في العبودية لله جل وعلا ، بخلاف عبودية الدنيا المحرمة فإنها ذل في القلب مصحوب بخوف ورجاء مع غفلة القلب عن التعلق بالله جل وعلا.

• من كان قلبه مؤمناً بالله سليماً له جلّ وعلا علم أن ما يصيبه خير له ، ولم يأس على ما فاته لإحسانه ظنه بالله ، فلذلك لا يشقى ؛ وأما من ضعف يقينه بالله ولم يتبع هداه فإنه يشقى بمطلوبه وإن تحقق له ، ويكون فتنة له.

• قاعدة مهمة فيما يتلى به المؤمن ، وهي : أن كل بلاء يتلى به المؤمن يصاحبه أمران :

○ الأمر الأول : بيان الهدى فيما يجب على العبد أن يتقيه ويتجنبه ، وما يحبه الله لعبده وينجيه به مما يخاف منه ، وذلك أن العبد إذا ابتلي كان معرضاً لفعل الصواب والخطأ ؛ فإن أصاب فهو مهتدٍ ، وإن أخطأ فقد ضل ، وتختلف درجة الضلال بحسب درجة المخالفة ، وقد قال الله تعالى :

[التوبة: ١١٥].

■ قال الشافعي رحمه الله : (فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها).

○ : وقد قال الله تعالى : ()

[الشرح: ٥، ٦] ، ولن يغلب عسر يسرين ، وأول التيسير أن يعلم أنه لا ينزل بعبد

مؤمن بلاء إلا كان بعده فرج فهذا اليقين المعتمد على حسن الظن بالله جل وعلا والتصديق بوعده ورجائه عبادة عظيمة من أجل العبادات وهو في هذا يدافع وساوس الشيطان وما

يلقيه في نفسه من الخواطر الرديئة والتيئيس من رحمة الله والتشكيك في صدق وعده ؛
فيكون المؤمن في حال ابتلائه مجاهداً صابراً راجياً ربه جل وعلا.

■ روى الإمام مالك في الموطأ وابن أبي شيبة في مصنفه وابن جرير في تفسيره وغيرهم
عن زيد بن أسلم أنه قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له
جموعاً من الروم وما يتخوف منهم ؛ فكتب إليه عمر بن الخطاب : (أما بعد فإنه مهما
ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وأنه لن يغلب عسر يسرين وأن الله
تعالى يقول في كتابه
آل عمران : ٢٠٠).

وقال الشاعر :

وكل شديدة نزلت بحمي سيأتي بعد شدتها رخاء

○ من تأمل أوجه اللطف فيما يتعرض له من البلاء علم حقيقة هذا الأمر.

● بهذا يعلم المؤمن أن كل قضاء يقضيه الله له فهو خير له ، وليس ذلك إلا للمؤمن والله
تعالى عليم حكيم في قضاائه وقدره وتدبيره ، وفي صحيح مسلم من حديث صهيب الرومي
رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((

..))

○ تأمل قول الله تعالى :

وفي هذا دليل على أن كل ما يصيب المؤمن فهو له وليس عليه ، وذلك إذا اتبع هدى الله ،
أما إذا خالف هدى الله فإنه يستحق من العقوبة بقدر ما خالف وضعف إيمانه.

○ بذلك يعلم المؤمن أن كماله وهدايته وأمنه وإنما هو في اتباع هدى الله جل وعلا
فإنه حينئذ يكون ولياً من أولياء الله فيتولى الله أموره ويرشده إلى ما ينفعه ويوقفه لفضله
العظيم كما قال الله تعالى :

البقرة : ٢٥٧.

- : وهذه مرتبة الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- هذا يحملك على أن يكون حبك لله ولما يحبه الله، وبغضك لما يبغضه الله ولما يبغضك عن الله، وينبني على ذلك تعظيم ما عظمه الله، وتحقير ما حقره الله.
- في سنن أبي داود وغيره من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((
- العطاء والمنع في الحديث لا يختص بالمال بل هو عام في كل ما يُعطى ويمنع من مال وعلم وجاه وجهد ووقت، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.
- من عمل بهذا الحديث فقد أسلم قصده لله تعالى واستمسك بالعروة الوثقى التي لا أوثق منها، كما قال الله تعالى:

[لقمان: ٢٢].

- (الوثقى) صيغة مبالغة، يقال: عروة وثيقة أي شديدة متينة مأمونة، وعروة أوثق من عروة، والعروة الوثقى أي التي لا أوثق منها.
- العروة هي ما يستمسك به للنجاة؛ فإذا كانت العروة وثقى، والاستمسك قويا نجا العبد مما يخاف.

٤: العبادة الكونية والعبادة الشرعية

- ذكرنا أن العبادة على نوعين: عبادة متعلقة بالربوبية وعبادة متعلقة بالألوهية.
- فهي عامة لجميع الخلق لا يخرج منهم أحد عنها كما قال الله تعالى: ()
- () [مریم: ٩٣-١٩٥]، وقال تعالى: ()
- [الأنعام: ١١٨]؛ فهذه هي العبادة الكونية لا يخرج منها برٌّ ولا فاجر.
- فهي الفارقة بين المسلمين والكفار وأهل الجنة وأهل النار، وهي إخلاص العبادة لله جل وعلا وامتنال أمره واجتناب نهيه.

○ العبادة المتعلقة بالربوبية من الإقرار بخلق الله تعالى وملكوته وتدبيره وشهود الفقر إلى الله تعالى، لا تفرق بين المؤمن والكافر وأهل الجنة والنار، لأن العبد قد يعرف ذلك ويعصي الله ويبعد غير الله كما فعل المشركون.

○ شهود مشهد الربوبية لا يدخل العبد في الإسلام ولا يقتضي الإخلاص في العبادات، وإن كان حجة في وجوبه لكن لا يقتضي أن يقوم العبد به.

○ قال الله تعالى في المشركين:

()

[يونس: ٣١، ٣٢].

○ مشركو العرب كانوا يقرون بوجود الله تعالى وأنه هو الخالق الرازق المدبر لأموالهم ومع هذا لم يكونوا مسلمين لأنهم لم يتقوا الله تعالى ولم يفرده بالعبادة، والتوحيد هو أصل التقوى.

○ المعرفة التي لا يترتب عليها امتثال الأمر حجة على صاحبها وعذاب عليه، وهي من شأن أهل الجحود والاستكبار والإعراض، كما قال الله تعالى:

[النمل: ١٤] وقال:

[الأنعام: ٣٣].

● المخالفون في العبودية الشرعية على درجتين:

○ : المشركون الذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى، فلم يمثلوا أمره في أعظم ما أمر به، فهؤلاء مشركون كفار خارجون عن دين الإسلام.

○ : المبتدعة الضلال الذين غلبوا جانب التعبد لله بالتفكر في أفعاله وخلقته حتى ضيعوا بعض الفرائض وارتكبوا بعض المحرمات، كما يفعله بعض المتصوفة.

■ بعض غلاة المتصوفة قد يصل به الأمر إلى تضييع الأوامر جملة حتى يخرج من دين الإسلام والعياذ بالله.

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند

شهودها ولم يقيم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره وأمر رسوله كان من جنس إبليس وأهل النار؛ فإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان كان من أشرف أهل الكفر والإلحاد).

■ هؤلاء الذين زعموا أنهم وصلوا إلى درجة اليقين وأن التكاليف قد سقطت عنهم كفار مرتدون خارجون عن دين الإسلام والعياذ بالله.

○ من مداخل الشيطان على بعض الناس أن يصرف همتهم عن أداء الفرائض واجتناب المحرمات إلى التفكير فيما يثبتون به وحدانية الله تعالى وأنه هو الخالق الرازق المدبر للأمر ويظنون أنهم إذا أتوا بهذا الأمر فقد أبلوا بلاء حسناً يعفى به عن تقصيرهم وتفريطهم في أداء الفرائض.

○ لذلك تجد بعض من خدع بهذه الخديعة من المسلمين يعظم بحوث من أوتي ظاهراً من العلم فيما يثبتون به شيئاً من آثار ربوبية الله تعالى وسعة علمه وحكمته وتدييره ويظل يتبعها ويفني وقته وجهده في التنقيب عنها بل ربما زاد بعضهم عليها بعض الأكاذيب والتهويلات والتلفيقات ليخرجوا للناس بشيء يزعمون أنه جديد لم يسبقوا إليه في دلائل إثبات وحدانية الله تعالى في خلقه وملكوته وتدييره، وهذا خطأ ينبغي التنبيه عليه.

○ لا خلاف في أن المؤمن مأمور بالتفكير في آيات الله ومخلوقاته بما يحمله على التقوى وامتنال الأمر واجتناب النهي أما إذا كان تفكره للتعجب والتأمل المجرد الذي لا ينبني عليه عمل فلا يمتثل الأمر ولا يجتنب النهي فتفكره حجة عليه وعذاب عليه - والعياذ بالله - وإن صاحبه إقرار بوحدانية الله تعالى في خلقه وملكوته وتدييره.

٥: بيان وجوب أفراد الله تعالى بالعبادة

• قول الله تعالى:

الشرعية من خلق الجن والإنس التي عليها مدار الثواب والعقاب والأمر والنهي،

وقوله تعالى :

(هود: ١١٨) بيان للعلّة

- الكونية القدرية التي هي مقتضى حكمته جلّ وعلا ، وفيها أن الاختلاف عذاب.
- توعدّ الله تعالى من أشرك معه أحداً في عبادته بالخلود في النار وأن لا يغفر له شركه دليل على شدة وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة.
- وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة هو مقتضى الشرع والعقل والعدل ؛ فالله تعالى هو الخالق الرازق وهو الملك المدبّر لعبادة غيره ظلم عظيم وسفّه وضلال كبير.

شرح عبارات المتن

قوله: (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَادَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالدَّبْحُ، وَالتَّنْدُرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا: كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى).

- ذكر الشيخ رحمه الله أصول العبادات وأهم أنواعها ، وبَيَّن أن هذه العبادات يجب إفراد الله تعالى بها ، وأن من صرف شيئاً منها لغير الله تعالى فهو مشرك كافر والعياذ بالله.

قوله: (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ).

- هذه مراتب الدين ، وقد تبين مما سبق أن درجات تحقيق العبودية لله تعالى مرتبة على مراتب الدين من الإسلام والإيمان والإحسان.

قوله: (وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَادَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالدَّبْحُ، وَالتَّنْدُرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا: كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى).

- هذه العبادات يتفاضل المسلمون في تحقيقها على درجات العبودية لله تعالى فمسلم ومؤمن ومحسن.

- من أداها مخلصاً لله تعالى ولم يشرك مع الله فيها أحداً فهو مسلم.
- ومن أداها مخلصاً لله تعالى مكماً واجباتها مجتنباً الشرك الأصغر فيها فهو مؤمن.

○ ومن أداها على الكمال المستحب فهو محسن ، نسأل الله من فضله.

قوله: (وَالدَّيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [الجن: ١١٨].

- هذا دليل على تحريم دعاء غير الله تعالى دعاء مسألة أو دعاء عبادة.
- تقدّم تفسير هذه الآية في درس سابق.

قوله: (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِيُغَيِّرَ اللَّهَ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[المؤمنون: ١١٧].

- هذه الآية فيها وصف من دعا غير الله بأنه كافر.
- وقوله [المؤمنون: ١١٧] هذا وصف كاشف للعللة اللازمة لكل ما يعبد من

دون الله تعالى وهو أنه لا برهان لأحد بأن الله تعالى قد أذن بعبادة إله من دونه.

الدرس الثامن: الدعاء والخوف والرجاء والتوكل

قال رحمه الله:

وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»، الدليل قوله تعالى:

[غافر: ٦٠].

[آل عمران: ١٧٥].

ودليل الخوف قوله تعالى:

ودليل الرجاء قوله تعالى:

[الكهف: ١١٠].

ودليل التوكل قوله تعالى:

[المائدة: ٢٣]،

[سورة الطلاق: ٣].

عناصر الدرس:

١: الدعاء:

- دعاء المسألة ودعاء العبادة.
- أقسام وأحكام سؤال غير الله عز وجل
- وجوب العناية بسلامة القلب لله تعالى
- الفرق بين تذلل التعلق وتذلل الرحمة والإحسان
- من سلامة القلب لله شكر إحسان المحسن من الخلق
- الله تعالى وحده الذي بيده النفع والضرر

٢: الخوف:

- أقسام الخوف.
- درجات الناس في خوف العبادة.
- أنواع خوف المؤمنين

٣: الرجاء:

- بيان معنى الرجاء.
- أقسام الرجاء.

- درجات رجاء نفع الأسباب
- قاعدة دخول الشرك في العبادات
- أصول العبادات القلبية
- حاجة السالك إلى الجمع بين المحبة والخوف والرجاء
- ٤: التوكل:
- معنى التوكل.
- فضل التوكل على الله وحده لا شريك له.
- أنواع التوكل على الله تعالى.

شرح مقاصد الدرس

- هذا الدرس بداية تفصيل لأنواع العبادة التي ذكرها المؤلف رحمه الله.
- في هذا الدرس تلخيص لأهم المسائل المتعلقة بهذه العبادات العظيمة وبيان سبيل إخلاصها لله تعالى ، ودرجات دخول الشرك فيها ليكون الطالب منه على بصيرة ويحذر من الوقوع فيه.

١: الدعاء.

- الدعاء على قسمين: **دعاء مسألة ودعاء عبادة.**
 - هذا التقسيم إنما هو لغرض التوضيح والتعليم وإلا فكلما القسمين عبادة.
 - قصد العلماء بهذا التقسيم بيان شمول اسم الدعاء للقسمين ؛ فإن لفظ الدعاء يطلق في النصوص ويراد به المعنى الأول، ويطلق ويراد به المعنى الثاني، ويطلق ويراد به المعنيين جميعاً.
- **أما دعاء المسألة** فهو الذي يكون فيه سؤال رغبة ورهبة لجلب منفعة أو دفع مضرة، فيكون عبادة لا يجوز صرفها لغير الله جل وعلا، قال الله تعالى:

ليونس: ١٦.

- من أمثلة الشرك في دعاء المسألة: سؤال الأموات قضاء الحاجات والمدد والشفاعة وغير ذلك ؛ فهذا من الشرك الأكبر، وهو ضلال بعيد، وكفر مبين، قال الله تعالى:

()

الأحقاف: ٥ ، ٦.

- **وأما دعاء العبادة** فهو: التعبد للمعبود بأقوال أو أعمال يُتقرب بها إليه رغبة ورهبة ؛ فهذا صرفه لغير الله جل وعلا شرك أكبر.
- **من أمثلة الشرك في دعاء العبادة:** ما يتنسك به عبّاد الأوثان من أنواع الأعمال التي يعملونها على جهة التعبد والتقرب ؛ فهي شرك أكبر، والعياذ بالله.
- **مسألة:** مَنْ طلب من مخلوق ما يقدر عليه كأن يقولَ فقيرٌ لغني: أعطني من مال الله

الذي أعطاك ، أو يقول رجل لغيره : أعني بكذا وكذا ؛ فهذا ليس بشرك بإجماع العلماء ، لأنه ليس فيه معاني العبادة .

- اعتبار معنى العبادة مهم في الحكم على العمل بأنه شرك أو ليس بشرك ؛ فإذا كان في القلب نوع تذلل للمسؤول وخوف ورجاء فهذا شرك أصغر ، وهو من أنواع عبودية الدنيا .

أقسام وأحكام سؤال غير الله عز وجل

- سؤال غير الله تعالى على ثلاث درجات :
 - الدعاء الذي يكون فيه معاني التعبد من الرغب والرهب والخوف والرجاء واعتقاد النفع والضر في المدعو فهذا شرك أكبر ، والعياذ بالله .
 - سؤال المخلوقين مما يقدرون عليه عادة مع اعتقاد أن الله تعالى هو النافع الضار ، لكن يغلب على قلبه التعلق بهم ، ويكون في قلب السائل نوع تذلل لهم وخضوع ؛ فهذا شرك أصغر لأنه مناف لتحقيق كمال العبودية الواجبة لله تعالى .
 - أن يطلب من المخلوقين ما يقدرون عليه مما يحتاج إليه من غير أن يكون في قلبه تعلق بهم ولا تذلل لهم ولا خضوع ؛ فهذا ليس بشرك ، وله أحكام بحسب الغرض فقد يكون مأموراً به ، وقد يكون مباحاً ، وقد يكون مكروهاً ، وقد يكون محرماً .

وجوب العناية بسلامة القلب لله تعالى

- يجب على العبد أن يسلم قلبه لله ، فيطهره من الشرك والتعلق بغير الله جل وعلا .
- سعي المسلم في طلب الرزق وبذل الأسباب لجلب منفعة أو دفع مضرة يجب أن لا يحمله على تذلل قلبه لغير الله تعالى ؛ فالله لم يبتليه ليتذلل لغيره .
- تذلل القلب لغير الله تعالى قادح في التوحيد ، والمؤمن يعتقد كفاية الله تعالى له : الزمر: ٣٦ ، وإنما عليه أن يبذل ما يستطيع من الأسباب .
- بذل ما يستطيع من الأسباب مع التوكل على الله تعالى يحصل بهما كفاية العبد ، فمن قام بهما بورك له في رزقه وكفاه الله ما أهمه من أمر دينه ودنياه .
- تنبيه : من الناس من تحمله إرادة التعبير عن البراءة من التذلل لغير الله إلى الإساءة إلى مَنْ

حَقُّهُ أَنْ يَتَأَدَّبَ مَعَهُ كَأَبِيهِ أَوْ وَلِيِّهِ أَوْ رَئِيسِهِ ، فَهَذَا خَطَأٌ يَنْبَغِي التَّنْبَهُ لَهُ .

○ الله تعالى يحب العدل والإحسان ويحب الرفق ويثيب عليه ، ويبغض الفحش والتفحش والتعالي على الناس .

الفرق بين تذلل التعلق وتذلل الرحمة والإحسان

- التذلل المأمور به للوالدين وللمؤمنين تذلل رحمة وإحسان لا تذلل تعلق وعبودية .
- مدح الله التذلل للمؤمنين فقال تعالى :

[المائدة : ٥٤] ،

وقال في الوالدين :

[الإسراء : ٢٤] .

- هذا التذلل بدين الجانب وخفض الجناح وحسن القول مبناه على الرحمة وقصد الإحسان إلى المؤمنين والتواضع لهم والرفقة بهم طاعة لله عز وجل واتباعاً لرضوانه وابتغاء لفضله وإحسانه ، وأما القلب فهو سليم لله عز وجل غير خاضع للمخلوقين .
- من سلامة القلب لله شكر إحسان المحسن من الناس ومكافأة صاحب المعروف ليبقى قلب المسلم سليماً لله تعالى ، والله يحب الشكور من عباده الذي أحسن إليه شكر .
- أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهدى في معاملة من أحسن إلينا .
- عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((

رواه البخاري في الأدب

المفرد وأبو داوود في سننه والترمذي في جامعه وصححه الألباني .

- قال شاعر من يهود المدينة في الجاهلية :

ارفع ضعيفك لا يجر بك ضعفه يوماً فتدرك العواقب قد نما
يجزيك أو يشني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

○ روى البيهقي في شعب الإيمان بإسناد فيه ضعف أن النبي صلى الله عليه وسلم

استحسن هذين البيتين .

- من جزى الإحسان بالإحسان أو أثنى على صاحب الإحسان فقد أدى شكره، وبقي قلبه سليماً لله جل وعلا، وهو في ذلك يعتقد أنهم سبب أجرى الله الإحسان على أيديهم وله في ذلك حكم بالغة.

الله تعالى وحده الذي بيده النفع والضرر

- مبنى الدعاء على اعتقاد النفع والضرر في المدعو، ومن أيقن بأنه لا ينفع ولا يضر على الحقيقة إلا الله تعالى استراح قلبه من التعلق بالخلق.
- هذه القضية تكرر التأكيد عليها في القرآن العظيم في آيات كثيرة:
 - قال الله تعالى موجهاً المشركين:

() [المائدة: ١٧٦].

○ وقال حكاية عن خليته إبراهيم عليه السلام:

() ()

[الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

○ وقال تعالى:

() [الزمر: ٣٨].

○ وقال تعالى:

[يونس: ١٧].

- هذه المسألة مبينة في القرآن الكريم بياناً كافياً شافياً يقطع جميع علائق التعلق بغير الله جل وعلا؛ فإن مدار العبودية على عمل القلب؛ فإذا كان القلب سليماً لله عز وجل خالصاً صلح بإذن الله وصلح سائر الجسد.
- قال ابن القيم رحمه الله: (الضرر والنفع بيد الله عز وجل فإن شاء أن يضر عبده ضره، وإن شاء أن يصرف عنه الضر صرفه، بل إن شاء أن ينفعه بما هو من أسباب الضرر ويضره بما هو من أسباب النفع فعل، ليتبين العباد أنه وحده الضار النافع، وأن أسباب الضرر والنفع بيديه، وهو الذي جعلها أسباباً، وإن شاء خلع منها سببها، وإن شاء جعل ما تقتضيه

بخلاف المعهود منها، يُعلم أنه الفاعل المختار، وأنه لا يضر شيء ولا ينفع إلا بإذنه، وأن التوكل عليه والثقة به تحيل الأسباب المكروهة إلى خلاف موجباتها، وتبين مرتبتها، وأنها محالّ لجاري مشيئة الله وحكمته، وأنه سبحانه هو الذي يضر بها وينفع، ليس إليها ولا لها من الأمر شيء، وأن الأمر كله لله، وأنها إنما ينال ضررها من علّق قلبه بها ووقف عندها. اهـ.

٢: الخوف

• الخوف على قسمين:

○ **القسم الأول: خوف العبادة:** وهو الذي يحمل معنى العبادة من التذلل والرهبة والخشية من إيقاع الضرر ممن يملك إيقاعه.

○ القسم الثاني: الخوف الطبيعي الذي يخلو من المعاني التعبدية، وسيأتي بيانه.

• **من لوازم خوف العبادة أن يقوم بالقلب بعبادات عظيمة من الرهبة والخشية والإنابة والتوكل وتعلق القلب فهذا الخوف لا شك أن صرفه لغير الله جل وعلا شرك في العبادة.**

• يجب أن يُخلص هذا الخوف لله وحده كما قال تعالى:

[النحل: ٥١]

وتقديم المعمول يفيد الحصر، وهذه هي رهبة العبادة.

• الشرك في خوف العبادة من عمل المشركين، ومن أراد أن يعرف معنى الخوف الشركي فلينظر حال المشركين الذي يخافون هذا الخوف وليتأمل ما قصّه الله من أخبارهم.

• قال الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام في حاجته لقومه:

()

[الأنعام: ٨٠، ٨١].

• وقال عن عاد قوم هود في مجادلتهم لنيبهم:

()

()

()

لهود: ٥٣ - ١٥٦، وقال لنيبه محمد صلى الله عليه وسلم:

()

[الزمر: ٣٦].

• قال ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيَخَوْفُكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْآلِهَةِ أَنْ تَصِيْبَكَ بِسُوءٍ، بِيْرَاءَتِكَ مِنْهَا، وَعَيْبِكَ لَهَا، وَاللَّهُ كَافِيكَ ذَلِكَ)١.هـ.

• وقال قتادة: (بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالداً بن الوليد إلى شعب بسُقام ليكسر العزى، فقال سادنها - وهو قيمها - : يا خالد أنا أحَدَرُكها، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشم أنفها)١.هـ، وهذا مثال للخوف الشركي.

• وقال مجاهد: ([الزمر: ٣٦]، يعني: «يخوفونك بالأوثان

التي يعبدون من دون الله عز وجل»).

• ومن عبَادِ الْأَوْثَانِ وَالْقُبُورِ الْيَوْمَ مِنْ يَخَوْفُ النَّاسِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِأَنْ لَهُمْ قُدْرَةٌ وَتَصَرُّفٌ وَإِذَا غَضِبُوا عَلَى شَخْصٍ أَرْسَلُوا لَهُ مِنْ يَعْذِبُهُ وَيَصِيْبُهُ بِالْأَمْرَاضِ وَرَبْمَا يَشِلُّ جِسْمَهُ أَوْ يَقْتُلُهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ التَّخْوِيفِ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَخَافَهُ.

• يذكر بعض العلماء عبارة (خوف السر) ويقصدون به خوف التعبد، كما صرَّحوا بالتمثيل له بخوف عبَادِ الْقُبُورِ وَالْأَوْلِيَاءِ.

○ هَؤُلَاءِ فِي الْحَقِيقَةِ جَمَعُوا أَنْوَاعاً مِنَ الشَّرْكِ مِنْهَا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْأَمْوَاتِ يَطْلَعُونَ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ، وَاعْتِقَادُهُمْ قُدْرَتَهُمْ عَلَى الْمُواخَذَةِ وَإِحْلَالِ الْعُقُوبَةِ وَالسُّخْطِ، وَخَوْفُهُمْ أَنَّ يَقْطَعُوا عَنْهُمْ الْمَدَدَ أَوْ يَتَخَلَّوْا عَنِ الشَّفَاعَةِ لَهُمْ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

○ لِذَلِكَ تَجِدُ بَعْضَهُمْ إِذَا سَمِعَ أَحَدًا يَذْكَرُ أَحَدَ أَوْلِيَاءِ الْأَمْوَاتِ بِسُوءٍ أَوْ يَنْهَى عَنِ الْغُلُوِّ فِيهِمْ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الْخَوْفِ مِنْ غَضَبِ ذَلِكَ الْوَلِيِّ بِزَعْمِهِمْ.

○ خَوْفُ السَّرِّ هَذَا فِيهِ مَعَانِي التَّعْبُدِ مِنَ الرَّهْبَةِ وَالْحَشْيَةِ وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْمَعْبُودِ وَالِاتِّجَاءِ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ عِبَادَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنْ صَرَفِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الشَّرْكِ.

أقسام الناس في خوف العبادة

• الناس في خوف العبادة على درجات :

○ السَّايِقُونَ الْمُقْرَبُونَ وهم الذين حملهم الخوف من الله تعالى على المسارعة في الخيرات والتقرب إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل والورع واجتناب المحرمات والشبهات ؛ فهؤلاء بخير المنازل.

■ هؤلاء هم الذين أثنى الله تعالى عليهم بقوله :

() ()

() ()

المؤمنون: ٥٧ - ٦١ ، وقوله :

[الزمر: ٤٩]

○ المقتصدون وهم الذين حملهم الخوف من الله تعالى على اجتناب المحرمات وفعل الواجبات فهؤلاء هم المتقون المقتصدون.

○ المفرطون الظالمون لأنفسهم من المسلمين ، وهؤلاء معهم أصل الخوف من الله تعالى بحيث يمنعهم من الشرك الأكبر وارتكاب ناقض من نواقض الإسلام ، لكنهم لضعف خوفهم من الله تعالى يرتكبون الكبائر ويتركون بعض الفرائض الواجبة والعياذ بالله ، فهؤلاء مذنبون مستحقون للعذاب بقدر ما وقعوا فيه من المخالفة ، وهم باقون في دائرة الإسلام.

○ الغلاة المفرطون وهم الذين حملهم الخوف الشديد على نوع من اليأس من رحمة الله والقنوط من رحمته ؛ فهؤلاء مذنبون غلاة ، ولا يجوز للمؤمن أن ييأس من روح الله ، ولا يقنط من رحمته.

○ المشركون وهم الذين صرفوا هذه العبادة العظيمة لغير الله جل وعلا ؛ فهؤلاء مشركون كفار خارجون عن دين الإسلام والعياذ بالله.

• فهذه درجات الناس في خوف التعبد وهم في كل درجة تتفاوت منازلهم.

● **القسم الثاني من الخوف: الخوف الطبيعي**، وهو ما خلا من معاني التعبد، وهذا حكمه بحسب ما يحمل عليه:

○ مثاله: خوف العبد من السباع والبهائم والظلمة الطغاة فهذا لا يلام عليه العبد بل قد يعذر بسببه في أحوال؛ فقد يسقط عن الرجل وجوب صلاة الجماعة للخوف، وقد يجوز له جمع ما يجمع الصلوات بسبب الخوف، ونحو ذلك.

■ أما إن حَمَلَ هذا الخوف صاحبه على ترك بعض الواجبات التي لا يعذر بتركها أو ارتكاب محظور لا يعذر بارتكابه فهو محرم لا يجوز.

■ مثاله: جماعة من المسلمين ظاهرون في بلد من البلدان حملهم الخوف من العدو على ترك الجهاد في سبيل الله عز وجل؛ وترك إعداد العدة لذلك؛ فهؤلاء مذمومون مفرطون مذنبون بتركهم فريضة الجهاد في سبيل الله عز وجل، وسنة الله تعالى جارية بأن يسلب الله عليهم أعداءهم وينزع مهابتهم من صدور الكافرين بسبب مخالفتهم لاتباع هدى الله جل وعلا.

■ تقديم خوف العدو على الخوف من الله جل وعلا، وقد قال الله تعالى:

آل عمران: ١٧٥.

■ أي يعظمهم في نفوسكم حتى تخافوهم، وهذا الخوف من أولياء الشيطان محرم لا يجوز.

● قد يصل الخوف من غير الله تعالى بالعبد إلى الكفر والعياذ بالله؛ كمن يحمله الخوف على الرضا بالكفر واختياره خوفاً وجبناً كما قال الله تعالى:

()

()

()

النحل: ١٠٦ - ١٠٩.

○ هذا هو أصل خوف الأتباع من المتبوعين من أئمة الكفر كما قال الله تعالى فيهم:

()

()

[سبأ: ٣١ - ٣٣].

○ وقال تعالى:

()

[غافر: ٤٧ ، ٤٨].

- هؤلاء حملهم خوفهم الطبيعي على الكفر والعياذ بالله.

أنواع خوف المؤمنين

- خوف المؤمنين له ثلاثة أنواع:
- النوع الأول: الخوف من سخط الله عز وجل وإعراضه عن العبد، وهو خوف المحبين.
- النوع الثاني: الخوف من العذاب الدنيوي والأخروي، وهذا خوف المتقين.
- النوع الثالث: الخوف من فوات الثواب، وهذا خوف العاملين.

٣: الرجاء.

- معنى الرجاء
- الرجاء نقيض اليأس، وهو طمع القلب في حصول منفعة.
- قال الله تعالى:
- وقال عن أوليائه المتقين:

[السجدة: ١٦].

- والرجاء على قسمين:
- رجاء العبادة.
- رجاء نفع الأسباب.

[الأعراف: ٥٦].

• **رجاء العبادة** لا يجوز صرفه لغير الله جل وعلا ، ومن صرفه لغير الله تعالى فهو مشرك لأنه يحمل معاني العبادة من التذلل والخضوع والمحبة والانقياد واعتقاد النفع والضرر وتفويض الأمر وتعلق القلب والتقرب إلى المعبود.

○ هذه كلها عبادات عظيمة تقتضيها عبادة الرجاء فمن صرفها لغير الله جل وعلا فهو مشرك كافر.

○ من أمثلة الرجاء الشركي : رجاء المشركين في آلهتهم التي يعبدونها من دون الله أنها تشفع لهم عند الله أو أنها تقربهم إلى الله زلفى ، ورجاء بعض عباد الأولياء والقبور بأنهم ينجونهم من الكربات ويدفعون عنهم البلاء ويجلبون لهم النفع ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

درجات رجاء نفع الأسباب

• رجاء نفع الأسباب مع اعتقاد أن النفع والضرر بيد الله جل وعلا على ثلاث درجات :

○ رجاء جائز ، وهو رجاء نفع الأسباب المشروعة مع عدم تعلق القلب بها.

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((

رواه أحمد

والترمذي بإسناد صحيح.

■ هذا الرجاء ليس هو رجاء العبادة ، وإنما هو رجاء نفع السبب مع اعتقاد أن النفع والضرر بيد الله جل وعلا.

○ رجاء محرم ، وهو الرجاء في الأسباب المحرمة ليستعين بها على معصية الله جل وعلا.

○ شرك أصغر ، وهو تعلق القلب بالأسباب التي يُرجى نفعها ؛ كتعلق بعض المرضى بالرقاة والأطباء تعلقاً قلبياً يغفلون معه عن أن الشفاء بيد الله عز وجل ؛ فهذا من شرك الأسباب كما تقدم شرحه.

قاعدة دخول الشرك في العبادات

• هذه العبادات قاعدتها واحدة من فقهها سهل عليه معرفة هذه التقسيمات وتيسر له ضبط مسألتها إن شاء الله تعالى.

• هذه الألفاظ: المحبة والخوف والرجاء والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والرغبة والرهبنة والخشية ونحوها تطلق في النصوص على معنيين:

○ **المعنى الأول:** ما كان يحمل معنى العبادة من التذلل والخضوع والمحبة والتعظيم والانقياد واعتقاد النفع والضر فتكون حينئذ عبادة من صرفها لغير الله عز وجل فقد أشرك الشرك الأكبر والعياذ بالله، ويكون بذلك كافراً خارجاً عن الملة.

■ إذا أردت أن تعرف هذا المعنى فانظر إلى ما يفعله مَنْ أثنى الله عليهم من الموحدين في هذه العبادات، وما يفعله مَنْ ذمهم الله من المشركين بهذه العبادات، وبذلك تعرف المعنى التعبدي فيها الذي لا يجوز صرفه لغير الله جل وعلا.

○ **المعنى الثاني:** ما ليس فيه معنى العبادة، وإنما هو سبب من الأسباب فهذا حكمه بحسب ما يترتب عليه فإن استعين به على طاعة الله فهو طاعة وقربة، وإن استعين به على محرم فهو حرام، وإن حمل على فعل محرم أو ترك واجب لا يعذر بتركه فهو محرم.

■ أما إن تعلق القلب بالسبب وصار فيه نوع تذلل له مصحوب بخوف ورجاء فيكون حينئذ شركاً أصغر، وهو من شرك الأسباب كما سبق بيانه في الدرس السابق.

• لم يذكر المؤلف رحمه الله (المحبة) وهي عبادة من أجل العبادات، بل هي أصل هذه العبادات، وأعلها شأناً وقد قال الله تعالى:

العظيمة التي تحمل معنى العبادة من التذلل والخضوع والتعظيم والانقياد لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، وقد سبق بيان القاعدة في هذا الباب.

أصول العبادات القلبية

- أصول العبادات القلبية التي عليها مدار سائر العبادات: (المحبة، والخوف، والرجاء).
- قال ابن القيم رحمه الله: (القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع

- الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان؛ فهو عرضة لكل صائد وكاسر)١.هـ.
- وبيان ذلك أن ما يدفع القلب للعمل ثلاثة أمور: المحبة، والخوف، والرجاء فمن أحب الله أطاعه، ومن خاف الله أطاعه، ومن رجا ثواب الله أطاعه.
 - من المؤمنين من يغلب عليه دافع المحبة فيطيع الله عز وجل محبة له، مع خوفه من الله ورجائه له، لكن الذي يغلب على قلبه المحبة وصدق التقرب إلى الله عز وجل.
 - من المؤمنين من يغلب عليه الخوف من الله فيطيع الله خوفاً منه، سواء خاف عقابه الدنيوي أو عقابه الآخروي؛ فالذي يحملة غالباً على فعل الطاعات واجتناب المحرمات خوفاً من الله.
 - ومن المؤمنين من يغلب عليه رجاء ثواب الله فتجد أن أكثر ما يحملة على فعل الطاعات واجتناب المحرمات هو رجاء ثواب الله وفضله.
 - والكمال أن يجمع العبد بين هذه الثلاثة، فيطيع الله محبة له، وخوفاً منه، ورجاء لثوابه وفضله.
 - المحبة أعلى مرتبة من مرتبة الخوف والرجاء إذا أردنا المقاضلة بينها، لأن المحبة تبقى في الدنيا والآخرة، وأما الخوف فإنه يزول في الآخرة.

الجمع بين المحبة والخوف والرجاء

- الجمع بين هذه الثلاثة هو منهج السلف الصالح وهو الذي عليه هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
- فيعبدون الله محبة له كما وصفهم الله بقوله: [البقرة: ١٦٥]
- ويعبدون الله خوفاً من عقابه كما أمرهم الله بقوله: [النساء: ١٤]
- وجعل صفة الرجاء فرقاناً بين المؤمنين والكافرين فقال: [النساء: ٣٢].

- قال بعض ضلال الصوفية بالتفريق بينها وزعموا أن من يعبد الله محبة له فقط أعلى

وأكمل ممن يعبد الله رجاء لثوابه أو خوفاً من عقابه.

- أثار عن بعض الصوفية أنه كان يدعو: (اللهم إن كنت تعلم أنني أطيعك رغبة في جنتك فاحرمني منها!!) وهذا ضلال مبين وخسران عظيم إن لم يرحمه الله لجهله وقلة عقله.
- الله تعالى أمر بسؤاله من فضله ورغب في ثوابه فمن ترك رجاء الله فقد عصى الله، وحذر الله من عقابه وعذابه فمن لم يخف الله فقد عصى الله.

حاجة السالك إلى الجمع بين هذه العبادات العظيمة

- من أحب الله سار إليه وتقرب إليه، والسير إليه يكون بامثال أوامره واجتناب نواهيه فهو سير معنوي على الصراط المستقيم الذي هو الطريق إلى المحبوب الأعظم.
- فمحبة الله تدفع العبد إلى التقرب إليه، وعلى حسب قوة المحبة وضعفها تكون مسارعة العبد في الطاعات ومسارعته في الكف عن المحرمات.
- وخوفه من الله يمنعه من الانحراف عن الصراط المستقيم فلا يتعدى حدود الله وهو يخاف عقاب الله.
- ورجاؤه لفضل الله يحفزه لفعل الطاعات ويؤمله لقاء الله تعالى والفوز بقربه والتنعم بعظيم ثوابه.

٤: التوكل

- التَّوَكُّلُ طلب الوكالة من الوكيل، والوكيل والمتوكل بالأمر هو الذي يضمن القيام به.
- فالوكيل هو الذي يُسند إليه الأمر ويُفوضُ إليه ويعتمد عليه فيه؛ **والتوكل هو المعتمد المفوض.**
- حقيقة التوكل على الله تعالى: الاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه ثقة في حسن تدييره واعتقاداً بأن النفع والضرر بيده وحده سبحانه.
- التوكل عبادة من أجل العبادات، وهو يجمع عبادات عظيمة من التذلل لله، والخضوع إليه، وتفويض الأمر إليه، ورجاؤه سبحانه، والاستعانة به، والاتجاه إليه، وحسن الظن به جل وعلا، واعتقاد أن النفع والضرر بيده وحده.

- التوكل يستلزم الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا فيؤمن بسعة علم الله تعالى وقدرته، وعظيم ملكه وسعة رحمته، وكمال غناه وجميل حمده، وحسن ولايته وربوبيته، وبديع حكمه وحكمته، وغيرها من الصفات العليا الجليلة التي هي من آثار أسمائه الحسنى.
- ما يقوم في قلب المتوكل عند توكله من هذه العبادات وغيرها أمر لا تحيط به العبارة ولا يوفيه الشرح حقّه.
- المتوكلون يتفاضلون فيه تفاضلاً كبيراً؛ بحسب ما يقوم بقلوبهم من قوة التفويض وتفاضلهم في إحسان اتباع هدى الله جل وعلا.

وجوب أفراد الله تعالى بالتوكل

- التوكل عبادة عظيمة من أجل العبادات من صرفه لغير الله تعالى فلا شك في كفره وظلمه وضلاله.
- قال الله تعالى: [المائدة: ٢٣] فقدم الجار والمجرور
- لإفادة الحصر، كما صرح به في قوله تعالى: [الإسراء: ٢٢].
- وقال تعالى: [الملك: ٢٩]، وقال تعالى:
- وقال تعالى: [يوسف: ٦٧] وقال تعالى:
- وقال تعالى: [الأحزاب: ٣، ٤].

التوكل عبادة قلبية

- قال الإمام أحمد: (التوكل عمل القلب).
- ثواب التوكل على الله عظيم جليل جزيل إذ جعل الله ثواب المتوكل أن الله هو حسبه وكافيه وفي ذلك غناء له عن كل ما تتطلبه النفس، فليس وراء الله مذهب، ولا بعده مطلب.
- قال الله تعالى: ()
- [الطلاق: ٢، ٣] فجعل هذا من ثواب التقوى وهو تفريج الشدة وحصول الرزق أياً كان نوعه، أما التوكل فتوابه أعظم: [الطلاق: ٣].
- وقال تعالى: [آل عمران: ١٥٩]، وهذه المحبة لها

آثارها العظيمة.

○ أثنى الله تعالى على نفسه بأنه (آل عمران: ١٧٣) وهذا الشاء يفتح لأولي الألباب أبواباً من المعاني الجليلة التي يستلزمها هذا الشاء الجميل فيثمر التفكير فيها من اليقين والإيمان ما يحمل العبد على الثقة بالله جل وعلا.

○ كونه (آل عمران: ١٧٣) يستلزم علمه جل وعلا بحاجة من اتخذه وكياً، وعلمه بما يرجوه ويخافه كما قال الله تعالى :

(النساء: ٤٥)، ويستلزم قدرته على تحقيق ما ينفع عبده ودفع ما يضره، ويستلزم نصره لعبده، ولطفه به ورحمته وإحسانه إلى غير ذلك من المعاني الجليلة التي يكفي فيها وصف (آل عمران: ١٧٣) ليحصل للنفس المؤمنة من اليقين والسكينة، والأمن والطمأنينة، والثقة العظيمة بالله جل وعلا ما لا تقوم له هموم الدنيا لو اجتمعت.

○ هذه العبارة (آل عمران: ١٧٣) يقولها أناس فتبلغ بهم من رضوان الله جل وعلا والقرب منه والزلفى لديه منزلاً عالياً جداً، ويقولها أقوام لا تجاوز حناجرهم، وسر ذلك ما وقر في القلب من أنواع العبودية لله جل وعلا.

أنواع التوكل

- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (:
- : توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.
- : التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.
- ويَبْنِ النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ؛ فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه.
- فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم) .هـ.

• قدّم الله تعالى الحث على التوكل عليه في أمور الدين قبل أمور الدنيا كما في الحديث القدسي العظيم: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسبكم).

○ تضمّن هذا الحديث وجوب التوكل على الله جل وعلا فإنه لا تحصل منفعة في دين ولا دنيا إلا بإذن الله تعالى وعلمه وقدرته.

○ بيّن الله تعالى في هذا الحديث أن جميع أبواب النفع مغلقة إلا من طريقه جل وعلا، فما أذن الله في نفعه نفع، وما لم يأذن به فلن ينفع.

○ قوله تعالى في الحديث القدسي: (فاستهدوني أهدكم) (فاستطعموني أطعمكم) (فاستكسوني أكسبكم) يتضمن إرشاداً ووعداً لا يخلفه الله أبداً، ومن أوفى بوعده من الله؟! .!!

○ يصدّق هذا ويبينه ما في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((:))

تحقيق التوكل

- تحقيق التوكل يكون بأمرين:
 - : صدق الالتجاء إلى الله وتفويض الأمر إليه وإحسان الظن به جل وعلا وتعظيم الرغبة في فضله وإحسانه، وإفراجه جل وعلا بهذه العبادة وما تقتضيه من العبادات العظيمة.
 - : اتباع هدى الله جل وعلا بفعل الأسباب التي أذن بها في جلب النفع ودفع الضرر.

■ هذا أمر دل عليه الحديث الآنف الذكر فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الطير

تغدو، وغدوها هو بذلها السبب في التماس الرزق.

○ من جمع الأمرين العبادة القلبية بالتوكل وبذل السبب الذي هو مقتضى هداية الله

تعالى وبيانه فقد حقق التوكل واتبع رضوان الله.

- لما اجتمع هذان الأمران للمؤمنين عقب غزوة أحد كفاهم الله ما أهمهم ؛ وشرفهم بذكرهم في كتابه الكريم ولنأتسي بهم ، فقال تعالى :

()

()

[آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤].

- وهذان الأمران حققهما مؤمن آل فرعون فأبقى الله له الذكر الحسن والثناء الكريم لما صدق في تفويض أمره إلى الله واتباع هداة ؛ فأنكر على قومه الكفر ، وقام بواجب نصره موسى عليه السلام ، واجتهد في النصيحة ؛ فحفظه الله ووقاه ، وأعلى ذكره وكفاه ما أهمه ، وانتقم له ممن أراد المكر به.

○ قال الله تعالى حكاية عنه بعد أن نصح قومه بما نصحهم به :

()

()

[غافر : ٤٤ - ٤٦].

○ قال الإمام الشنقيطي : (وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة :

[غافر : ٤٤ ، ٤٥] دليل واضح على أن

()

التوكل الصادق على الله وتفويض الأمور إليه سبب للحفظ والوقاية من كل سوء).

- التوكل على الله في تحقيق عبوديته جل وعلا - وهو أعظم أنواع التوكل - أمر الله معه ببذل الأسباب والقيام بأعمال العبادة كما أرشد الله عباده وهداهم ، قال تعالى :

[هود : ١٢٣] ، وقال :

[الفرقان :

()

[٥٨] ، وقال :

[الزمل : ٨ - ١٠].

()

- وكذلك من توكل على الله في جلب منفعة أو دفع مضرة فعليه أن يبذل ما يستطيع من الأسباب التي أذن الله بها وهدى إليها.

• من قال بلسانه توكلت على الله وقلبه غافل لاهٍ أو غير عازم على الصدق في التوكل فإنه لم يحقق التوكل ، وكذلك من لم يتبع هدى الله ولم يبذل الأسباب التي أمر الله بها فهو جاهل ظالم لنفسه ، ضال في فهمه ، مقدوح في عقله .

• في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : (نحن المتوكلون) ؛ فإذا قدموا مكة سألوا الناس ؛ فأنزل الله تعالى
[البقرة: ١٩٧].

• وقال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام :

[يوسف: ٦٧] ؛ فجمع بين التوكل على الله وتفويض الأمر إليه ،

وبذل السبب لحمايتهم من العين وذلك بأمره لهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة.

• من فقه هذا المعنى حق الفقه كان حريصاً على بذل الأسباب لأنها من هدى الله تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ولم يتعلق قلبه إلا بربه جل وعلا ، لأنه هو وحده الذي بيده النفع والضرر .

• ترك بذل الأسباب مع إمكانها هو العجز ، وصاحبه محروم مذموم ملوم على عجزه ؛ وما فاته من الخير أو حصل له مما يكره بسبب تفریطه ليس له فيه حجة ؛ بخلاف المتوكل .

• صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيز بالله من العجز والكسل ؛ فقرن بينهما .

• من زعم أنه متوكل على الله وهو لا يتبع هدى الله يبذل الأسباب فهو كاذب في دعواه .

• روي في ذمّ العجز حديثان في إسنادهما مقال ومعناهما صحيح :

○ أحدهما : حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعاً :))

((رواه أحمد

والترمذي وحسنه ، واستدلّ به جماعة من أهل العلم . ومن أهل العلم من ضعّفه .

○ والآخر : حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى

بين رجلين ؛ فقال المقضي عليه لما أدبر : (حسبي الله ونعم الوكيل) ؛ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :)) ؛ فقال : ((؛ قال : قلتُ : حسبي الله

ونعم الوكيل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :))

: ((. رواه أحمد وأبو داود

والنسائي.

• قال ابن القيم رحمه الله : (سرُّ التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده ؛ فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها ، كما لا ينفعه قوله : (توكلت على الله) مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به ؛ فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء ، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء ، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء ، فقول العبد : (توكلت على الله) مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله : (تبت إلى الله) وهو مصر على معصيته مرتكب لها !!).

• خلاصة القول أن مَنْ عَقَلَ معنى التوكل على الله وفقهه حق الفقه سعد في الدنيا والآخرة.

أحكام التوكل

• إذا تبين ذلك علمنا أن التوكل عبادة من أجل العبادات فمن صرفه لغير الله تعالى فهو مشرك كافر خارج من دين الإسلام.

• إذا أردت أن تعرف معنى التوكل الشركي فانظر إلى حال المشركين الذين ذمهم الله ؛ وكيف توكلوا على آلهتهم التي يدعونها من دون الله في جلب النفع ودفع الضر وفي الشفاعة وغيرها.

• هذا أمر مشاهد معروف لمن عرف أحوال المشركين اليوم وخالط بعضهم ؛ فإنه يسمع منهم ما يدل على توكلهم الشركي على ما يعبدونه من دون الله من الأولياء والجن وغيرهم.

• أما من كان لا يتوكل إلا على الله وحده ، لكنّه يغلو في بعض الأسباب من الأشخاص والأعمال فيكون في قلبه نوع تعلق بهم مع اعتقاده أن النفع والضرر بيد الله وحده فهذا قد وقع في الشرك الأصغر والعياذ بالله ، وهو من شرك الأسباب كما سبق بيانه في نظائره.

• وأما من سلم قلبه من التعلق بالأسباب فيكون اعتماده على الأسباب سليما من الشرك ويختلف حكمه باختلاف حكم السبب والغرض ؛ فالاعتماد على الأسباب المباحة في أمر

مباح حُكْمُهُ الإباحة، والاعتماد عليها في أمر محرم حُكْمُهُ التحريم؛ وأما الاعتماد على الأسباب المحرمة فهو محرم بكل حال.

شرح عبارات المتن

قوله: (وَفِي الْحَدِيثِ: (())).

- الحديث بهذا اللفظ رواه الترمذي من حديث أنس، وفي إسناده ابن لهيعة، وقد ضعف الحديث جماعة من أهل العلم.
- صح في السنن الأربعة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (()).
- فائدة: لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة قيّمة في آداب الدعاء فسّر فيها قول الله تعالى: .. [الأعراف: ٥٦] ثم أسهب في الحديث عن أنواع الدعاء وآدابه بكلام نفيس قيّم يجدر بالمعلم الاطلاع عليه، وهو في مجموع الفتاوى (١٥/١٠).

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[غافر: ٦٠]).

- صاغرين.
- هذا أمر من الله عز وجل بدعائه وهو يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.
- الاستجابة لدعاء المسألة تكون بإعطاء السائل سؤاله، والاستجابة لدعاء العبادة بقبولها والإثابة عليها.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن ذلك قوله تعالى: [غافر: ٦٠] فالدعاء يتضمن النوعين وهو في دعاء العبادة أظهر؛ ولهذا أعقبه: [غافر: ٦٠] الآية. ويفسر الدعاء في الآية بهذا وهذا).
- وقال ابن القيم رحمه الله: (والدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، والعابد داع كما أن السائل داع، وبهما فسر قوله تعالى:

[غافر: ٦٠]،

قيل: أطيعوني أئبكم، وقيل: سلوني أعطكم، وفُسرَ بهما قوله تعالى:

[البقرة: ١٨٦].

- روى البخاري في الأدب المفرد والترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهو سبحانه كما أخبر عن نفسه [البقرة: ١٨٦] وقال:

[غافر: ٦٠]،

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

:

((الدعوة التي ليس فيها

اعتداء يحصل المطلوب بها أو مثله وهذا غاية الإجابة؛ فإن المطلوب بعينه قد يكون ممتنعا أو مفسدا للداعي أو لغيره، والداعي جاهل لا يعلم ما فيه المفسدة عليه، والرب قريب مجيب، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والكريم الرحيم إذا سئل شيئا بعينه وعلم أنه لا يصلح للعبد إعطاؤه أعطاه نظيره، كما يصنع الوالد بولده إذا طلب منه ما ليس له فإنه يعطيه من ماله نظيره، والله المثل الأعلى).

قوله: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[آل عمران: ١٧٥].

آل

- أي دليل كون الخوف عبادة قوله تعالى:

عمران: ١٧٥.

- الأمر بالخوف من الله تعالى دليل على أنه عبادة يحبها الله.
- والنهي عن الخوف من أولياء الشيطان دليل على تحريمه.
- الخوف من الله وسلامة القلب من الخوف من أولياء الشيطان دليل على صحة الإيمان.
- [آل عمران: ١٧٥] معناه: يعظمهم في نفوسكم بوساوسه لتخافوهم، وقول المفسرين واللغويين: (يخوفكم بأولياءه) تفسير باللازم، وهو أحد مسالك التفسير.

○ قال الفراء: مثل ذلك قوله تعالى: [غافر: ١٥] معناه: ليندركم يوم التلاق.

قوله: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الكهف: ١١٠]).

● أي الدليل على أن الرجاء عبادة يحبها الله تعالى قوله تعالى: .. [الكهف: ١١٠] الآية؛ ففي هذه الآية مدح الرجاء بما دلّ على أن الله يحبّه؛ فعلمنا أنه عبادة.

● للمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

○ القول الأول: الرجاء هنا على باب وهو الطمع في الثواب، وهذا قول سعيد بن جبير قال: (ثواب ربه) رواه ابن جرير، وهذا تفسير ببعض اللازم؛ لأن الثواب مما وعد الله به عباده المؤمنين إذا لاقوه.

○ نظير هذه الآية قوله تعالى:

... [يونس: ٧، ٨] الآيتين.

○ لما استبدلوا رجاء لقاء الله بالرضا بمتاع الحياة الدنيا علمنا أنه استبدال للأدنى بالأعلى؛ وهذا مستلزم لمعنى الثواب الذي هو خير وأبقى من متاع الدنيا.

○ رجاء لقاء الله يشمل رجاء رؤية الله تعالى وهو رجاء المقربين وهو أعظم النعيم، ورجاء التمتع بثوابه في جنات النعيم، وكل ذلك مما يشمل معنى الثواب

● القول الثاني: الرجاء هنا بمعنى الخوف؛ وهو قول مقاتل وابن قتيبة، واستشهد له بقول أبي ذؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

○ (لم يرج لسعها) أي لم يخفه، قال الزجاج: ومثله قول الله تعالى:

[نوح: ١١٣].

● القول الثالث: الرجاء هنا بمعنى اليقين؛ أي من كان يوقن بلقاء الله فليعمل عملاً صالحاً، ونظيره قول الله تعالى: [البقرة: ٤٦] يظنون هنا أي: يوقنون.

قَوْلُهُ [المائدة: ٢٣]

قَوْلُهُ: (وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الطلاق: ١٣]).

تَعَالَى:

- الأمر بالتوكل دليل على أنه عبادة.
- [المائدة: ٢٣] دليل على وجوب إفراد الله تعالى بالتوكل.
- [الطلاق: ١٣] أي كافيته.

الدرس التاسع: الرغبة والرغبة والخشوع والخشية والإنابة

قال رحمه الله:

ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى:

[الأنبياء: ١٩٠].

ودليل الخشية قوله تعالى:

الآية [البقرة: ١٧٥].

ودليل الإنابة قوله تعالى:

الآية [الزمر: ٥٤].

عناصر الدرس:

• الهجرة في سبيل الله

• ٢، ١: الرغبة والرغبة

○ معنى الرغبة والرغبة

○ أقسام الرغبة والرغبة

• ٣: الخشوع

○ معنى الخشوع

○ أنواع الخشوع

○ بيان معنى الخشوع الشركي

• ٤: الخشية

○ معنى الخشية

○ فضل خشية الله تعالى

○ درجات الخشية

○ بيان معنى الخشية الشركية

• ٥: الإنابة

○ معنى الإنابة

○ التناسب بين الخشية والإنابة

○ الإنابة سبب الهداية

○ تعرّض الشيطان لأهل الإنابة

الرغبة والرهبنة

- الرَّغْبَةُ والرَّغَبُ: الرجاء والطمع.
- والرَّهْبَةُ والرَّهَبُ: الخوف والحشية.
- الرغبة والرهبنة عبادتان جليلتان، قال الله تعالى في مدح أنبيائه:

حث على الاتساء [الأنبياء: ٩٠]

بهم.

- الرَّغْبُ والرَّهَبُ من صفات العبادة الملازمة لها، فكل عابد راغب راهب.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكل داع فهو راغب راهب طامع خائف، وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه؛ فكل عابد سائل، وكل سائل [أي بهذا المعنى] عابد؛ فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه) اهـ.

- الرغبة والرهبنة بهذا المعنى عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى قال تعالى:
- [الشرح: ١٨] تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر، أي لا ترغب إلا إلى الله.
- في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

((.

- الرغبة والرهبنة يحملان معاني تعبدية من التذلل والخضوع والمحبة والتعظيم والرجاء والخوف، وهذه عبادات يجب إخلاصها لله جل وعلا؛ فمن صرفها لغير الله فقد أشرك بالله شركاً أكبر محرماً عن الملة والعياذ بالله.
- وهذا أمرٌ شاهدهُ آثاره فيمن يعبد غير الله عز وجل من عباد القبور والأولياء والجن والأشجار والأحجار وغيرها، يكون في قلب العابد لها رغبة ورهبة تعبدية مشتملة على التذلل والخضوع والمحبة والرجاء والخوف.

• المسلمون يتفاضلون في أداء هذه العبادات كما تقدم بيانه في نظائره ؛ وكلما كان العبد أعظم رغبة في فضل الله تعالى ورحمته كان أكثر تعبدًا من هذا الوجه.

• تعظم الرغبة في نفس المؤمن بأمرين :

○ الأمر الأول : تفكره في أسماء الرحمة والإحسان لله جل وعلا وتأمله آثارها في الخلق والأمر فيزداد بذلك علماً ويقيناً ورغبة في فضل الله عز وجل واشتياقاً إلى لقائه والنظر إلى وجهه الكريم الذي هو أقصى غاية النعيم ، نسأل الله من فضله.

○ الأمر الثاني : تأمل ما أخبر الله به من ثوابه وفضله العظيم في الدنيا والآخرة لمن أطاعه واتبع هداه ، والوقوف عند الآيات التي فيها وصف النعيم الذي أعدّه الله لعباده المؤمنين وتحريك القلب للتشوق إليه ؛ فتزداد رغبته في ثواب الله وفضله ورحمته وبركاته.

• [الشرح : ٨] سرّ إخلاص الرغبة هو اعتقاد العبد الكفاية في ربه جل وعلا والثقة به ، واليقين بأن فضله كافيه ومغنيه ؛ فمتى امتلأ قلبه يقيناً بهذا كانت رغبته خالصة لله تعالى.

• الرغبة الصادقة هي التي يتبعها العمل واتباع الهدى ، وأما من يتمنى الأماني ويقعد عن العمل فإنه غير صادق الرغبة وإنما هو متمنٌّ عاجز مثبَّط.

• قال الله تعالى عن المنافقين :

[التوبة : ٤٦] ، وقال عن المخذول من بني إسرائيل :

[الأعراف : ١٧٦].

• هؤلاء منافقون لم يريدوا الخروج ولم يعدوا له العدة وإنما تظاهروا بأنهم مع المؤمنين وقلوبهم غير راغبة في الجهاد في سبيل الله ؛ فكفره انبعاثهم على هذا الوجه فثبطهم.

• قال الله تعالى :

[التوبة : ٥٤] ؛ فحالهم يبيّن عدم

صدق رغبتهم ، وهو من أسباب عدم قبول أعمالهم.

• لا يطالب العبد من الأسباب إلا بما يستطيع كما قال تعالى :

[الطلاق : ١٧].

- إذا بذل العبد ما يستطيع من الأسباب وتوكل على الله فقد حقق التوكل وصدق الرغبة فكان موعوداً وعداً لا يتخلف بتحقيق مطلوبه أو أفضل منه.
- فإن غلبه أمر بعد ذلك أو حصل له ما يكره من المصائب التي يقدرها الله عز وجل عليه ابتلاء واختباراً فهو غير ملوم، بل هو موعود بأن يعوضه الله خيراً مما فاته، وأن يشبهه على ما أصابه ثواباً عظيماً.
- الرغبة الصادقة تحمل على الجدّ في العمل من غير تعلق بالأسباب بل يتعلق القلب بالله جل وعلا وحده، وهذا هو تخلص العبادة لله جل وعلا.
- من تخلص العبادة أن يحذر المؤمن من الآفات التي تضعف الرغبة إلى الله جل وعلا من الغفلة عن ذكر الله، وتعظيم الدنيا، والتعلق بالأسباب، وضعف الصبر واليقين.
- كلّ ما تقدم من الكلام في الرغبة قلّ نظيره في عبادة الرهبة فهي عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل.
- ومن تفكر في أسماء الجلال لله تعالى كأسماء العظيم القهار الكبير الجبار والقوي المتعال المحيط المتكبر ونحوها من الأسماء الجليلة العظيمة وتأمل آثارها في الخلق والأمر عظمت رهبة الله تعالى في نفسه وذلت نفسه لله وخضعت، فأسلمت له وطلبت مرضاته.
- الرهبة الصادقة تزكّي النفس من خصال ذميمة من شرّها: الكبر والعجب والغرور، وتطهر القلب من الرياء والنفاق وطلب الدنيا بعمل الآخرة، وتسمو بهمة صاحبها فلا يُخلد إلى الأرض ولا يتبع هواه؛ فتتأى عن قلبه المطامع الدنيوية الصارفة عن المقامات العلية، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.
- ما تقدّم كلّ في بيان الرغبة والرهبة التي تحمل معاني تعبدية.
- أما الرغبة التي لا تحمل معنى العبادة وكذلك الرهبة التي لا تحمل معنى العبادة وهي الرغبة في نفع أسباب الخير، والرهبة من أسباب الشر؛ فليست عبادة، بل هي رغبة ورهبة يقتضيها الطبع وحب حصول المنفعة والسلامة من المضرة.
- في الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي

وهي مشرّكةٌ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : (قدمت عليّ أمي وهي راغبةٌ أفأصلُ أمي؟ قال : (()) .

• وكذلك الرهب الذي لا يحمل معنى العبادة هو رهب طبيعي ويكون حكمه بحسب ما يفضي إليه ، وقال الله تعالى :

{الأَنْفَالُ : ٦٠} .

• وقال الله تعالى عن سحرة فرعون :

{الأعراف : ١١٦} ، ووقال :

()

()

() [طه : ٦٦ - ٦٨] .

• في أمثال العرب : رَهْبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتٍ ؛ أي : أن تُرهب خير من أن تُرحم .

○ هذه الخيفة والرهبه طبيعية لا يلام عليها الإنسان في الأصل ، وإنما هي كمثله رهبه الأعداء والسباع ونحوها .

• وكذلك الرغبة في أسباب الخير مما أحوج الله بعض الناس به إلى بعض ما يرجى نفعه لا لوم على الإنسان فيه إذا كان متبعاً لهدى الله عز وجل في ذلك ، متقياً ربه جل وعلا ، ولم يتعلق قلبه بهذه الأسباب .

أقسام الرغبة والرهبه

• الرغبة والرهبه تنقسم إلى قسمين :

○ القسم الأول : رغبة العبادة ورهبه العبادة وهي الرغبة والرهبه التي تحمل معاني التعب من الذل والمحبة والتعظيم فهذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله جل وعلا .

○ القسم الثاني : الرغبة والرهبه الطبيعيتان وهما اللتان يحمل عليهما مقتضى الطبع ولا يكون فيهما معاني التعب ؛ فهذه على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : لا لوم فيها على العبد ، وذلك إذا لم تحمل هذه الرغبة الرهبه العبد

على ارتكاب محظور لا يعذر فيه ، أو ترك مأمور لا يعذر بتركه ، ولم يتعلق قلبه بالأسباب .

الدرجة الثانية: محرمة وهي التي تحمل العبد على ترك مأمور لا يعذر بتركه أو فعل محذور لا يعذر بفعله، وتختلف درجة التحريم بحسب درجة المخالفة؛ فإن خالف في صغيرة كان إثمها بحسبها، وإن ارتكب كبيرة من الكبائر بسبب هذه الرغبة والرغبة كان إثمها أعظم، أما إذا أدى به ذلك إلى ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام فهو كافر والعياذ بالله كما تقدم بيانه في مسألة الخوف.

الدرجة الثالثة: الرغبة والرغبة التي هي شرك أصغر من شرك الأسباب، وهي أن يتعلق قلب العبد بالأسباب.

الخشوع

● الخشوع في اللغة أصله السكون، قال الله تعالى:

[فصلت: ١٣٩]، ويفسر في كل موضع بحسبه.

○ فخشوع الأصوات: سكونها وصمتها قال تعالى:

[طه: ١٠٨].

○ وخبوع الأبصار: خضوعها وذلتها وانخفاضها قال الله تعالى:

() [النازعات: ٨، ٩] وقال تعالى:

[القلم: ٤٣].

● وخبوع القلب: ذلُّه وخضوعه وإخباته.

● وخبوع الجوارح: سكونها عن الحركة المنافية للخبوع.

● الخشوع في الصلاة يشتمل على معنيين:

○ خشوع القلب بالتذلل والخضوع لله جل وعلا.

○ وخبوع الجوارح بأداء الصلاة بطمأنينة وترك العبث والحركة المنافية للخبوع.

● قال الله تعالى: ()

[المؤمنون: ١، ٢].

○ الخشوع هنا يشمل: خشوع القلب الذي هو الأصل، وخبوع الجوارح، وخبوع

البصر في الصلاة.

○ البكاء أثر من آثار الخشوع، فقد يخشع العبد في صلاته ولا يبكي، وقد يبكي فيكون

بكاؤه من أثر خشوعه.

• الناس يتفاضلون في الخشوع كما قال الله تعالى :

()

()

() () سورة الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩.

• الخشوع عبادة لله تعالى لا يجوز صرفها لغيره عز وجل.

○ من تأمل أحوال عبادة القبور والأشجار والأضرحة ورأى تمسحهم وطوافهم وخوفهم

ورجاءهم وخشوعهم وخضوعهم عرف معنى الخشوع الشركي.

• أما الخشوع الذي لا يحمل معنى التعبد وإنما يقتضيه الإطلاق اللغوي فليس بشرك ، وهذا

له شواهد في كلام العرب ، واستعمال الناس له في بعض الإطلاقات ولا يراد به المعنى التعبدية.

• تطلقه العرب وصفاً للجان تعبيراً له ، وكذلك قليل الصبر ومن استكان لعدوه ،

ويحذرون من هذه الصفة ويتبرؤون منها.

○ قال ابن خفاف :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تُكُنْ مُتَخَشِّعًا تَرْجُو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمَفْضِلِ

• ومن اعترف به منهم فهو كمن اعترف بالذل والاستكانة إما لِكِبْرِهِ أو غلبَةِ الحوادث عليه وقلة حيلته.

• ومنه قول الشاعر :

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ خَاشِعًا وَكُنْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَخَشَّعُ

• المسكين سمي مسكيناً لما فيه من التخشع والاستكانة.

• إذا كان في القلب خشوع لأمر من أمور الدنيا وخضوع لها بمعنى التعلق وعبودية الدنيا فهذا شرك أصغر والعياذ بالله كما سبق بيانه.

هذا الخشوع يكون لدى بعض العشاق ونحوهم ، ومن ذلك قول الأحموس :

أَلَا فَارْحَمِي مَنْ قَدْ ذَهَبَتْ بِعَقْلِهِ فَأَمْسَى إِلَيْكُمْ خَاشِعًا يَتَضَرَّعُ

○ فهذا شرك أصغر قاذح في كمال التوحيد الواجب ؛ فإن أدى بصاحبه إلى ارتكاب

ناقض من نواقض الإسلام القولية أو الفعلية أو الاعتقادية فهو كافر والعياذ بالله.

الخشية

● الخشية: شدة الخوف، وهي مبنية على العلم، وبهذين المعنيين فرّق بينها وبين الخوف وإن كان بينهما تقارب في المعنى.

● الخشية فيها معنى الخوف الشديد المبني على العلم بعظمة المخشي منه، قال الله تعالى:

[فاطر: ٢٨].

● إفراد الله تعالى بالخشية من سمات الأنبياء كما في قوله تعالى:

[الأحزاب: ٣٩].

● أمر الله تعالى بإفراده بالخشية فقال تعالى:

[التوبة: ١٣].

● الخشية تحمل معاني تعبدية من التذلل والمحبة والتعظيم والانقياد.

● الخشية هي أعظم ما يحمل العبد على التقوى؛ فهو يخشى من غضب إلهه عليه وحرمانه من رضاه وفضله، ويخشى أن يحل عليه سخطه وعقوبته، ويخشى أن يخذله ويتخلى عنه.

● هذه المعاني التعبدية من أخلصها لله جل وعلا فهو مؤمن موحد وليّ من أولياء الله تعالى؛ قد أعدّ الله له الثواب العظيم والمقام الكريم.

● أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين بأنهم يخشونه بالغيب، كما قال تعالى:

()

()

()

()

() [ق: ٣١ - ٣٥].

○ نكر المزيد للتشويق إليه، وقد روي عن جماعة من الصحابة والتابعين

أن المزيد هو رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا، وهذا المزيد أفضل مما في الجنة من النعيم، نسأل الله تعالى من فضله.

()

● وقال تعالى:

()
[البينة : ٧ ، ٨].

• إخلاص عبادة الخشية لله تعالى باب عظيم لبركات كثيرة عظيمة لا يقدر قدرها إلا الله جل وعلا :

○ فهي مفتاح لفهم القرآن وتدبره والاعتبار بما فيه والتذكر النافع الذي يزداد به اليقين ويرتفع به الإيمان وتزكو به النفس ، ويتيسر به اتباع هدى الله تعالى .

○ بين الله تعالى أن مقصوده الأعظم من إنزال كتابه هو تذكير أهل خشيته ومخاطبتهم به ؛ قال الله تعالى :

() ()

[طه : ١ - ١٣].

○ فأهل الخشية هم أحق الناس بهذا الكتاب الكريم وأسعد الناس به ، والرسالة لهم فيه خاصة وهي للناس عامة ، فلهم فيه امتياز لا يزاحمون عليه ، من التوفيق لفهمه والانتفاع به وحسن التذكر والتبصر والاعتبار .

○ يفتح الله لأهل الخشية في فهم القرآن ما لا يفتح لغيرهم لأنهم يقرؤونه بقلوب منية إلى الله معظمة لله ولكتابه مقبلة على الله تتشوق لمعرفة هدى الله ؛ فيهديهم الله بسبب ما يعلمه في قلوبهم .

• قال الله تعالى : [فاطر : ١٨] وقال تعالى :

[الأعلى : ٩ ، ١٠] وهذا وعد من الله لأهل خشيته أنهم ()

سيذكرون وينتفعون من كتابه .

• التذكر المراد هنا يشمل ثلاثة أمور :

○ : التذكر الذي يحمل على محبة الله جل وعلا ، ومحبة لقائه والتقرب إليه من تذكر صفات الله عز وجل وكرمه وفضله وإحسانه ؛ فإن العبد إذا عظمت محبة الله تعالى في قلبه أحب ما يذكره به ، ومن أحب ذكر الله أحب الله له أن يتذكر ، ومن كره ذكر الله كان جزاؤه من جنس عمله إلا أن يعفو الله عنه ويتوب عليه .

صدق المحبة يحمل على الخشية من الانقطاع عن الله جل وعلا والحرمان من رضوانه ،
ولذلك إذا بلغهم من نصوص الكتاب والسنة أن من عقوبة بعض الذنوب أن صاحبها لا
يكلمه الله ولا ينظر إليه أورثهم ذلك خشية خاصة يجدونها في قلوبهم.
الحرمان من رضا الله عز وجل وتكليمه والنظر إليه عقوبة عظيمة لا تحملها قلوب من
صدقت محبتهم لله جل وعلا.

مما يدل على ذلك قول الله تعالى في عقوبة الكفار :

()
المطففين: ١٥ ، ١٦ فبدأ بالعقوبة الأهم على

نفوسهم بعدما تظهر لهم الحقائق.

○ : التذكر الذي يحمل على رجاء فضل الله عز وجل وحسن ثوابه ؛ فإنه إذا
تذكر ما أعده الله لعباده من الثواب والفضل العظيم دعاه ذلك إلى الازدياد من الأعمال
الصالحة لما يرجو من حسن ثوابها.

صدق الرجاء يحمل على الخشية من فوات ثواب الله عز وجل وفضله.

○ : التذكر الذي يحمل على الخوف من الله تعالى والخوف من سخطه
وعقابه ، وهذا ما يزره عن ارتكاب المحرمات والتفريط في أداء الفرائض.

الخوف الصادق يحمل على خشية التعرض لسخط الله وعقابه.

● هذه الأمور الثلاثة (المحبة والرجاء والخوف) هي أركان العبادة ، وعليها مدارها ، وهي
مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالخشية كما سبق بيانه.

● بهذا تعلم شيئاً من الفرق بين الخشية والخوف ، وأن خشية العبادة لها لوازم تعبدية من
المحبة والخوف والرجاء.

● تأمل ما وصف الله تعالى به أهل خشيته عند تلاوتهم أو سماعهم لآيات الله تتلى
عليهم ومعرفتهم بأنهم هم المعنيون أولاً بما فيه من العبر والبيانات.
● قال الله تعالى :

()

() [الزمر: ٢٢، ٢٣]

○ جعل الله قسوة القلب علامة بيّنة على الضلال.

● من تأمل العبر والآيات البينات التي جمعها الله لأهل خشيته وبيّن لها لهم وأرشدهم إلى الاعتبار بها كما قال تعالى:

[النازعات: ٢٦] علم أن أهل الخشية هم أهل الخطاب الخاص في القرآن الكريم.

● أهل الخشية هم أهل التذكر والتفكير، وهم أهل الاعتبار والتبصر، وهم أحرص الناس على الهداية وأعظمهم فرحاً بما يقربهم من الله تعالى ويدنيهم منه، وأشدهم حرصاً على التحرز مما يسخطه جل وعلا.

● سبب ذلك أنهم على يقين عظيم بأن فوزهم وفلاحهم ونجاتهم مداره على رضوان الله تعالى عنهم، وأنه ليس بينهم وبين الله سبب يتمسكون به إلا ما يرشدهم إليه من العمل الصالح واتباع هداية جل وعلا.

● فأهل الخشية هم العلماء على الحقيقة، كما قال الله تعالى:

[الزمر: ٢٩].

● تأمل هذا المثال: قال الله تعالى:

()

()

()

() [فاطر: ٢٧ - ٣٠]

○ جمع الله لأهل الخشية مواضع الاعتبار والتفكير من الآيات المتلوّة والكونية وهما طرق معرفة الله جلّ وعلا.

○ ووعدهم أن يوفيههم أجورهم ويزيدهم زيادة من عنده تليق بفضله وكرمه سبحانه لم يبينها لهم بل أخفاها لهم ليتشوقوا إليها.

○ وأخبرهم أنه غفور شكور، فيغفر لهم ذنوبهم وسيئاتهم ويفتح لهم أبواب الرجاء في مغفرته وعفوه وتجاوزه، وهو تعالى شكور لا يضيع لهم أي عمل صالح يعملونه ولو كان مثقال ذرة، بل يقبله منهم وينميهم لهم ويضاعف لهم مثوبته.

○ وأرشدهم الله تعالى إلى التفكير في آياته الكونية المخلوقة وآياته المتلوة، فهذا الماء الذي ينزل من السماء هو ماء واحد وتخرج به ثمرات مختلف ألوانها؛ فكذلك وحي الله تعالى المنزل هو وحي واحد ولكن انظر إلى اختلاف آثاره في قلوب الناس وأعمالهم؛ فمستفح ومحروم، ومستقل ومستكثر، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

● وقال تعالى: ()

() ()

()

[فاطر: ١٥ - ١٨].

● وعد الله عباده الذين يخشونه بالغيب بأن يغفر لهم ذنوبهم، وهذا يدل على أنه ليس من شرط الذين يخشون ربهم أنهم معصومون من الذنوب والخطايا، بل قد يقعون في بعضها، وهم على ذلك يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، ويستغفرون ربهم ويتبعون السيئة الحسنة، ويتوبون إلى الله ويستغفرونه، وبذلك مدحهم الله وأثنى عليهم ووعدهم بمغفرة ذنوبهم، قال الله تعالى:

[الملك: ١٢].

● يتفاضل أهل خشية الله تفاضلاً عظيماً فهم على درجات لا يحصيهم إلا من خلقهم.
● فمن كان معه أصل الإسلام فمعه أصل الخشية، وكلما ازداد العبد من الخشية ازداد نصيبه من تكميل منازل العبودية لله تعالى والفوز بفضله ورحمته وما يفتح الله له به من الفضل العظيم بتذكر آياته والانتفاع بعظاته واتباع هدى الله الذي أرشده إليه.
● أعلاهم درجة السابقون المقربون الذين وصفهم الله تعالى بقوله:

() ()

()

()

()

() للمؤمنون: ٥٧ - ٦٢.

- كل ما سبق في خشية العبادة.
- أما ما يطلق عليه لفظ الخشية وهو لا يحمل معاني تعبيديه ؛ فهذا حكمه حكم الخوف الطبيعي يكون بحسب ما يحمل عليه.
- فأما من لم تحمله هذه الخشية على ارتكاب محظور ولا ترك مأمور فهي خشية طبيعية لا يلام عليها كأن يخشى السباع والهوام والطغاة.
- وأما من حملته تلك الخشية على ارتكاب محظور لا يعذر بارتكابه أو ترك مأمور به لا يعذر بتركه فهو مذنب آثم وإثمه على حسب جرمه ؛ فإن أدت به هذه الخشية إلى فعل صغيرة من الصغائر فإثمه بحسبه ؛ وإن أدت إلى فعل كبيرة كان إثمه أعظم ، وهو ملوم مذموم على الحالين.
- قال الله تعالى :

()

() [النساء: ٧٧ ، ٧٨].

- تكثر هذه الخشية المذمومة عند المنافقين ، بل ربما أخرجتهم من دائرة الإسلام والعياذ بالله وذلك إذا حملتهم على ما ينقض الإسلام كموالاة الكفار على المؤمنين ونحو ذلك ، قال الله تعالى :

()

()

() [المائدة: ٥١ - ٥٣].

- فمن حملته هذه الخشية على ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام كموالاة الكفار وطاعة

الطواغيت فيما يخرج من الملة فهو كافر بذلك، حاله كحال المنافقين النفاق الأكبر.

- وأما من منعه خشيته من الله من ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام لكن بقي في قلبه تعلق بالدنيا لخشيته من فوات بعض متاعها؛ فكان في قلبه نوع تعلقٍ مصحوب بتذلل وخوف ورجاء فهذا قد وقع في الشرك الأصغر وعبودية الدنيا، كما سبق بيانه، والعياذ بالله.

الإنيابة

- الإنيابة: هي الرجوع والإقبال إلى الله تعالى.
- قال قتادة في قوله تعالى: ﴿الزمر: ٥٤﴾: أي أقبلوا إلى ربكم.
- وقال عبد الرحمن بن زيد: (الإنيابة: الرجوع إلى الطاعة، والنزوع عما كانوا عليه، ألا تراه يقول: ﴿الروم: ١٣١﴾).
- الإنيابة من آثار خشية الله وعلامة عليها؛ كما قال تعالى: () ()
- من أحب الله تعالى أناب إليه، ومن رجا فضله تعالى أناب إليه، ومن خاف عذابه أناب إليه.
- فمصدر الخشية: المحبة والخوف والرجاء، وثمرة الخشية الإنيابة إلى الله تعالى كما قال تعالى:

﴿الزمر: ٢٣﴾.

- وقد بين الله تعالى أن المنتفعين بآياته والمتذكرين والمتبصرين هم أهل الخشية، وأهل الإنيابة.
- فإذا أطلقت الخشية فلأنها سبب الإنيابة والحامل عليها، وإذا أطلقت الإنيابة فلأنها هي الثمرة المقصودة من الخشية.

• قال تعالى:

()

[غافر: ١٣، ١٤]

﴿ق: ٤٨﴾.

وقال تعالى:

- العبد المتيب هو الذي جمع الخشية وأسبابها من المحبة والخوف والرجاء.
- جعل الله الإنابة من الأوصاف التي مدح بها أنبياءه فقال تعالى :
[هود: ١٧٥] ، وقال عن شعيب أنه قال :

[هود: ١٨٨].

- وأوحى الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قوله :

[الشورى: ١١٠].

- ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في استفتاح تهجده ((
« متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
• (وإليك أُنْبِتُ): تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، وفيه معنى إخلاص الإنابة لله تعالى.
• أمر الله تعالى عباده بالإنابة إليه فقال تعالى :

()

[الزمر: ٥٣، ٥٤].

- جمع الله تعالى في هاتين الآيتين الأسباب الثلاثة الحاملة على الإنابة وهي :
○ : تحبيبهم إليه تعالى ، وتذكيرهم بصفاته المقتضية لمحبه فهو ربهم وهم عباده ، وهو الرحيم الذي لا يؤيس عباده من رحمته ، الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً مهما بلغت فلا يستعظمه ذنب أن يغفره ، وهو الودود الذي تودد إلى عباده بحسن مخاطبتهم رحمة بهم وإحساناً إليهم وهو الغني عنهم جل وعلا ، ورفع من شأنهم إذ أضافهم إليه في خطابه لهم ؛ فمن تأمل هذه الأسماء الحسنى والصفات العليا وآثارها أحبّ الله تعالى وأناب إليه.

- : الرجاء في رحمته ومغفرته وفضله العظيم

[الزمر: ٥٣].

- : التخويف من عذابه جل وعلا

[الزمر: ٥٤].

- من تدبّر هاتين الآيتين عرف أسباب الإنابة ، وأنها ترجع إلى المحبة والخوف والرجاء التي

هي أصول العبادة.

• وقال تعالى:

()

[الروم:

()

٣٠ - ٣٢.]

الإِنَابَةُ سَبَبُ الْهَدَايَةِ

• بيّن الله تعالى أن الإِنَابَةَ إِلَيْهِ سَبَبُ الْهَدَايَةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْمَطَالِبِ وَمِفْتَاحُ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

()

○ قال الله تعالى:

() [الرعد: ٢٧ ، ٢٨].

[الشورى: ١٣].

○ وقال تعالى:

• من حقق التوكل والإِنَابَةَ فَقَدْ حَقَّقَ الْعِبَادِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : (التوكل نصف الدين ، والنصف الثاني الإِنَابَةُ ؛ فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ وَعِبَادَةٌ ؛ فَالتوكل هو الاستعانة ، والإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ).

[الفاتحة: ٥] وبهما اكتمال دين العبد.

○ وفي الفاتحة:

تَعَرُّضُ الشَّيْطَانِ لِأَهْلِ الْإِنَابَةِ

• مما ينبغي التفطن له ما نبه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإِنَابَةَ إِلَى رَبِّهِ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ وَالتَّصَالُفَ بِهِ ؛ فَلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ، ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة.

• قال: (ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوسواس والشبهات ما ليس عند غيرهم ؛ لأنه لم يسلك شرع الله ومنهجه ؛ بل هو مقبلٌ على هواه في غفلةٍ عن ذكر ربه).

تنبيه:

• ما سبق كله في الإنابة التي تحمل معاني العبادة فإخلاصها لله تعالى واجب، ومن صرفها لغير الله تعالى فلا شك في كفره.

• قد يطلق لفظ الإنابة في اللغة ولا يراد به هذه المعاني التعبدية وإنما يراد به المعنى اللغوي العام وهو الرجوع والإقبال؛ فيقال: أنابت المرأة إلى زوجها إذا رجعت إليه بعد نشوز. قال الشاعر:

ولقد رأيت سبيئة من أرضها تسبى القلوب وما تنيب إلى هوى

• وقال النابغة الشيباني:

كأنَّ ظهورَها حُزْمٌ أنابتَ بها أصلاً إلى الحيِّ الإماء

○ (حُزْمٌ) جمع حُزْمَةٍ، وهي حزم الحطب.

○ (أصل) جمع أصيل وهو العصر، وهو وقت رجوع الإماء من أعمالهن حاملات حزم

الحطب على رؤوسهن مقبلات إلى منازل الحي؛ فسُمِّيَ هذا الرجوع والإقبال إنابة.

○ هذا الإطلاق إنما يراد به أصل المعنى اللغوي، وهو عارٍ من المعنى التعبدي.

• سبب التنبيه على ذلك أنه ينبغي لطالب العلم أن يعلم أن هذه الألفاظ قد تطلق ويراد بها المعنى التعبدي، وقد تطلق ويراد بها المعنى اللغوي المجرد عن اللوازم التعبدية، وهو استعمال صحيح جائز في مواضعه لا حرج فيه.

• من غفل عن هذا الأمر ربما تشدد في منع إطلاق هذه الألفاظ جهلاً منه بأنها تطلق إطلاقاً سائغاً على معانٍ لا محذور فيها.

شرح عبارات المتن

قوله: (وَدَلِيلُ الرُّغْبَةِ وَالرُّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الأنبياء: ١٩٠].

- وجه الدلالة أن الله تعالى مدح هذه الأعمال بما يدلّ على محبته إياها وحثّه عليها فدلّ على أنها عبادات يجب إخلاصها لله تعالى.

قوله: (وَدَلِيلُ الْخُشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[البقرة: ١٥٠].

- الأمر بالخشية دليل على أنها عبادة يحبّها الله تعالى ؛ والنهي عن خشية غيره جلّ وعلا والأمر بخشيته وحده دليل على وجوب إخلاص هذه العبادة لله تعالى.

قوله: (وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الزمر: ٥٤] الآية).

- الأمر بالإنابة دليل على أنه عبادة يجب إخلاصها لله تعالى.
- [الزمر: ٥٤] قال ابن جرير: (يقول: واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي)

○ جمع ابن جرير بين المعنى اللغوي والشرعي للإسلام؛ فلفظ الإسلام يُطلق ويراد به الخضوع والإذعان، ويُطلق ويراد به دين الإسلام، وهما متلازمان.

○ على المعنى الأول المراد بالإسلام الخضوع والإذعان لله تعالى والانقياد إليه وترك محادثته ومعصيته.

○ وعلى المعنى الثاني: المراد: ادخلوا في دين الإسلام، ودين الإسلام مبناه على الخضوع والانقياد لله وحده لا شريك له.

الدرس العاشر: الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر

قال رحمه الله:

« [الفاحة: ٥] وفي الحديث:))

ودليل الاستعانة قوله تعالى:

«.

[العلق: ٤١] وقوله تعالى:

ودليل الاستعاذة قوله تعالى:

[الناس: ٤١].

الآية [الأنعام: ٢٩]. ودليل

ودليل الاستغاثة قوله تعالى:

()

الذبح قوله تعالى:

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] ومن السنة:))

«. ودليل النذر قوله تعالى:

[الإنسان: ٤٧].

عناصر الدرس:

• الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة

- معنى الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة
- بيان التناسب بين هذه العبادات
- تحقيق الاستعانة
- أنواع الاستعانة

• الذبح

- معنى الذبح
- أقسام الذبح

• النذر

- معنى النذر
- أقسام النذر
- فضل الوفاء بالنذر
- ملخص لأحكام النذر

الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة

- الاستعانة هي طلب الإعانة على تحصيل منفعة.
- والاستعاذة هي طلب الإعانة من ضرر يخشى وقوعه.
- والاستغاثة هي طلب الإغاثة لتفريج كربة، فالاستغاثة أخص منهما لأنها تكون عند الشدة.
- هذا الطلب يكون بالقلب والقول والعمل.
- الاستعانة أوسع هذه المعاني الثلاثة وهي عند الإطلاق تشملها جميعاً، فتكون الاستعاذة هي طلب الإعانة على دفع مكروهه، والاستغاثة هي طلب الإعانة على تفريج كربة.
- الاستعانة بابها واسع وهي من أعظم العبادات وأجلها حتى إنها جعلت قسيمة العبادة في سورة الفاتحة وهي من العبادة لأهميتها فقال تعالى:

(الفاتحة: ٥).
- الاستعانة بمعناها العام تشمل الدعاء والتوكل والاستعاذة والاستغاثة والاستهداء والاستنصار والاستكفاء وغيرها.
- بيان ذلك أن كل ما يقوم به العبد من قول أو عمل يرجو به تحصيل منفعة أو دفع مفسدة فهو استعانة.
- وحاجة العبد إلى الاستعانة بالله تعالى لا تعدلها حاجة، بل هو مفتقر إليه في جميع حالاته؛ فهو محتاج في كل أحواله إلى الهداية والإعانة عليها، ومحتاج إلى تثبيت قلبه على الحق، ومغفرة ذنبه وستر عيبه وحفظه من الشرور والآفات وقيام مصالحه.
- العبد حارث همام يجد في قلبه في كل وقت مطلوباً من المطلوبات يحتاج إلى الإعانة على تحقيقه.
- الله تعالى هو المستعان الذي بيده تحقيق النفع ودفع الضرر، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو سبحانه.
- هذا الأمر تكرر تأكيده في القرآن العظيم في مواضع كثيرة:

○ منها: قوله تعالى:

○ وقوله :

[يونس : ١٧].

○ وقوله :

[الزمر : ٣٨].

○ وقوله :

[فاطر : ٢٢].

○ وقوله :

()

[الملك :

.٢٠ ، ٢١].

فالرزق هو جلب النفع ، والنصر هو دفع الضر.

○ وقوله :

[العنكبوت : ١٧].

○ وقوله :

[الحجر : ٢١] وتقديم الظرف للحصر.

○ وقوله :

[النجم : ٤٢].

● قال ابن القيم رحمه الله : ([الحجر : ٢١] متضمن لكنز من

الكنوز وهو أن كل شيء لا يطلب إلا من عنده خزائنه ومفاتيح تلك الخزائن بيديه ، وأن طلبه

من غيره طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه ، وقوله : [النجم : ٤٢]

متضمن لكنز عظيم وهو أن كل مراد إن لم يُرد لأجله ويتصل به وإلا فهو مضمحل منقطع ؛

فإنه ليس إليه المنتهى ، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها ؛ فانتهدت إلى خلقه

ومشيئته وحكمته وعلمه ؛ فهو غاية كل مطلوب ؛ وكل محبوب لا يجب لأجله ؛ فمحبتة عناء

وعذاب ، وكل عمل لا يراد لأجله ؛ فهو ضائع وباطل ، وكل قلب لا يصل إليه ؛ فهو شقي

محجوب عن سعادته وفلاحه)

● قال : (فاجتمع ما يراد منه كله في قوله :

[الحجر : ٢١]

واجتمع ما يراد له كله في قوله :

[النجم : ٤٢] فليس وراءه سبحانه غاية

تطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى).

• قال: (وتحت هذا سرٌّ عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقرُّ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يجب ويراد؛ فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين، كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين؛ فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمته ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد).هـ.

• المقصود أنه لا يحصل لعبد نفع في أمر من أمور دينه ودنياه إلا بالله جل وعلا، فهو المستعان وحده على كل ذلك.

• وكل سبب من الأسباب التي يبذلها العبد لتحقيق النفع أو دفع الضر لا يستقل بالمطلوب، فلا يوجد سبب مستقل بالمطلوب، بل لا بد أن يكون معه سبب مساعد ولا بد معه أيضاً من انتفاء المانع، ولا يكون كل ذلك إلا بإذن الله جل وعلا.

• من أبصر هذا حقيقةً أسلم قلبه لله جل وعلا، وعلم أنه لا يكون إلا ما يشاء الله، وأن ما يطلبه من خير الدنيا والآخرة لا يناله إلا بإذن الله وهدايته ومشيتته، وأن لنيل ذلك أسباباً هدى الله إليها ويُنّها.

• من كان على يقين بهذا قام في قلبه أنواع من العبودية لله جل وعلا من المحبة والرجاء والخوف والرغب والرهب والتوكل وإسلام القلب له جل وعلا والثقة به وإحسان الظن فيه.

• يجعل الله في قلب المؤمن بسبب هذه العبادات العظيمة من السكينة والطمأنينة والبصيرة ما تطيب به حياته وتندفع به عنه شرور كثيرة وآفات مستطيرة.

• الناس في العبادة والاستعانة على أقسام؛ فأفضلهم الذين أخلصوا العبادة والاستعانة لله تعالى فحققوا [الفاتحة: ٥] واستعانوا بالله تعالى على عبادة الله كما

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل أن يقول دبر كل صلاة: ((

)). رواه أحمد، وهؤلاء بأفضل المنازل.

• فقه معاذ بن جبل هذا الحديث أحسن الفقه؛ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

عن معاذٍ أنه قال: (أما أنا فأنام ثم أقوم فأقرأ فأحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي). متفق عليه، ولهذا الخبر قصة يجدر الوقوف عليها.

• هذا أمر قد يغفل عنه كثير من الناس؛ فإن من أخلص قلبه لله جل وعلا جعل ما يفعله من المباحات سبباً للتقوي على طاعة الله جل وعلا وحسن عبادته حتى تكون حياته كلها لله كما قال الله تعالى لنبيه:

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

- المسلمون يتفاضلون في هاتين الصفتين تفاضلاً عظيماً فهم على درجات فيهما لا يحصيهم إلا من خلقهم، فمن حقق إخلاص العبادة والاستعانة فهو سابق بالخيرات بإذن ربه.
- يكون لدى بعض الناس ضعف في إخلاص العبادة، وضعف في إخلاص الاستعانة.
- والتقصير في إخلاص العبادة تحصل بسببه آفات عظيمة تحبط العمل أو تنقص ثوابه كالرياء والتسميع وابتغاء الدنيا بعمل الآخرة، وأخف من هؤلاء من يؤدي هذه العبادات لله لكن لا يؤديها كما يجب؛ فيسيء فيها ويخلّ بواجباتها لضعف إخلاصه وقلة إيمانه.
- والتقصير في الاستعانة تحصل بسببه آفات عظيمة من الضعف والعجز والوهن فإن أصابه ما يجب فقد يحصل منه عجب واغترار بما يملك من الأسباب، وإن أصابه ما يكره فقد يبتلى بالجزع وقلة الصبر.
- وكلا التقصيرين لا يحصل لصاحبه طمأنينة قلب ولا سكينه نفس ولا تطيب حياته حتى يحقق هذين الأمرين.

تحقيق الاستعانة

- تحقيق الاستعانة يكون بأمرين:
 - أحدهما: التجاء القلب إلى الله تعالى والإيمان بأن النفع والضرر بيده جل وعلا وأنه مالك الملك ومدبر الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه سميع عليم وقريب مجيب، فيستعين به راجياً إعانته.
 - والآخر: بذل الأسباب التي هدى الله إليها وبينها، فيبذل في كل مطلوب ما أذن الله تعالى به من الأسباب.

• هذان الأمران أرشد إليهما النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((

((

○ الحرص على ما ينفع عام في أمور الدين والدنيا.

○ والاستعانة بالله تكون بطلب عونه وتأييده وتحقيق ما ينفع.

○ والعجز هو: ترك بذل السبب مع إمكانه؛ فُهي عنه.

• رتب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات الثلاث ترتيباً بديعاً لتوافق الحال؛ فإن معرفة المطلوب ومعرفة نفعه والحرص عليه سابقة للاستعانة على تحقيقه، ثم تكون الاستعانة مرتبة بعدها؛ فيطلب العبد العون من ربه جل وعلا على تحقيق ما ينفعه وأن يهديه لتحصيله من الوجه الذي يحبه ويرضاه، ثم يبذل الأسباب التي أذن الله بها.

• إذا قام العبد بهذه الأمور فقد حقق الاستعانة؛ فإن تحقق له ما يطلب كان من الشاكرين، وإن أصابه ما يكره من فوات مطلوبه قال: ((
وأحسن الظن بالله، ورجا أن يعوضه ربه خيراً فيما فاته، والله تعالى كريم لا يضيع أجر العاملين، ولا يخيب رجاء من صدق الرجاء فيه.

• وأما ترك الأخذ بالأسباب فهو عجز مذموم، كما أن تعلق القلب بها شرك مذموم.

أنواع الاستعانة

• أفضل أنواع الاستعانة وأكملها وأحبها إلى الله الاستعانة بالله على طاعة الله، وكلما كان المؤمن أشد حبا لله ورجاء في فضله وخوفاً من سخطه وعقابه كان على هذا الأمر أحرص، وعرف أن حاجته إليه أشد.

• والمؤمن مأمور بأن يستعين بالله تعالى في جميع شؤونه حتى في شسع نعله فإنه إذا لم ييسره الله لم يتسير، وقد روي في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مختلف في صحته، ومعناه صحيح، وقد أمر الله تعالى بالسؤال من فضله فقال:

للنساء:

١٣٢ وهو يشمل فضله في الدنيا والآخرة.

• من الناس من يغلب عليه الاستعانة بالله لتحقيق المطالب الدنيوية حتى تشغله عن المطالب الآخروية فإن تحقق له ما يطلب من أمور الدنيا فرح به، وإن حُرّمه ابتلاء واختباراً

جزع وسخط ؛ فهذا النوع في قلوبهم عبودية للدنيا ، وقد تُعجّل لهم مطالبهم فتنة لهم ثم تكون عاقبتهم سيئة.

- سبب ذلك أنهم شابها الكفار فيما ذمهم الله به ؛ فقال تعالى :

()

()

()

() [الإسراء: ١٨ - ٢١].

- وقال :

[الشورى: ٢٠].

- وقال :

()

[هود: ١٥ ، ١٦]

- أصل بلاء الكفار إيثارهم الحياة الدنيا على الآخرة كما قال تعالى :

()

[الأعلى: ١٦ ، ١٧] وقال :

- () [إبراهيم: ٢ ، ٣]. وقال :

() [النارعات: ٣٧ - ٣٩].

()

- الناس في إرادة الدنيا على ثلاثة أقسام :

○ الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة إيثاراً مطلقاً فهي همهم ولأجلها عملهم ؛ فهؤلاء هم الكفار الذين عناهم الله تعالى في الآيات السابقة ، ويلتحق بهم كل من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام بسبب إيثاره للحياة الدنيا ، والعياذ بالله.

○ الذين لديهم نوع إيثار للحياة الدنيا حملهم على ترك بعض الواجبات واقتراف بعض المحرمات فهؤلاء هم أهل الفسق من المسلمين.

○ الذين استعانوا بأمور الدنيا على ما ينفعهم في الآخرة ، فأخذوا منها ما يستعينون به على إعفاف أنفسهم والتقوي على طاعة الله ؛ فهؤلاء هم الناجون السعداء ،

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص رضي الله عنها : «)

((. رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

أقسام الاستعانة

● الاستعانة على قسمين :

○ : استعانة العبادة ، وهي التي يصاحبها معانٍ تعبدية تقوم في قلب المستعين من المحبة والخوف والرجاء والرغب والرهب فهذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل ، ومن صرفها لغيره فهو مشرك كافر.

قال الله تعالى فيما علمه عباده المؤمنين :
المعمول يفيد الحصر ، فيستعان بالله جل وعلا وحده ، ولا يستعان بغيره ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس : ((رواه الترمذي وقال : حسن صحيح.

وكذلك استعانة العبادة واستغاثة العبادة فإنه لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل ؛ فمن صرفها لغير الله عز وجل فهو مشرك شركاً أكبر يخرج عن الملة والعياذ بالله كما يفعله عباد القبور والأولياء فإنه يقوم في قلوبهم من العبوديات لمن يدعونهم ويستعينون بهم ويستعيذون بهم ويستغيثون بهم ما هو من أعظم الشرك والكفر بالله جل وعلا.
الاستعانة ملازمة للعبادة فكل عابد مستعين ؛ فإنه لم يعبد إلا ليستعين به على تحقيق النفع ودفْع الضر.

○ : استعانة التسبب ، وهو بذل السبب رجاء نفعه في تحصيل المطلوب مع اعتقاد أن النفع والضرر بيد الله جل وعلا ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
هذه الاستعانة ليس فيها معانٍ تعبدية وهي كما يستعين الكاتب بالقلم على الكتابة ؛ وكما يستعين على معرفة الحق بسؤال أهل العلم.

● استعانة التسبب حكمها بحسب حكم السبب وحكم الغرض فإذا كان الغرض مشروعاً والسبب مشروعاً كانت الاستعانة مشروعاً ، وإذا كان الغرض محرماً أو كان السبب محرماً لم تجز تلك الاستعانة ، فإن تعلق القلب بالسبب كان ذلك شركاً أصغر من شرك الأسباب.
● الاستعانة المشروعة : هي بذل الأسباب المشروعة لتحقيق المطالب المشروعة ؛ كالاستعانة

على إعفاف النفس بالكسب الطيب والزواج، والاستعانة على دفع المرض بالدواء واختيار الطبيب الحاذق ونحو ذلك فهذه استعانة تسبب مشروعة وقد تجب في أحوال.

• لكن إذا تعلق القلب بالسبب كتعلق المريض بالطبيب فهذا من شرك الأسباب كما سبق إيضاحه.

• ومثال الاستعانة المحرّمة: الاستعانة بالحيل المحرّمة على الكسب غير المشروع.
• الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة من المسائل المهمة التي تتعلق بها حاجة العبد في جميع أحواله.

[البقرة: ٤٥].

• قال الله تعالى:

○ الاستعانة هنا بالصبر والصلاة هي من باب استعانة التسبب؛ فالصبر والصلاة سببان عظيمان للاستقامة على دين الله جل وعلا والفوز بفضله ورضوانه وهما أصل كل خير.

• وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

«، وفي

رواية عند مسلم: ((ومعناها واحد، والمقصود الاستعاذة بهذه الأسباب من الوقوع في تلك الفتن؛ فهي استعاذة تسبب، والكلام في الاستعاذة والاستعانة واحد.

الذبح

- **الذبح** المراد به ذبح القرابين من الأنعام.
- والذبح من الشعائر التعبدية الظاهرة فيفعله الموحدون لله جل وعلا، ويفعله المشركون تقرباً إلى معبوداتهم الباطلة لجلب النفع أو دفع الضر أو طلب الشفاعة أو الشكر.
- والذبح على قسمين: ذبح فيه معنى التعبد، وذبح ليس فيه معنى التعبد.
- أمّا الذبح الذي يكون فيه معنى التعبد فهو ما أهلّ به لغير الله؛ إمّا بذكر اسم المذبوح له عند الذبح أو بقصد التقرب للمذبوح له.
- من الذبح التعبدية: ذبح الهدى والأضاحي والنذور؛ فهذا الذبح عبادة صرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

• يجب على العبد أن لا يذبح إلا باسم الله تعالى، قال الله تعالى:

[الكوثر: ٢]

• النحر يكون للإبل، والذبح للبقر والغنم، وحكهما واحداً.

()

• وقال الله تعالى:

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

• قوله: هو كل ما يُتَعَبَدُ به، وأشهر ما يطلق عليه لفظ النسك:

الذبح، وبه فسّر هذه الآية جماعة من السلف منهم مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.

• النَّسِيكَةُ فِي اللُّغَةِ: الذَّبِيحَةُ، وَجَمْعُهَا نُسُكٌ وَنَسَائِكٌ.

• فالذبح الذي يكون على وجه التقرب أو يذكر عليه اسم: عبادة من صرفه لغير الله جل

وعلا فهو مشرك كافر سواء أكان المذبوح من بهيمة الأنعام أم غيرها.

• السبب في ذلك أن الذابح إذا أهدى باسم غير الله فقد أشرك به، وإذا قصد تقديم هذه

الذبيحة قرباناً لغير الله جل وعلا فهو مشرك كافر بهذا التقرب.

• الذبح من الشعائر التعبدية الظاهرة؛ وكان من مظاهر الشرك المعروفة لدى المشركين أنهم

يذبحون لمعبوداتهم تقرباً بين يدي حوائجهم أو شكراً، ولا يزال هذا في المشركين إلى اليوم.

• من المشركين من إذا عجز عن تقرب شيء من بهيمة الأنعام قرب دجاجة أو حيواناً

صغيراً أو شيئاً حقيراً، وكل ما تقرب به إلى غير الله جل وعلا على وجه التعبد فهو شرك أكبر.

• حرمة هذا الأمر حرم أن يذبح المسلم في المكان الذي يذبح فيه لغير الله جل وعلا؛ ففي

مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه من حديث ثابت بن الضحاك الأنصاري

رضي الله عنه وهو ممن بايع تحت الشجرة، قال: نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن ينحر إبلاً ببوانة؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: (إني نذرت أن أنحر

إبلاً ببوانة)؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

((

قالوا: لا.

((

قال:))

قالوا: لا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:))

..((

○ هذا الرجل الناذرُ اسمه كردم اليساري رضي الله عنه كما في مصنف ابن أبي شيبة ومسنَد الإمام أحمد عن ابنته ميمونة رضي الله عنها أنها كانت حاضرة سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم.

● بل حرم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه كما قال الله تعالى:

[[الأنعام: ١٢١]]، فما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه، والميتة التي تموت

ولم تذبح ويسمى الله عليها حرام لا يجوز أكلها.

● وأما من نسي التسمية من المسلمين فذبح ولم يسم نسياناً فقد اختلف أهل العلم في حلّ ذكاته على ثلاثة أقوال أصحها وهو قول جمهور الأئمة جواز أكلها لأنه لم يتركها عمداً وإنما نسي التسمية ولو ذكرها لم يتركها، وقد قال الله تعالى:

[[البقرة: ٢٨٦]].

○ حكى ابن جرير الإجماع على جواز أكلها واعتبر ما روي عن ابن سيرين من المنع شاذاً.

○ وأما من ترك التسمية عامداً فجمهور أهل العلم على أن ذبيحته لا تؤكل.

○ كلّ ذبح ذكر عليه اسم عند الذبح فهو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

● : الذبح الذي لا يكون فيه معنى التعبد، وإنما يذبح للحم أو لغرض آخر لا

يكون فيه معنى التقرب ولا يكون معه تسمية.

○ هذا النوع من الذبح ليس بعبادة، ولا يحلُّ أكله لأجل أنه لم يذكر اسم الله عليه.

○ ومن هذا النوع ذبائح الكفار التي يذبحونها للحم ولا يسمون عليها.

● ومن هذا النوع أيضاً: العقر الجاهلي، وهو ذبح البهيمة عند قبر الميت، وهو من أعمال

الجاهلية، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:)) ((رواه أبو داود وأحمد

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

● وأهل الجاهلية الأولى ومن شابههم لهم في ذلك اعتقادات باطلة فيعقرون على الميت إما

جزعاً، أو لاعتقاد أن الميت يبعث عليها، أو لأنه جواد كريم فيكرم بهذه العقيرة بعد موته كما كان يكرم أضيافه، وكل هذه الاعتبارات باطلة والذبح بسببها محرم، وهو من إتلاف المال المحرم.

- ومن فعله من أهل الإسلام فقد شابه أهل الجاهلية في هذا الفعل وذبحته محرمة ولا نقول إنها شرك لأنه لم يذبح باسم غير الله ولم يتقرب بذلك إلى غير الله، كما روى الوالبي عن مجنون ليلى وهو قيس بن الملوح أنه لما أتاه خبر موت أبيه عقر ناقته على قبره، وقال في ذلك:
- عقرت على قبر الملوح ناقتي بذى الرمث لما أن جفاه أقاربه
فقلت لها كوني عقيراً فإنني غداة غدٍ ماش وبالأمس راكبه
- من العرب من يعقلُ الناقة عند قبر الميت فيتركها لا تُعلف ولا تسقى حتى تموت، ويسمونها البليّة، كما قال لبيد:

تأوي إلى الأطناب كل رذية مثل البليّة قالص أهدامها

○ يقول: إنه من كرمه أن بيته مأوى لكل رذية وهي المرأة الهزيلة التي قلصت ملابسها عنها من المجاعة حتى أشبهت البليّة لما أصابها من الجهد والمشقة.

- وقال الحارث بن حلزة الشكري يصف معالجته لهمم بركوب ناقته:
- أتلهى بها الهواجر إذ كلَّ ابن هم بليّة عمياء
- أي إذا كان صاحب الهمم مكباً على نفسه منهمكا في همّه كالبلية العمياء حتى يقضي عليه همّه؛ فإني أمضي الهمم بركوب ناقتي في هاجرة الظهرية وأهوبها حتى يذهب همي.
- والمقصود أن الذبح إذا لم يحمل معاني تعبدية بحيث لا يذكر عليه اسم ولا يتقرب به إلى أحد فليس من ذبح العبادة، ولا يحلّ أكله، ومن ذلك ذبح الإتلاف، وقتل البعير الهائج دفاعاً عن النفس فإنه إذا لم يسمّ فيهما؛ ففعله ليس فيه معنى العبادة، ولا يجوز أكله لترك التسمية.

النذر

- **النذر** في لسان العرب: الإيجاب، فمن نذر شيئاً على نفسه فقد أوجبه عليها وألزمها به.

● قال عنترة :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشامي عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي

● أي : أنهما أوجبا على أنفسهما قتله ، وكان بعض العرب يفعلون ذلك فينذرون دماء من يريدون قتلهم ثأراً ، ويعلنون ذلك ؛ فمن وُقِيَ بنذره افتخر بذلك ، ومن حار نذره كان ذلك عاراً عليه ، كما قال بشر بن أبي خازم الأسدي :

..... حارَ نذركَ يابنَ سعدى وحق لنذر مثلك أن يحور

● وقال مزرد الغطفاني يصف شدة جري حصانه :

يرى الشدَّ والتقريب نذراً إذا عدا وقد لحقت بالصلب منه الشواكل

○ الشدّ : هو إحضار الجهد عند الجري ، ولذلك يسمّى إحضاراً أيضاً ، والتقريب : مقارنة الشدّ والإحضار ، فهو دونه .

○ والصلب : الظهر ، والشواكل : جمع شاكلة وهي ما رقّ من لحم البطن مما يلي الخاصرتين .

○ معنى بيت مزرد : أن حصانه من أصالته وقوة شكيمته إذا جرى يرى أن شدة العدو أو مقارنة الشد فرض واجب عليه لا يرضى لنفسه بأقل منه ، بمنزلة النذر الذي قطعه على نفسه ولزمه الوفاء به .

● ومعنى النذر في الشرع هو معناه في اللغة : فما أوجبه العبد على نفسه لله جل وعلا سمي نذراً ، ولذلك فهو عبادة ، فمن تعبد بهذا النذر لغير الله جل وعلا فقد أشرك الشرك الأكبر والعياذ بالله .

● يدخل في ذلك كل عبادة يوجبها العبد على نفسه من العبادات المشروعة في الأصل كالصلاة والصدقة والصيام والتلاوة وغيرها .

● أكثر ما يكون تقديم النذور في الصدقات ، وتسمى تلك الصدقة المنذورة : نذيرة وجمعها نُذُور ونذائر ؛ فلذلك قد يُطلق هذا اللفظ إطلاقاً خاصاً على الصدقات .

● النذر من شعائر التعبد الظاهرة ، ولذلك يفعله الموحدون لله جل وعلا ، ويفعله

المشركون تقرباً لما يعبدونه من دون الله جل وعلا ، تعالى الله عما يشركون.

- المشركون يقدمون تلك النذور بين يدي حوائجهم عند طلب الشفاعة وسؤال الحاجات أو شكراً بعد حصول نعمة أو ارتفاع بلاء ؛ فمن نذر لغير الله جل وعلا فقد أشرك سواء أكان النذر بين يدي طلب الحاجة أم شكراً ، لما في ذلك من معنى التعبد.
- وقد يطلق لفظ النذر على مطلق إيجاب الفعل دون إرادة معنى التعبد كأن يَنْذِرُ ألا يكلم فلاناً ، أو لا يأكل نوعاً من الأكل ، فهذا يطلق عليه لفظ النذر لكنه ليس فيه معنى التعبد.
- قد يكون هذا النذر في معصية كأن يندر أخذ مال رجل بغير وجه حق أو يندر سفك دمه أو يندر التفريق بين زوجين ونحو ذلك فهذا كله محرم ولا يجوز الوفاء به.
- قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

أقسام النذر

- النذر له تقسيمات باعتبارات مختلفة ، فيقسم باعتبار حقيقته إلى مجرد من معنى العبادة ، وهذا هو موضوعنا :
 - نذر العبادة وهو الذي يحمل معاني التعبد فيكون بقصد التقرب بين يدي الحاجة أو الشكر فهذا عبادة من صرفه لغير الله جل وعلا فهو مشرك شركاً أكبر محرماً عن الملة والعياذ بالله.
 - من النذر الشركي ما يفعله المشركون من تقديم القرابين والنذور فيأتي أحدهم بشيء ولو حقيقير يندره لقبر الولي عند طلب الحاجة أو شكراً فهذا شرك أكبر والعياذ بالله ، وإن لم يكن فيه لفظ النذر ، فالعبرة بحقيقة الحال.
 - النذر الذي يراد به الإلزام المجرد عن معاني التعبد كأن يندر ألا يكلم فلاناً وإن لم يكن فيه لفظ النذر ، كأن يقول رجل لابنه لئن لم تأتني فكلامك علي حرام ، أو لا أكلمك أبداً ، أو لأضربك مائة سوط ، ونحو ذلك ، فهذا يسمى نذراً لأنه ألزم نفسه به ، وليس فيه معنى التعبد.
 - لكن لو قال : لِلْوَلِيِّ الْفُلَانِيِّ عَلِيٍّ نَذْرٌ أَنْ لَا أَكَلِمَكَ ، فهذه عبادة لأنه قصد بهذا النذر

التقرب لذلك الولي ؛ فيكون بذلك مشركاً والعياذ بالله.

تقسيمات أخرى للنذر

- ويقسم النذر باعتبار تعليقه بشرط إلى نذر مشروط ونذر غير مشروط.
- هو الذي علّقه الناذر على شرط إن تحقق هذا الشرط ألزم نفسه بالنذر، وإن لم يتحقق لم يلزمه، كأن يقول: (لله علي إن برئت من مرضي أن أصوم شهراً)؛ فإذا برئ لزمه الوفاء بنذره.
- يجب الوفاء بالنذر ما لم يكن في الوفاء به مشقة ظاهرة فحينئذ يتحلل منه بكفارة يمين لما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (من نذر نذراً لم يسمه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذراً في معصية فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين). رواه أبو داود مرفوعاً، وقال ابن حجر: وإسناده صحيح إلا أن الحفاظ رجحوا وقفه.
- في هذا الباب أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومسائل محل بحثها ودراستها كتب الفقه، لكن أنبه إلى أن الوفاء بالنذر شأنه عظيم، وإخلافه كبيرة من الكبائر.

فضل الوفاء بالنذر

- مدح الله عباده الذين يوفون بالنذر فقال: فقال تعالى:

()

()

()

()

()

()

()

() الإنسان: ٥ - ١١٢.

- فجعل من أول صفاتهم أنهم يوفون بالنذر؛ والوفاء بالنذر في هذه الآية يشمل أداء الفرائض التي أوجبها الله عليهم، وما أوجبه على أنفسهم تقرباً لله جل وعلا.
- قال ابن كثير: (وقوله:

[الإنسان: ٧]

أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبه على

أنفسهم بطريق النذر).

• وقال تعالى في الحجاج:

() الحج: ٢٩؛ قال مجاهد: : نذر الحجّ والهدّي، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحجّ).
اللام هنا للأمر.

• الوفاء بالنذر من صفات الأبرار الذين مدحهم الله عز وجل وشكر سعيهم وذكر ثوابهم العظيم.

• وعدم الوفاء بالنذر من خصال المنافقين المذمومة، بل هو من أسباب النفاق والعياذ بالله؛
كما قال تعالى:

() ()

التوبة: ٧٥ - ٧٧.

• في الصحيحين من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «

«؛ فجعل من أول صفاتهم أنهم يندرون

ولا يوفون.

• نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وبين أنه لا يأتي بخير ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وقال: «
»).

• في رواية في صحيح مسلم: «

«.

• وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «

• وفي مصنف ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم:))

..((

• من نذر نذراً معلقاً بشرط حصول نعمة أو اندفاع نقمة؛ فإنَّ النذرَ لا يغيّر من القَدَر شيئاً، وإنما يُستخرَجُ به مَنَّ بخل على نفسه بالتقرب إلى الله تعالى، لأنه إذا حصلت هذه النعمة وجب عليه الوفاء وإلا ارتكب كبيرة من الكبائر بإخلاف وعده الله.

• فهو الذي يُقصد به التعبّد والتقرب بلا شرط؛ كأن يقول: لله عليّ أن أعتكف ليلة، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر: أن عمر قال: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال:)) ((

• والنذر يجب الوفاء به سواء أكان مشروطاً أم غير مشروط، إذا كان طاعة لله جل وعلا. في باب النذر مسائل مهمة محل بحثها كتب الفقه، لكن ملخصها:

• نذر الطاعة يجب الوفاء به ما لم يكن فيه مشقة فإن وجدت المشقة تحل منه بكفارة يمين.
• نذر المعصية حرام، ولا يجوز الوفاء به، واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة فيه على قولين مشهورين، والأرجح لزومها لأثر ابن عباس المتقدم.

• نذر المباح الذي ليس بقربة ولا محرم، كمن نذر ألا يأكل نوعاً من الأكل، أو نذر أن يشتري شيئاً مباحاً؛ فهذا يخير فيه الناذر بين الوفاء بنذره والتكفير عنه.

• من نذر نذراً فيما لا يملك فنذره باطل، لما في صحيح مسلم من حديث عمران بن الحصين أن امرأة نذرت أن تذبح العضباء لما نجت عليها من العدو؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:)) !

..((

• النذر غير المسمّى كأن يقول: إن شُفيت فعليّ نذر، ولا يُسمّى هذا النذر؛ فكفارته كفارة يمين؛ إلا إذا نوى تسمية النذر في نفسه نية جازمة ولم يتكلم به؛ ففيه خلاف بين أهل العلم، وأفتى بعض التابعين أن عليه الوفاء بما نوى.

• النذر الذي خرج مخرج اليمين كأن يقصد به التوكيد أو التصديق أو التكذيب فحكمه حكم اليمين فإن كان على خلاف ما ذكر فكفارته كفارة يمين.

- لا يشترط في النذر أن يكون بلفظ النذر، بل كل ما أدى معنى النذر فله حكمه.

شرح عبارات المتن

قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الفاطحة: ٥)، وَفِي الْحَدِيثِ:))

((

- أي الدليل على أن الاستعانة عبادة ؛ وأنه يجب إخلاصها لله تعالى.

قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الفلق: ١)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

(الناس: ١).

- الكلام في أحكام الاستعاذة كالكلام في أحكام الاستعانة.
- الأمر بالاستعاذة دليل على أنها عبادة يحبها الله عز وجل ؛ فيجب إخلاص هذه العبادة لله تعالى.

• الفلق اسم جامع لكل ما يُفلق، ومنه فلق الصبح، وفلق الحب والنوى، وفلق الأرض بالنبات، وفلق الأرحام بالأجنة، وفلق الشدائد بالمخارج؛ فلا يملك هذا الفلق إلا الله تعالى وحده.

- لا يملك الفلق إلا ربُّ الفلق، فلا يخرج شيء من شيء إلا بإذنه، ولا يُفرج همّ إلا بإذنه، ولا تُزال حجب ما ينفع المرء إلا بإذن ربِّ الفلق جل وعلا.
- الذي فلق للأجنة مخرجاً من غير قوّة منها على ذلك ولا معرفة ولا تدبير لا يعجزه أن يفلق لك مخرجاً مما أحاط بك من الهموم والشدائد وأنت تلجأ إليه.

• الفلَقُ فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، كَالسَّلْبِ بِمَعْنَى الْمَسْلُوبِ، وَالْحَلَبُ بِمَعْنَى الْمَحْلُوبِ وَالْحَصْبُ بِمَعْنَى الْمَحْصُوبِ قَالَ تَعَالَى:

(الأنبياء: ٩٨) أَي

تُحْصَبُ بِهِمْ جَهَنَّمَ كَمَا يُحْصَبُ بِالْحِجَارَةِ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يُقَذَّفُونَ فِيهَا قَذْفًا شَدِيدًا.

قوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الأنفال: ٩) (الآية).

• لما منَّ الله تعالى عليهم باستجابته لهم لما استغاثوه دلَّ ذلك على أن الاستغاثة عبادة يحبها الله ويرضاها فيجب إخلاصها لله تعالى.

• استغاثة العبادة يجب إخلاصها لله تعالى كما سبق بيانه في نظائره، وأمَّا قوله تعالى:

﴿القصص: ١٥﴾ فتلك استغاثة تسبب خالية

من معاني التعبد؛ كما سبق بيانه.

قوله: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

() (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)، وَمِنْ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:))

)).

• وجه الدلالة من الآية أن النسك هو الذبح على قول جماعة من الأئمة، وهو مما يشمله معنى الآية على القول الآخر.

• جاء النسك في هذه الآية في موضع المدح فدلَّ على أنه عبادة يحبها الله تعالى فيجب إخلاصها له جلَّ وعلا.

• الحديث رواه مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: (ودليل النذر قوله تعالى:

﴿الإنسان: ٧﴾.

• وجه الدلالة أن الله تعالى أثنى على عباده الذين يوفون بالنذر؛ فدلَّ على أن النذر عبادة

يجب إخلاصها لله تعالى.

• أي منتشرًا فاشيًا.

أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (٢)

س١: ما رأيك في من يقول: خلق الإنسان لعمارة الأرض؟

س٢: مفكر إسلامي بحث في كتب التراث الإسلامي عن معنى (لا إله إلا الله) فوجد هذه التفسيرات:

(أ) أي: لا معبود بحق إلا الله.

(ب) أي لا رب إلا الله.

(ج) أي: هو واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له.

(د) معنى (لا إله إلا الله) للعوام لا معبود إلا الله، ومعناها للخواص لا محبوب ولا مقصود إلا الله، ومعناها لأخص الخواص لا موجود إلا الله.

(هـ) معنى (لا إله إلا الله) لا نافع إلا الله، ولا ضار إلا الله، ولا معز إلا الله، ولا مدد إلا الله، ولا مانع إلا الله.

(و) معنى (لا إله إلا الله) أي: لا مستغنياً عن كل ما سواه ومفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله تعالى.

فخلص إلى أن معنى (لا إله إلا الله) مسألة مختلف فيها، واختلاف العلماء رحمة، ولا إنكار في مسائل الخلاف.

فما رأيك في هذه النتيجة التي توصل إليها؟

وناقش هذه التفسيرات تفسيراً تفسيراً.

س٣: رجل سئل عن معنى (لا إله إلا الله) فلم يعرف معناها، أو أجاب إجابة خاطئة؛ فهل يعدّ من المسلمين؟

الدرس الحادي عشر: الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة

(مرتبة الإسلام)

قال رحمه الله:

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة؛ وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان.

وكل مرتبة لها أركان.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة: قوله تعالى:

[آل عمران: ١٨]. ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده.

«لا إله»: نافيا لجميع ما يعبد من دون الله. «إلا الله» مثبتا العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى:

() ()

[الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، وقوله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران: ٦٤].

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى:

[التوبة: ١٢٨].

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد: قوله تعالى:

[البينة: ٤٥].

ودليل الصيام قوله تعالى:

[البقرة: ١٨٣].

ودليل الحج قوله تعالى:

[آل عمران: ٩٧].

عناصر الدرس:

- أنواع المعرفة.
- بيان معنى الدين.
- بيان معنى مراتب الدين.
- بيان معنى الإسلام.
- بيان أركان الإسلام
- بيان دليل شهادة أن لا إله إلا الله
- بيان معنى لا إله إلا الله
- الرد على من أخطأ في معنى "لا إله إلا الله"
- دليل شهادة أن محمداً رسول الله
- دليل الصلاة
- دليل الزكاة
- دليل الصيام
- دليل الحج

قوله: (الأصلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ).

- سبق بيان معنى الأصل وأنه ما يبنى عليه ، وسبق بيان التناسب بين هذه الأصول الثلاثة وأنها مأخوذة من الشهاداتين ، وأن هذه الثلاثة هي أصول الدين ، وعليها مدار مسأله.
- المعرفة على نوعين : المعرفة التي يترتب عليها أثرها ؛ فيتبعها الانقياد والاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذه هي المعرفة المحموده.
- والمعرفة الأخرى : المعرفة التي يُراد بها الفهم والإدراك المجرد ، وهذه حجة على صاحبها إن لم يتم بحقها.

○ قال الله تعالى :

[الأنعام : ٢٠] وقال تعالى :

[البقرة : ١٤٦].

- قال قتادة: (يعرفون أن الإسلام دين الله ، وأن محمداً رسول الله يجدون ذلك مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.
- وقال تعالى :

[البقرة : ٨٩].

- فهؤلاء لا تنفعهم معرفتهم ، وإنما يزدادون بها ضلالاً وطغياناً ثم تكون حجة عليهم.
- إذا أطلق لفظ المعرفة في النصوص في موضع مدح أو حث فالمراد به المعرفة المحموده ، وإذا أطلق في موضع ذم أو احتجاج على صاحبها ؛ فالمراد بها معرفة الإدراك وفهم الخطاب.

بيان معنى الدين

- يطلق لفظ (الدين) في لسان العرب على معانٍ لها أصول جامعة منها العادة والانقياد والذل والحكم والجزاء.
- فالدين هو ما ينقادُ العبدُ لحُكْمِهِ بتذلل وخضوع واعتياد.
- من إطلاق لفظ الدين على معنى العادة قول المثقّب العبدي في ناقته :

إذا ما قمتُ أرحلُها بليلاً تأوّه أهة الرجل الحزين
تقول إذا درأتُ لها وضيئي أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حلّ وارتحال أما يُبقي عليّ وما يُقيني
○ قال أبو منصور الأزهري: (درأتُ الوضينَ إذا بسطته على الأرض ثم أنخته عليه لتشدّ عليه الرّحل).

● ومن إطلاقه على الذل والانقياد والدخول في الطاعة قول الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهوا الديب من دراكاً بغزوة وصيال
ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الأقوال

○ دان الرباب: أي أذلها، ثم دانت بعد الرباب أي ذلت وانقادت.

● ويطلق على الحكم والسلطان كما في قوله تعالى:

[يوسف: ١٧٦].

● ويطلق على الحساب والجزاء كما في قوله تعالى:

الحساب والجزاء الذي يدان فيه الناس بأعمالهم، وقوله:

[النور: ٢٥].

● فهذه أشهر المعاني التي يطلق عليها لفظ الدين في اللغة.

● معرفة المعنى اللغوي لألفاظ العقيدة تعين على فهم المعنى الشرعي؛ فبين الإطلاقين اللغوي والشرعي تناسب، وغالباً ما يكون المعنى الشرعي مخصصاً لإطلاق المعنى اللغوي.

● إذا انتفى المعنى اللغوي انتفى المعنى الشرعي؛ فالذي لا ينقاد لحكم الله عز وجل الشرعي ولا يخضع لأوامر شريعة الإسلام لا يكون داخلياً في دين الإسلام، كما قال الله تعالى:

()

[التوبة: ٢٩].

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال: دنته فدان أي أذلته فذل ويقال يدين الله ويدين لله أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له فدين الله عبادته وطاعته

والخضوع له) ا.هـ.

- فمعنى الدخول في دين الإسلام هو الانقياد لأحكام الشريعة الإسلامية والتزام أوامرها ونواهيها على وجه التعبد.

بيان معنى الإسلام

قوله: (الأصل الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ).

- المراد بالإسلام هنا شريعة الإسلام التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم، ونسخ الله بها جميع الأديان السابقة؛ فقال الله تعالى:

[آل عمران: ٨٥].

- قوله: (بالأدلة) هذا فيه بيان وجوب معرفة الحق بدليله فيكون متبعاً صاحب حجة، لا مقلداً لا حجة له.
- مَنْ عِلِمَ الْحَقَّ بِدَلِيلِهِ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْمَسْأَلِ فَهُوَ عَالِمٌ بِهَا، فَإِنْ كَانَ هَذَا دَأْبَهُ فِي مَسْأَلِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْرِفَهَا بِدَلِيلِهَا وَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ؛ فَهُوَ مِنَ الْعُلَمَاءِ.
- قال ابن القيم رحمه الله:

والعلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان

- قوله: (وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ).
- هذا تعريف للإسلام بمعناه الشرعي.

- في بعض النسخ (والخلوص من الشرك)، أي: السلامة من الشرك.
- قال شيخنا الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: (والمعروف عنه في النسخ الصحيحة التي قرأت على العلماء (البراءة من الشرك وأهله)؛ لأن البراءة تشمل الخلوص وزيادة، وهي الموافقة لقول الله جل وعلا:

()

[الزخرف: ٢٦، ٢٧].

- الإسلام في اللغة مصدر أسلمته إسلاماً، ولا يسمى إسلاماً حتى يتحقق فيه وصفان:
- الإخلاص والبراءة من المشاركة والعلّة وغيرها مما يقدر في الإسلام.

- : تمكين المسلم للمسلم له وانقياده له في كل موضع بحسبه.
- مما يوضح هذا المعنى قوله تعالى :

[الزمر: ٢٩].

- متشاكسون أي: مختلفون متنازعون غير متفقين، بل يسيئ بعضهم إلى بعض.
 - أي خالصاً له منقاداً إليه، ليس لأحد فيه شراكة، وهذا مثل ضربه الله لتقبيح الشرك، وتحسين الإسلام.
 - المقصود: أن المسلم هو الذي أسلم دينه لله فلم يجعل لله شريكاً فيه وانقاد لأوامر الله جل وعلا، قال الله تعالى :
- [النساء: ١٢٥] وقال
- تعالى :
- [لقمان: ٢٢].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد فُسرَ إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده، بالعمل الصالح المشروع المأمور به، وهذان الأصلان جماع الدين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبد بما شرع، لا نعبد بالبدع) اهـ.
 - **إسلام الوجه هو:** إسلام القصد والنية وتخليصها من قصد الشرك مع الله جل وعلا.
 - إطلاق لفظ الوجه على القصد معروف في لسان العرب، وفي الحديث المتفق على صحته: ((، وقال بشر بن أبي خازم الأسدي :
- إِلَيْكَ الْوَجْهُ إِذْ كَانَتْ مُلُوكِي ثَمَادَ الْحَزَنِ أَخْطَأَهَا الرِّبْعُ

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً: (الوجه يتناول التوجه والتوجه إليه، كما يقال: أي وجه تريد؟ أي: أي وجهة وناحية تقصد، وذلك أنهما متلازمان، فحيث توجه الإنسان توجه وجهه، ووجهه مستلزم لتوجهه، وهذا في باطنه وظاهره جميعاً، فهذه أربعة أمور، والباطن هو الأصل، والظاهر هو الكمال والشعار؛ فإذا توجه قلبه إلى شيء تبعه وجهه الظاهر، فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى الله فهذا صلاح إرادته وقصده، فإذا كان مع ذلك محسناً فقد اجتمع أن يكون عمله صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، وهو قول عمر رضي الله عنه: (اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً).

- وقال: (العمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به، والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله، فقد أخبر الله تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسناً في عمله فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب).
- الخلاصة أن الإسلام لا بد فيه من جمع أمرين:
 - الاستسلام والانقياد لأمر الله جل وعلا.
 - الإخلاص والبراءة من الشرك في ذلك.
- فالمسلم هو الذي أخلص دينه لله جل وعلا، وانقاد لأمره.
- بهذا تعلم أن المشرك غير مسلم لأن دينه ليس بخالص لله جل وعلا، والمستكبر غير مسلم لأنه ممتنع غير منقاد لأمر الله جل وعلا، قال الله تعالى:

[النساء: ١٧٢].

- قال ابن تيمية: (الإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به، والمستكبر عن عبادته: كافرٌ، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته وحده؛ فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره) اهـ.
- وهذا يدل على أن المسلمين يتفاضلون في إسلامهم بتفاضل الإخلاص وكمال الانقياد، فكلما كان العبد أحسن إخلاصاً وانقياداً كان أحسن إسلاماً.
- في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

..))

- فالإسلام يتضمن معنى الإخلاص، إخلاص العبادة من الشرك في الاعتقاد والقول والعمل، وإخلاص الانقياد لله تعالى بطاعته، وذلك بامثال أمره واجتناب نهيه.
- توحيد الربوبية حجة في وجوب توحيد العبادة؛ فكما أن الله تعالى هو الملك الخالق الرازق المدبر للأمر، وحده لا شريك له في ذلك؛ فكذلك يجب أن يخلص العبد عبادته

لله تعالى ويسلمها له جل وعلا ، فيخلصها من الشرك بعبادة غير ، ويخلصها من الإيذاء المنافي للالتقياد.

بيان مراتب الدين

قوله: (وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ).

• أي إن دين الإسلام على ثلاث مراتب دلّ عليها حديث جبريل عليه السلام ؛ فإنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ، وسأله عن الإيمان ، وسأله عن الإحسان ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث : ((

• هذه المراتب متفاضلة ؛ فأفضلها مرتبة الإحسان ، وتليها مرتبة الإيمان ، وتليها مرتبة الإسلام ؛ فهي على هذه المراتب الثلاث ، وأوسعها مرتبة الإسلام ، وأخص منها مرتبة الإيمان ، وأخص منهما مرتبة الإحسان ؛ فكل محسن مؤمن مسلم ، ولا ينعكس.

• هذه المعاني الثلاثة لها وصف أصل ووصف كمال ؛ فالمسلم لا بد له من قدر من الإيمان يصح به إسلامه ، والمسلم معه أيضاً أصل الإحسان وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، والتوحيد أعظم الحسنات.

• لكن لا يسمى محسناً حتى يأتي بالإحسان كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ((

• وكذلك لا يسمى مؤمناً حتى يأتي بالقدر الواجب من الإيمان ؛ فأما ضعيف الإيمان وناقص الإيمان فيسمى مسلماً أو مؤمناً ناقص الإيمان.

• وهذا كما لا يوصف من علم بعض المسائل في العلم بأنه عالم حتى يجمع من أبواب العلم ما يستحق به هذا الوصف ، وكما أن من فعل شيئاً من أفعال الوضوء كالمضمضة وغيرها لا يسمى متوضئاً حتى يكمل فروض الوضوء الواجبة ؛ فيكون متوضئاً.

قوله: (وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ).

• لفظ الأركان لم يرد في النص النبوي ؛ لكن فهم أهل العلم من حديث ((أن هذه الخمس هي أصول الإسلام التي بني عليها ، وما بينى عليه الشيء فهو ركن له.

- **الركن:** هو الأصل الذي يُعتمد عليه في البنيان وغيره، ولا يكون ركنًا حتى يكون فيه معنى القوة والدعامة ليحتمل ما يبني عليه، وإذا انهدَّ الركن انهدَّ ما بني عليه.
- ركن الجبل جانبه وأصله الذي يعتمد عليه أعلاه، قال متمم بن نويرة:
فلو أنَّ ما ألقى يُصيبُ مُتالِعاً أو الرُّكْنَ من سلمى إذا لتَضَعُضَعَا
○ متالع وسلمى جبلان، و(تضعضع): سقط وانهد ولم يثبت.
- **والمرتبة والرتبة:** هي المنزلة، ومراتب السُّلْم درجاته، واحداً مرتبة، قال الفرزدق:
كَأَنَّ يَدَيْهَا فِي مَرَاتِبِ سُلْمٍ إذا غَاوَلَتْ أَوْبَ الذَّرَاعَيْنِ بِالرِّجْلِ
• وأصل إطلاق هذا اللفظ كما قال الخليل بن أحمد: (المراتب في الجبال والصحاري، وهي الأعلام التي تُرتَّبُ فيها العيونُ والرُّقَباءُ)١.هـ.
- وقال الأصمعي: (المرتبة: المَرْقَبَةُ، وهي أعلى الجبل).
- وقال ابن سيده في المحكم: (كل مقام شديد: مرتبة، قال الشماخ:
ومرتبة لا يستقال بها الردى تلافى بها حلمي عن الجهل حاجز)
• والأمر الثابت الدائم يسمى راتباً.
- وهذه الأوصاف التي تشعر بالعلو والشدة والإحكام والثبات والتنظيم تطلق على الأمور المعنوية كما تطلق على الأمور الحسية.
- فيقال: (رجل له مرتبة في قومه) إذا كان ذا منزلة عالية ومقام ثابت محكم يجعله في منعة ورفعة لديهم، فإذا فَقَدَ هذه المعاني وَهَتَ مرتبته، كما قال ذو الرمة:
أَلَا رُبَّ مَنْ يَهْوَى وَفَاتِي وَكَوَدَنْتَ وَفَاتِي لَدَلَّتْ لِلْعَدُوِّ مَرَاتِبُهُ
• المقصود: أن مراتب الدين يترتب بعضها على بعض ترتباً تصدق عليه الأوصاف المذكورة؛ فهي كبناء أصله واسع هو المرتبة الأولى وهي مرتبة الإسلام، ثم تترتب عليه مرتبة أصغر دائرة منه هي مرتبة الإيمان، ثم تترتب عليهما مرتبة ثالثة أقل دائرة منهما وأعلى منهما، وهي مرتبة الإحسان، نسأل الله تعالى بلوغها والثبات عليها حتى الممات.

أركان الإسلام

قوله: (فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ، وَالِدَلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «

«).

- هذه الأمور الخمسة هي أركان الإسلام وأصوله التي يقوم عليها إسلام العبد.
- تضمنت هذه الخمسة قواعد الإسلام وشعائره العظام، وهي أصول العبادات وينبغي على كل أصل أنواع من العبادات.
- هذه الأصول على مراتب؛ فأصل هذه الأركان الشهادتان فلا يدخل العبد في الإسلام حتى يشهد الشهادتين، ولا تصح منه سائر الفرائض قبل أن يشهد الشهادتين.
- وعمود الإسلام الصلاة كما في حديث معاذ بن جبل مرفوعاً في المسند والسنن.
- فإذا استقر الأصل وقام عمود الإسلام ثبت وصف الإسلام للعبد، فإن لم يقم بهذا الأصل أو انتقض بارتكاب ما ينقض الشهادتين فليس من المسلمين.
- وإذا سقط عمود إسلام المرء فلا إسلام له؛ كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «

«).

- وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «

«).

- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته: (لا حظاً في الإسلام لمن ترك الصلاة). رواه مالك في الموطأ.

- وأما الأركان الثلاثة الأخرى فقد أجمع أهل العلم على أن من تركها جاحداً لوجوبها فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا التكذيب ينقض الشهادتين.

- وكذلك من تركها إباءً وامتناعاً عن الانقياد لشريعة الإسلام فهو كافر لأن هذا الإباء

والامتناع ينقض الشهادتين.

• وأما من تركها تهاوناً وكسلاً من غير جحد لوجوبها ولا امتناع عن الانقياد لأحكام الشريعة فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه مرتكب لكبيرة من الكبائر وأن إسلامه ناقص ولا يكفر بذلك لبقاء أصل الإسلام وعموده، لكنه متوعد بالعذاب الشديد على تركه لهذه الفرائض العظيمة كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة في وعيد تارك الزكاة وتارك الصيام.

• هذه الأركان الخمسة من الشعائر التبعدية الظاهرة فيعملها الموحدون لله جل وعلا، ويعمل المشركون نظائرها تقريباً لألتهم.

○ فشهادتهم ما يهلون به من ألفاظ الشرك التي تتضمن الشهادة لألتهم بأنها تنفع وتضر وتستحق أن تعبد، وما يشهدون به لمتبوعيهم بأنهم أحق من يتبع.

○ ولهم صلوات يؤدونها لألتهم وإن اختلفت في كيفيةها عن صلاة المسلمين، كما قال

الله تعالى عن المشركين: [الأففال: ٢٣٥]

فالأقوال والأفعال المنتظمة التي تؤدي على وجه التعبد هي صلاة وإن اختلفت كيفيةها عن صلاة المسلمين.

○ وتقديمهم للأموال والقرايين هو نظير أداء الزكاة عند المسلمين، وإن لم يسموها زكاة، ذلك أن منهم من يجعل على نفسه قدراً معلوماً من المال يتقرب به، ومنهم من يفرض عليه هذا المال بأسماء مختلفة.

○ وكذلك الصيام منهم من يصوم تقريباً وطمعاً في أشياء يرجوها من تلك الآلهة التي يتقرب إليها وإن اختلف صيامه عن صيام المسلمين فمنهم من يصوم عن الكلام، ومنهم من يصوم عن بعض الأطعمة ومنهم من يواصل الصيام أياماً عن كل شيء فيجوع نفسه ويشق عليها طمعاً أن تنزل عليه الشياطين ويظن أنهم خدام مرسلون من تلك الآلهة، وكل إمساك تُقرب به إلى غير الله جل وعلا فهو صيام.

○ وكذلك الحج يفعله المشركون وهو من الشعائر الظاهرة لديهم فمنهم من يقطع المسافات البعيدة لزيارة قبر يُعبد من دون الله جل وعلا؛ فيحج إليه ويطوف حوله ويذبح له

ويفعل ما يضاهاى به حج المسلمين ، فهذا حج وإن لم يسمّوه حجاً فالعبرة بحقائق الأشياء .
 • فعلم بذلك أن هذه الخمسة هي أصول العبادات الظاهرة ويجب إخلاصها لله جل وعلا ،
 كما أن أصول العبادات الباطنة المحبة والخوف والرجاء ويجب إخلاصها لله جل وعلا .
 قوله: (وَالدَّيْلُ مِنَ السُّنَّةِ).

• الدليل هو الذي يدلّ على الهدى ويرشد إليه ، ودليل القوم هاديهم الذي يرشدهم إلى الطريق الصحيح .
 • كان العرب إذا سافروا في طريق لا يعرفونه يتخذون دليلاً يرشدهم لئلا يهلكوا في المفاوز ويضلوا عن قصدهم ؛ ويكون ذلك الدليل بصيراً بالطرق والأعلام وموارد الماء فيدلهم على الطريق ويذلهم على ما يتزودون به من الماء لئلا يهلكوا عطشاً ، فمن امتثل دلالة الدليل نجا وبلغ المقصد ومن خالفه كان على خطر من الهلاك والضلال عن مقصده .
 • وكذلك في الأمور المعنوية إذا صح الدليل ، وكان وجه الاستدلال صحيحاً صحت الدلالة وتبيّن بذلك الهدى والصواب .

• وسميت الآيات والأحاديث أدلة ، وواحدها دليل لأنها تدل على الهدى وتبيّنه وترشد إليه ، ومن خالف دلالة الدليل الصحيح كان على خطر من الضلال والشقاء .
 قوله: (وَالدَّيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى):

[آل عمران: ١١٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[آل عمران: ١٨٥] .

• قوله: (وَالدَّيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى) أي الذي هداني وأرشدني إلى ما قلت وبينت هو قوله تعالى:

[آل عمران: ١١٩] .

• المراد بالإسلام في هذه الآية الإسلام الشرعي العام الذي هو دين الأنبياء جميعاً وهو التوحيد ، وعلى هذا تفاسير السلف لمعنى الإسلام في هذه الآية .

• قال قتادة في قوله تعالى:

[آل عمران: ١١٩]: (الإسلام: شهادة

أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وهو دين الله الذي شرع لنفسه ، وبعث به رسله ، ودلّ عليه أوليائه ، لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به). رواه ابن جرير .

• وفيه دلالة على وجوب التوحيد وأنه الدين الذي يقبله الله تعالى، والإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أصله التوحيد لله جل وعلا.

• قال ابن القيم رحمه الله: (وقد دلَّ قوله: أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه، قال أول الرسل نوح:

[يونس: ٧٢] وقال إبراهيم وإسماعيل:

[البقرة: ١٢٨]،

[البقرة: ١٣٢] وقال يعقوب لبنيه عند الموت:

[البقرة: ١٣٣] إلى قوله [البقرة: ١٣٣]

وقال موسى لقومه: [يونس: ٨٤]، وقال تعالى:

[آل عمران: ٥٢]، وقالت ملكة سبأ:

[النمل: ٤٤]؛ فالإسلام دين أهل السموات، ودين أهل

التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد ديناً سواه. ا.هـ.

• وقال ابن كثير رحمه الله: (قوله: [آل عمران: ١٩] إخبار من الله

تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لقي الله بعد بعثته محمداً صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل. كما قال تعالى:

[آل عمران: ٨٥]. ا.هـ.

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[آل عمران: ٨٥].

• للسلف في المراد بالإسلام في هذه الآية قولان:

○ : هو دين الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم، وأصله

الشهادتان، وعليهما مدار التوحيد، وأن هذه الآية نسخت جميع الأديان السابقة من اليهودية والنصرانية والصابئية وبقايا الخنيفية.

○ المراد به الإسلام العام الذي هو دين جميع الأنبياء، وهو توحيد الله تعالى

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقوله تعالى: آل عمران: ٨٥)

الآية عام في الأولين والآخرين بأن دين الإسلام هو دين الله الذي جاء به أنبيأؤه وعليه عبادة المؤمنون كما ذكر الله ذلك في كتابه من أول رسول بعثه إلى أهل الأرض نوح وإبراهيم وإسرائيل وموسى وسليمان وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين)أ.هـ.

• وأجمعوا على أن المراد بالإسلام في قوله تعالى:

المائدة: ١٣، هو دين الإسلام الذي بعث به محمد صلى

الله عليه وسلم.

دليل الشهادة

قوله: (وَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

آل عمران: ١٨)، وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ.

(لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، (إِلَّا اللَّهُ) مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ).

• قوله تعالى:

آل عمران: ١٨.

• لفظ الشهادة وما تصرف منه يطلق على معنيين مشهورين:

○ المعنى الأول: الحضور والمعايَنة والإبصار، كما في قوله تعالى:

النور: ٢٢.

○ المعنى الثاني: الإخبار البيّن الجازم عن أمرٍ ذي شأن، وهو المراد هنا كما في قوله

آل عمران: ١٨.

تعالى:

○ وقد اجتمع المعنيان في قوله تعالى:

() [الزخرف: ١٩].

استفهام إنكاري، أي: هل حضروا خلقهم وعينوه؟

و أي إخبارهم الجازم في هذا الأمر العظيم.

• والمقصود أن الشهادة بالمعنى الثاني تتضمن معاني الإخبار والبيان والجزم عن أمر ذي شأن؛ فإذا تحققت هذه الأوصاف سمي شهادة وإن لم يكن فيه لفظ الشهادة، ولذلك سمي الله تعالى هذا الزعم منهم شهادة.

• والشهادة إذا لم تكن بحق فهي شهادة زور.

• وسمي قول (لا إله إلا الله) شهادة لأنه إخبار بيّن جازم عن أمر ذي شأن.

• قوله تعالى:

[آل عمران: ١٨].

○ أي أن الله تعالى وملائكته وأولوا العلم يشهدون أنه لا إله إلا الله.

○ قال ابن القيم رحمه الله: (وقوله تعالى: القسط هو العدل؛ فشهد

الله سبحانه أنه قائم بالعدل في توحيد، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال؛ فإن التوحيد يتضمن تفرد سبحانه بالكمال والجلال والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه، والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب وموافقة الحكمة) اهـ.

بيان معنى لا إله إلا الله

قوله: (وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِيَّا اللَّهِ؛ (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، (إِلَّا اللَّهُ) مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ).

• معرفة معنى (لا إله إلا الله) واجبة لأنها مفتاح الدخول في الإسلام فيجب معرفة معناها مع القدرة؛ فإذا لم يستطع معرفة معناها كفاه القيام بمقتضاها، فإذا كان لا يعبد إلا الله، ويعتقد بطلان ما يعبد من دون الله؛ فقد أتى بالمراد من هذه الكلمة.

○ وذلك كما لو دعي لأعجمي للإسلام فأسلم وقال هذه الكلمة وهو لا يفقه معناها لكنه

يعتقد مقتضاها فإنها تنفعه بإذن الله.

- وكذلك لو سألت مسلماً عن معنى (لا إله إلا الله) فأخطأ تفسيرها فإن كان لا يعبد إلا الله ويشهد بالبراءة مما يعبد من دون الله؛ فهو مسلم موحد وإن أخطأ في التفسير.
- أما إذا كان لا يعتقد مقتضاها فإنها لا تنفعه ولو كان يعرف معناها؛ فإذا كان يقول: (لا إله إلا الله) وهو يرى جواز اتخاذ وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتقرب إليهم فهو مشرك كافر، وإن قال: (لا إله إلا الله).

● **ومعنى (لا إله إلا الله):** أي لا معبود بحق إلا الله جل وعلا.

- (لا) حرفٌ لنفي الجنس، إذا دخل على النكرة المباشرة غير المكررة نصبها وجوباً اسماً له ورفع الخبر.
- **إله:** اسم (لا) منصوب تحققت فيه شروط وجوب النصب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

- والإله هو المألوه أي المعبود الذي تأله أي تتعبد له الخلائق محبة وتذلاً وتعظيماً.
- وخبر (لا) محذوف لظهور العلم به وتقديره (حق)، وحذف خبر (لا) عند ظهور المراد به شائع عند العرب، قال ابن مالك:

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر إذا المراد مع إسقاطه ظهر

- (إلا الله) استثناء يتضمن إثبات وصف الإله لله وحده جل وعلا دون ما سواه؛ فهو الإله الحق، وكل ما أتخذ إلهاً من دونه فهو باطل كما قال تعالى:

[الحج: ١٦٢].

- وقد قدر بعض النحاة خبر لا بـ (موجود) وهو خطأ باعتبار وصحيح باعتبار آخر، والصحيح الذي لا خطأ فيه وتدل عليه الأدلة الصحيحة تقديره بـ (حق).
- الذين قدروه بـ (موجود) إن كان مرادهم مطلق وجود ما يعبد من دون الله فهذا خطأ؛ فإن الآلهة التي اتخذت من دون الله كثيرة، قال الله تعالى:

[الفرقان: ١٣]، وكم حطم النبي صلى الله عليه وسلم من صنم اتخذ

إلهاً من دون الله!!

○ وإن كان مرادهم بالوجود: الوجود المعتبر شرعاً فهذا حق ويدلُّ عليه قوله تعالى:

{العنكبوت: ٤٢} وقال:

{الحج: ٦٢} فهي آلهة باطلة ليست بشيء.

○ ولكن الله أرشدنا في التعبير أن نأخذ بالقول الذي لا يتذرّع متذرّع بتفسيره بالباطل على

{البقرة: ١٤}.

منهج:

○ فتقديره به (حق) هو الصواب حينئذ، وهو مرادف للوجود الشرعي.

● وحذف خبر (لا) شائع عند العرب ويقدر في كل مقام بحسبه، كما لو سُئلت: من عندك؟

فقلت: لا أحد؛ فإنك تريد: لا أحد عندي، فلو ذكرت خبر (لا) خالفت البلاغة في القول.

● ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((

فشهر صفرٌ موجود، ولكن المنفي هو الاعتبار الشرعي لا اعتقادهم فيه، وكذلك الطيرة

موجودة، ولكن المنفي هو الاعتبار الشرعي لها، وهكذا يقدر الخبر في كل مقام بحسبه.

● وتقدير الخبر المحذوف مبنيٌّ على فهم المعنى المراد؛ ففي كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)

ليس المنفي الوجود الكوني للآلهة التي تعبد من دون الله بالباطل، وإنما المنفي هو الاعتبار

الشرعي لها وأنها تستحق شيئاً من العبادة.

● ولذلك كثرت الأدلة من الكتاب والسنة على إبطال استحقاق غير الله للعبادة، قال

تعالى:

{الفرقان: ٢٣}، وقال:

{الأعراف: ٥٩}.

{الأعراف: ١٩١}، وقال:

● وفائدة الإعراب بيان المعنى المراد، فكلّ إعراب أدّى معنى باطلاً فهو خطأ مردود.

● ينبغي لطالب العلم أن يعتني بإعراب كلمة التوحيد عناية جيّدة؛ لأن من المشركين من

يكون صاحب علوم وحجج كما يكون ذلك لدى بعض القبوريين فإن منهم من يكون عارفاً

بشيء من العلوم اللغوية والشرعية لكنه على ضلال مبين بتقريره الشرك ومحاولة الاحتجاج

له؛ فينبغي لطالب العلم أن يعرف من الحجج اللغوية ما يدفع به شبهات المبطلين.

● وقد يطلع بعض طلاب العلم على بعض ما يكتب في إعراب هذه الكلمة لعلماء

معروفين من النحاة واللغويين ويطلع على خطأ في ذلك، فلا يغرّه صدور هذا الخطأ من بعض أكابر النحاة فإن الإعراب تبع لفهم المعنى، ولذلك لا يجوز أن يتكلم في إعراب القرآن من لا يحسن معرفة التفسير وأصوله ولو بلغ في علم النحو ما بلغ.

• أفرد بعض النحاة وشراح الأحاديث إعراب كلمة التوحيد برسائل مفردة منها: رسالة لابن هشام النحوي (ت: ٧٦١هـ)، للزرکشي (٧٩٤هـ)، وللملا علي قاري (ت: ١٠١٤هـ)، وللكوراني (ت: ١١٠١هـ).

• أكثر ابن هشام النحوي في رسالة له مستقلة في إعراب (لا إله إلا الله) من الأوجه الإعرابية حتى أوصلها إلى عشرة أوجه، وأورد فيها أقوالاً لعدد من النحاة منهم المعتزلة ومنهم الأشاعرة ومنهم من أهل السنة، وفي توجيهات بعض النحاة نظر ظاهر.

• إذا تبين هذا؛ فاعلم أن العرب - وهم أهل الفصاحة - لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا: (لا إله إلا الله) استنكفوا واستكبروا، وعادوا الرسول وأذوه وأخرجوه من بلده وشاقوه وشاقوا أصحابه وقطعوا أرحامهم، وقذفوهم بالزور والبهتان والأوصاف الشنيعة انتصاراً لألهمتهم، كما بين الله تعالى حالهم بقوله جل وعلا:

()

()

[الصفات: ٣٥ - ٣٧].

()

• سبب ذلك كله معرفتهم بمعنى "لا إله إلا الله"، وأن الشهادة بها شهادة بطلان عبادة ما يعبد من دون الله جل وعلا، والدخول في دين الإسلام.

- ولو كان معناها ما فسره به من أخطأ في تفسير كلمة التوحيد لما كان لهذه العداوة موجب.
- معرفة ما اشتهر من التفسيرات الخاطئة لكلمة التوحيد، وكشف بطلانها مهم للطالب.
- قد يجد طالب العلم لدى بعض الفرق اضطراباً في تفسير كلمة التوحيد؛ فمنهم من يفسرها تفسيراً صحيحاً، ومنهم من يخطئ في تفسيرها.
- نقل عن الأشاعرة نحو أربعة أقوال في تفسيرها:

○ **ففسر بعضهم** الإله بأنه المعبود بحق وأن لا إله إلا الله معناها لا معبود بحق إلا الله،

وهذا هو التفسير الصحيح الموافق لتفسير أهل السنة والجماعة.

- **وفسر بعضهم** الإله بأنه القادر على الاختراع ، وأن معنى (لا إله إلا الله) أي لا قادر على الاختراع إلا الله ، وهذا قصر لمعنى كلمة التوحيد على نوع من أنواع توحيد الربوبية.
- **وفسر بعضهم** الإله بأنه المستغني عن كل ما سواه المفترق إليه كل ما عداه.
- **وفسر بعضهم** لا إله إلا الله بأن معناها: (أنه واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له)
- والتفسيران الأخيران قاصران أيضاً مخالفان للأدلة الصحيحة ، ولا تقتضيهما اللغة.
- وتفسير كلمة التوحيد ببعض معاني الربوبية خطأ كبير شاع لدى بعض الفرق وراج لدى جهلة العوامّ ، وانتشر بسبب ذلك من البدع والشركيات ما الله به عليم.
 - على طالب العلم أن يفقه الدلائل على أن المشركين الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر للأمر ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.
 - فلو كان معنى (لا إله إلا الله) هو ما شهدوا به من معاني الربوبية لم يكن لمعارضتهم وامتناعهم عن قول (لا إله إلا الله) وجه.
 - تأمل ما رواه الإمام أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وغيرهم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أن مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل.
- قال: فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول؛ فلو بعثت إليه فنهيته؛ فبعثت إليه أو قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب مجلس رجل.
- قال: فخشي أبو جهل إن جلس النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه؛ فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً قُرب عمّه؛ فجلس عند الباب.
- قال أبو طالب: أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك؟! يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول وتفعل وتفعل، فأكثروا عليه من اللّحو؛ فتكلم النبي عليه الصلاة والسلام فقال:))

((؛ ففرعوا لكلمته ولقوله؛ فقال القوم: " كلمة واحدة؟! نعم وأبيك وعشرا، وما هي؟ قال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال:)) ((
 قال: فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون:
 [ص: ٢٥].

قال: وقرأ من هذا الموضع إلى قوله: [ص: ٢٨]. والحديث رواه الترمذي أيضاً والنسائي، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه.

○ فتأمل كيف أنهم كانوا أعرف بمعنى (لا إله إلا الله) من بعض أصحاب هذه الفرق الضالة؛ فإنهم فهموا من هذه الكلمة أنها تقتضي بطلان عبادة ما يعبد من دون الله تعالى.
 • وبعض المتصوفة يقولون: إن معنى (لا إله إلا الله) للعوام لا معبود إلا الله، ومعناها للخواص لا محبوب إلا الله، ومعناها لأخص الخواص لا موجود إلا الله، وهذا التفسير كفر مبين شاهد على صاحبه بعقيدة الحلول والاتحاد التي هي من أكفر الكفر، والعياذ بالله.
 • المقصود من هذا العرض التنبه للتفسيرات الخاطئة لكلمة التوحيد، وأنها قد تصدر من أناس لهم مكانة علمية فلا يعتر بذلك طالب العلم.

قوله: (وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى:
 [الزخرف: ٢٦، ٢٧] الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ:

[ال عمران: ٦٤].

- أي إن هاتين الآيتين تفسران معنى كلمة التوحيد.
- فأما الآية الأولى وهي قوله تعالى:

() [الزخرف: ٢٦، ٢٧] فتضمنت البراءة مما يعبد من دون الله جل وعلا،

وإثبات العبادة لله وحده، وهذا هو معنى التوحيد.

○ لا بد في التوحيد من نفي وإثبات، نفي استحقاق غير الله للعبادة والبراءة مما يعبد من

دون الله، وإثبات العبادة لله وحده؛ فلا يكون موحدًا إلا من جمع بين النفي والإثبات.
 ○ وهذا أمر يدل عليه المعنى اللغوي للتوحيد، فجعل الشيء واحداً يستلزم إثباتاً ونفياً،
 إثبات الوجدانية له، ونفي مشاركة غيره له.
 • وأما قوله تعالى:

آل عمران: ٦٤.

○ **السَّوَاءُ** في لسان العرب: النَّصْفُ والعدْلُ، وأصل ذلك أن العرب إذا تنازعا وحصل
 بينهم قتل وجراحات وأرادوا الصلح تداعوا إلى السَّوَاءِ فيصطلحون على أمرٍ يكون فيه
 إنصاف للمتنازعين يسوَّى فيه بينهم في الدماء والحقوق.

○ قال زهير ابن أبي سلمى:

أرونا سنَّةً لا ضيم فيها يُسَوَّى بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ
 فَإِنْ تَدَعُوا السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَيَيْنُكُمْ بَنِي حِصْنٍ بَقَاءُ

○ ومن العرب من تأخذه العزة بالإثم، والبَطْر بالقوة فيأبى الدعوة إلى السَّوَاءِ، كما قال
 عنتره: أينا فما نُعْطِي السَّوَاءَ عَدْوَنَا قِيَاماً بِأَعْضَادِ السَّرَاءِ الْمُعْطَفِ
 ○ يكون السَّوَاءُ عند العرب في الأمور المادية من الجراحات والمعاوضات ويكون في الأمور
 المعنوية من الدعاوى والمقاولات والتهاجي.

○ قال ابن جرير: ()

آل عمران: ٦٤ يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم،
 والكلمة العدل، هي أن نوحّد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به
 شيئاً).

○ الكلمة تطلق في اللغة على الجملة المفيدة، وأما اصطلاح النحويين على أن الكلمة اسم
 وفعل وحرف جاء لمعنى، فيجعلون الاسم كلمة، والفعل كلمة، والحرف الذي جاء لمعنى
 كلمة؛ فهذا اصطلاح حادث، ولا مشاحة في الاصطلاح، لكن ليتفطن إلى أن معنى الكلمة
 في لسان العرب ليس هو المعنى الاصطلاحي عند النحاة.

()

○ قال الله تعالى:

المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فسَمِّي هذه الجملة المفيدة

كلمة، والأدلة والشواهد على هذا الإطلاق كثيرة جداً؛ فكلمة التوحيد: هي كلمة (لا إله إلا الله).

○ والكلمة السَّواء التي دعا الله تعالى إليها هي:

[آل عمران: ٦٤].

○ وهذه الآية بيّنت معنى التوحيد، وأن تفسيره الصحيح الذي لا يصح غيره أنه عبادة الله وحده لا شريك له، والبراءة من كل ما يعبد من دون الله جل وعلا.

[آل عمران: ٦٤].

[آل عمران: ٦٤].

● قوله تعالى:

○ قال ابن عطية: (واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً هو على مراتب: اعتقادهم فيهم الألوهية وعبادتهم لهم على ذلك، كعزير وعيسى ابن مريم، وبهذا فسّر عكرمة، طاعتهم لأساقفتهم ورؤسائهم في كل ما أمروا به من الكفر والمعاصي والتزامهم طاعتهم شرعاً، وبهذا فسّر ابن جريج؛ فجاءت الآية بالدعاء إلى ترك ذلك كله). هـ.

● ودلّ قوله تعالى:

[آل عمران: ٦٤] على أن من قام

بذلك فهو من المسلمين، ومن أبى وتولّى فليس بمسلم.

قوله: (وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[التوبة: ١٢٨]، وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا

رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ).

● هذا فيه بيان دليل شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان معناها.

● سيأتي شرح ذلك بالتفصيل المناسب إن شاء الله تعالى عند بيان الأصل الثالث.

قوله: (وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[البينة: ٥]).

● هذه الآيات فيها بيان معنى التوحيد وأنه عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا معنى

الإخلاص ، أن لا تجعل لله شريكاً في عبادته.

● مستقيمين على طاعته.

● هذا فيه الدليل على الركن الثاني والثالث من أركان

الإسلام ، وقرنهما بالتوحيد في أسلوب الحصر دليل على عظم شأنهما.

قوله: (وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[البقرة: ١٨٣]).

● فرض صيام شهر رمضان بنزول هذه الآية في السنة الثانية من الهجرة.

● لم يفرض شيء من الصيام على المسلمين قبل الهجرة.

● وبعد الهجرة فرض صيام يوم عاشوراء ؛ ثم نُسخ فرضه وترك على الاستحباب بعد فرض صيام رمضان.

● عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية ؛

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه ؛ فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء ؛ فمن شاء صامه ومن شاء تركه) متفق عليه.

قوله: (وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[آل عمران: ٩٧]).

● هذا فيه بيان أدلة إضافية على أن الصلاة والزكاة والصيام والحج عبادات عظيمة ، وقد

دل على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

● أجمع العلماء على أن هذه العبادات من العبادات العظيمة ؛ فمن أداها لغير الله تعالى

فهو مشرك كافر.

● وسبق بيان أن هذه العبادات العظيمة هي من الشعائر التعبدية الظاهرة وأن المسلمين

يؤدونها لله تعالى ، وأن المشركين يؤدون نظائرها لآلهتهم التي يدعونها من دون الله جل وعلا.

● هذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني عشر: مرتبة الإيمان (٢/١)

قال رحمه الله:

(الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ
 وَهُوَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ،
 وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.
 وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ
 وَشَرِّهِ؛ كُلُّهُ مِنَ اللَّهِ.
 وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

الآية

[البقرة: ١٧٧].

وَدَّلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[القمر: ٤٩].

عناصر الدرس:

- بيان معنى الإيمان
- درجات الإيمان
- معنى شعب الإيمان
- أركان الإيمان
- أدلة أركان الإيمان
- الركن الأول: الإيمان بالله تعالى
- مراتب الإيمان بالله تعالى.

قوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ).

- المرتبة الثانية من مراتب دين الإسلام هي مرتبة الإيمان.
- وهذه المرتبة أخص من سابقتها، فإيمان أصحابها أعظم من إيمان أصحاب المرتبة السابقة، فهم مسلمون مؤمنون، ولذلك يقال: كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.
- **الإيمان** عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.
 - الجنان: هو القلب، **والأركان** هي: الجوارح كالحواس والأطراف وغيرها.
 - ومن أهل العلم من يختصر العبارة فيقول: **الإيمان قول وعمل**.
 - **فيقصد بالقول**: قول القلب أي تصديقه، وقول اللسان.
 - ويقصد بالعمل: عمل القلب وهو العبادات القلبية من المحبة والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والإنابة وغيرها، وعمل الجوارح يشمل البصر والسمع والمشى والتناول والنكاح وغيرها.
 - المؤمنون يتفاضلون في الأقوال والأعمال، ولذلك يتفاضلون في الإيمان.
 - الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بالطاعة، وينقص بفعل المعصية وبترك الطاعات، كما قال الله تعالى:

[المائدة: ٣١]، وقال:

[الأنفال: ٢٢]، وقال:

[الفتح: ٤٤].
 - يزيد الإيمان بالطاعة وهي امتثال الأمر واجتناب النهي؛ فكلما امتثل أمر وجوب أو استجاب زاد إيمانه، وكلما اجتنب محرماً أو مكروها احتساباً زاد إيمانه.
 - والمسلم هو الذي أتى بأصل الإيمان، وقد يأتي بالقدر الواجب منه، وقد يأتي بالكمال المستحب، وقد يقع في الذنوب والمعاصي والكبائر فينقص إيمانه بسبب ذلك.
 - الإيمان على ثلاث درجات:
 - : درجة أصل الإيمان، ويسمى مطلق الإيمان، وهو ما يصح به إسلام العبد؛ فهذا يسمى به مسلماً، وإن كان معه أصل الإيمان، لكن لا يقال هو مؤمن لأن هذا فيه تزكية له لم يبلغها؛ فلا ينفي عنه أصل الإيمان ولا يثبت له وصف حقيقة الإيمان.

قال ابن القيم: (كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقهِ ولا يسمى به عالماً فقيهاً).

وبيان ذلك أنه لا يصح إسلام العبد حتى يشهد الشهادتين، وهذا يستلزم الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم والإتيان بأركان الإسلام الظاهرة، ولا يُتصور أن يشهد أن لا إله إلا الله وهو لم يؤمن بالله.

ولا يكون مسلماً حتى يجتنب نواقض الإسلام، ومن ذلك أنه يصدّق بخبر الله تعالى وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا قدّر من الإيمان لا يصح الإسلام إلا به. ومن هذه الطبقة أصحاب الكبائر من المسلمين، فإن معهم أصل الإيمان وهم قد حققوا الدرجة الأولى من درجات العبودية لله تعالى فاجتنبوا الشرك الأكبر واجتنبوا نواقض الإسلام.

فأصحاب هذه الدرجة لا نكفرهم كما تفعل الخوارج، ولا نقول إنهم بمنزلة بين المنزلتين أي بين الإسلام والكفر كما تقول المعتزلة، بل هم مسلمون ومعهم أصل الإيمان، لكنهم لم يحققوا الإيمان الواجب، ففيهم إيمان وفيهم فسق بسبب عصيانهم. يُسمى صاحب هذه المرتبة عند بعض أهل العلم بالفاسق المَلِي، أي أنه فاسق، وهو على ملة الإسلام.

وهؤلاء نحبهم لإسلامهم ونبغضهم لعصيانهم؛ فيجتمع في حقهم الحب والبغض، كما جمعوا بين الإيمان والعصيان.

والتعامل معهم يكون على ما تقتضيه أحكام الشريعة؛ فيهجر بعضهم في مواضع الهجر، ويتألف بعضهم، ويناصحون ويدعى لهم بالهداية، ونحب لهم الخير ونكره لهم البقاء على العصيان.

○ : درجة كمال الإيمان الواجب؛ فمن حقق الإيمان الواجب بأداء الواجبات واجتناب المحرمات إيماناً واحتساباً فهو مؤمن.

○ : درجة كمال الإيمان المستحب، وتشمل الإيمان الواجب والمستحب، وأصحاب هذه الدرجة هم المحسنون؛ فإنهم تقربوا إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل

واجتنبوا المحرمات والمكروهات، وحققوا الإيمان بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم؛ فكان سعيهم لله، وهذا السعي يشمل الحب والبغض والعطاء والمنع، وهذه جوامع خصال الإيمان؛ كما في سنن أبي داود وغيره من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((

((

○ قال ابن القيم رحمه في إغاثة اللهفان شارحاً هذا الحديث: (فإن الإيمان علم وعمل والعمل ثمرة العلم وهو نوعان: عمل القلب حبا وبغضا ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلا وتركا وهما العطاء والمنع؛ فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالى كان صاحبها مستكمل الإيمان وما نقص منها فكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه).

○ والحب لله أعم من الحب في الله، فهو يشمل محبة كل ما يُحِبُّ الله جل وعلا من الأشخاص والأعمال والأقوال والأحوال والمقاصد والأخلاق والأمكنة والأزمنة وغيرها.

○ وكذلك العطاء لله أعم من أن يكون المراد به عطاء المال، بل هو شامل لكل ما يُعطى من مال وجاه وعلم وجهد ووقت، وكذلك المنع.

○ فمن كان حبه لله، وبغضه لله، وعطاؤه لله، ومنعه لله، فهو مؤمن مستكمل الإيمان؛ نسأل الله تعالى من فضله.

● والمقصود: أن الإيمان على ثلاث درجات: درجة أصل الإيمان، ودرجة الإيمان الواجب، ودرجة كمال الإيمان؛ فالدرجة الأولى هي: مرتبة الإسلام، والدرجة الثانية: مرتبة الإيمان، والدرجة الثالثة: مرتبة الإحسان.

● فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً.

● وكان بعض السلف يوضح هذا الأمر برسم بياني كما روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه رسم دائرة واسعة وقال: هذا الإسلام، ثم رسم دائرة في وسطها أصغر منها وقال: وهذا الإيمان، ثم قال: (فإذا زنا وسرق خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر بالله عز وجل). رواه عبد الله بن الإمام أحمد وابن منده والآجري واللالكائي.

- قال ابن منده: (وهذا مذهب جماعة من أئمة الآثار واحتجوا بخبر عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله عنهم).
- وقال ابن تيمية في رسالته قاعدة في المحبة: (قول النبي صلى الله عليه وسلم: «

« على بابه، لو كان بغضه لما أبغضه الله من هذه الأفعال تاماً لما فعلها؛ فإذا فعلها فإمّا أن يكون تصديقه بأن الله يبغضها فيه ضعف، أو نفسُ بغضه لما يبغضه الله فيه ضعف، وكلاهما يمنع تمام الإيمان الواجب)

● وهذا التفريق بين الإسلام والإيمان استدليل له بآيات من القرآن الكريم:

● منها قوله تعالى:

[الحجرات: ١٤]

● : أن الإسلام المثبت لهم هو مرتبة الإسلام، وأنهم لم يبلغوا مرتبة الإيمان، وهو قول الزهري وإبراهيم النخعي وأحمد بن حنبل واختاره ابن جرير وابن تيمية وابن كثير وابن رجب.

● : أن الإسلام المثبت لهم هو الإسلام الظاهر الذي لا يقتضي أن يكون صاحبه مسلماً حقاً في الباطن، وذلك كما يحكم لأهل النفاق بالإسلام الظاهر، وإن كانوا كفاراً في الباطن؛ لأن التعامل مع الناس هو على ما يظهر منهم؛ فمن أظهر الإسلام قبلنا منه ظاهره ووكلنا سريره إلى الله، فيعامل معاملة المسلمين ما لم يتبين لنا بحجة قاطعة ارتداده عن دين الإسلام.

● وهذا هو قول مجاهد والشافعي والبخاري ومحمد بن نصر المروزي وأبي المظفر السمعاني والبغوي والشنقيطي واستدلوا بقوله تعالى:

قالوا: فهؤلاء لم يدخل الإيمان في قلوبهم بنص القرآن، ومن لم يدخل الإيمان في قلبه فليس بمسلم على الحقيقة، وإنما إسلامه بلسانه دون قلبه.

● وأصحاب القول الأول يقولون إن الإيمان المنفي عنهم هو ما تقتضيه مرتبة الإيمان، فهم لم يعرفوا حقيقة الإيمان وإنما أسلموا على جهل فيثبت لهم حكم الإسلام؛

[[الحجرات: ١٤]] أي لم تباشر حقيقة الإيمان قلوبكم.

• وابن القيم رحمه الله قال بالقول الأول في بدائع الفوائد، وقال بالقول الثاني في إعلام الموقعين.

• والتحقيق أن دلالة الآية تَسْعُ القولين:

○ فإذا أريد بنفي الإيمان في قوله تعالى: [[الحجرات: ١٤]] نفي أصل الإيمان الذي

يُثبت به حكم الإسلام؛ فهؤلاء كفار في الباطن، مسلمون في الظاهر، فيكون حكمهم حكم المنافقين، وقد يتوب الله على من يشاء منهم ويهديه للإيمان.

○ وإذا أريد بنفي الإيمان نفي القدر الواجب من الإيمان الذي مدح الله به المؤمنين وسماهم به مؤمنين؛ فهذا لا يستلزم نفي أصل الإيمان والخروج من دين الإسلام، فيثبت لهم حكم الإسلام، وينفى عنهم وصف الإيمان الذي يطلق على من أتى بالقدر الواجب منه.

○ وهذا كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((! ! !))، قيل: من يا رسول الله؟

قال: ((؛ فهذا نفي عنه حقيقة الإيمان والقدر الواجب منه الذي

مدح الله به المؤمنين وسماهم به، ولا يقتضي أن من فعل ذلك فهو خارج عن دين الإسلام.

○ والذي يوضح هذا الأمر أن قول

قد يقوله الصادق والكاذب؛ فإذا قاله الكاذب فهو منافق مدع للإسلام مخادع للذين آمنوا، يُظهر الإسلام ويبطن الكفر، وإذا قاله الصادق فهو مسلم ظاهراً وباطناً، ومعه أصل الإيمان.

○ ولهذا قال الله تعالى:

[[الحجرات: ١٧]]؛ فعلق وصف الإيمان بالصدق؛ فمن صدق منهم فهو من أهل الصنف الأول،

ومن لم يصدق منهم فهو من أهل الصنف الثاني.

○ وهذا يدل على جواز أن يكون فيمن نزلت فيهم هذه الآيات من هو من أصحاب

الصنف والأول، ومنهم من هو من أصحاب الصنف الثاني، وشملت هذه الآيات الصنفين

كليهما.

- وهذا مثال بديع لحسن بيان القرآن الكريم ، ودلالته على المعاني العظيمة بألفاظ وجيزة.
- والمقصود أن الآية على القول الأول في تفسيرها فيها دلالة على التفريق بين مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان.

- قال محمد بن نصر المروزي : (نقول إن :
 - : أن يخضع لله بالإيمان والطاعة تدينا بذلك يريد الله بإخلاص نية.
 - : أن يخضع ويستسلم للرسول وللمؤمنين خوفا من القتل والسبي ؛
- فيقال قد أسلم أي خضع خوفا وتقية ، ولم يسلم لله ، وليس هذا بالإسلام الذي اصطفاه الله وارتضاه الذي هو الإيمان الذي دعا الله العباد إليه(ا.هـ).
- وكذلك قوله تعالى : ()

[الذاريات : ٣٥ ، ٣٦].

- امرأة لوط كانت مسلمة في الظاهر ، لكنها لم تكن مؤمنة.
- وهذه الآية فيها لطيفة وهي أن المؤمنين موعودون بالنجاة ، والمسلم غير المؤمن ليس له عهد بالسلامة من العذاب ؛ فقد يعذب بمعاصيه في الدنيا وقد يعذب في قبره وقد يعذب في النار ، لكنه لا يخلد فيها.
- وهذا نظيره ما ورد في قصة أصحاب السبت فإن الله تعالى أنجى المؤمنين الذين ينهون عن السوء وسكت عن الساكتين عن إنكار المنكر ، وأخذ الذين ظلموا بعذاب بئيس.
- أصحاب الكبائر من المسلمين ليس لهم عهد أمان من العذاب كما جعل الله ذلك لأهل الإيمان ؛ فقد يُعذبون ، وقد يعفو الله عنهم بفضلهم وكرمهم ، وهذا يبين لك الفرق العظيم بين مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان.
- فالمؤمن له عهد أمان بأن لا يعذبه الله ولا يخلده ، وأنه لا يخاف ولا يحزن ، ولا يضل ولا يشقى ، وقد تكفل الله له بالهداية والنجاة والنصر والرفعة ، وهو في أمان من نقمة الله تعالى وسخطه ، وفي أمان من عذاب الآخرة كما قال الله تعالى :

[الأنعام : ٨٢].

- وما ينبغي أن يعلم أن لفظ الإسلام والإيمان إذا أفردا ؛ فقد يراد بالإسلام ما يتضمن

معنى الإسلام والإيمان كما في قوله تعالى :

[النساء: ٢٥] فإسلام الوجه هنا يشمل معنى الإيمان بلا شك.

• وإذا أطلق لفظ الإيمان شمل معنى الإسلام كما في قوله تعالى :

فإنه يخاطب به جميع المسلمين بلا خلاف بين العلماء.

• وإذا جُمع لفظ الإسلام ولفظ الإيمان أريد بالإسلام المعاني الظاهرة من الاستسلام

والانقياد والشعائر الظاهرة التي تقتضيها مرتبة الإسلام، وبالإيمان المعاني الباطنة من التصديق

والإخلاص والعبادات القلبية التي تقتضيها مرتبة الإيمان.

• وذلك كما في قوله تعالى :

()

[الزخرف: ٦٨ ، ٦٩].

• قال ابن جرير: (وقوله: يا عبادي الذين آمنوا

وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله، وعملوا بما جاءتهم به رسلكم،

يقول: وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلكم عن ربهم على

دين إبراهيم خليل الرحمن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حنفاء لا يهود ولا نصارى، ولا أهل

أوثان).

• ولذلك يقال في تلخيص الجواب: إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا

اجتمعا.

• من عقيدة أهل السنة أنهم لا يكفرون أحداً من المسلمين بكبيرة من الكبائر إلا أن تكون

تلك الكبيرة ناقضاً من نواقض الإسلام.

قوله: (وَهُوَ يَضَعُ وَسِعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَدْيِ عَنِ

الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ).

• البضع ما بين الثلاثة إلى التسعة على أشهر أقوال اللغويين، ويجوز فتح الباء وكسرها،

والكسر أشهر قال الله تعالى :

[يوسف: ٤٢].

• والشعبة تطلق في اللغة على معانٍ، ومنها الفرع الذي يتجزأ من أصله مع اتصاله به كما

[المرسلات: ٣٠].

في قوله تعالى :

• يقال: عصا لها شعبتان، إذا انقسم طرفها إلى قسمين كالغصنين، والأغصان المتشعبة من أغصان كبار تسمى شُعباً ومنه قول طرفة بن العبد:

كَأَنَّ السِّلَاحَ فَوْقَ شُعْبَةٍ بَانَةٍ تَرَى نَفْحًا وَرَدَّ الْأَسِيرَةَ أَسْحَمًا

○ (بانة) نوع من الشجر، وهو واحد شجر البان.

• والمقصود أن الإيمان له أصول وأجزاء، وهذه الأجزاء هي شُعبُهُ وخصاله، وكلما كثرت هذه الشعب كان نصيب المؤمن من الإيمان أكثر.

• في صحيح البخاري:))

• وفي صحيح مسلم:))

((

○ ولفظ "أعلاها" عند محمد بن نصر المروزي وابن حبان والبعثي في شرح السنة وغيرهم.

• وقد يجتمع في المرء بعض شعب الإيمان وبعض شعب النفاق كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:))

((

• وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال:))

قوله: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ كُلُّهُ مِنَ اللَّهِ).

• أركان الإيمان هي أصوله التي ينبي عليها.

• وهذه الأركان هي أصول الإيمان، وشعب الإيمان ترجع إلى هذه الأصول، لأن الشعب

لا بد لها من أصل، فالشعبة تتشعب من أصل.

• وهذا يفيد بالتمثيل أن الإيمان كالشجرة لها أصول وشعب هي أغصانه المتفرعة عنه.

• وقد ورد تشبيه الإيمان بالشجرة كما قال تعالى مشوقاً عباده:

()

() [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

- قال ابن جرير: (مثل الله مثلاً وشبهه شَبْهًا) (كلمة طيبة)، ويعني بالطيبة: الإيمان به جل ثناؤه؛ فالكلمة هنا هي كلمة الإيمان وكلمة التوحيد فهي أصل الإيمان.
- فإذا كان الإيمان راسخاً كان أعلى فروع هذه الشعب هو قول (لا إله إلا الله) لأنه حينئذ يعبر عما وفر في القلب وصدقته الجوارح من معاني الإيمان.
 - لكن إذا كانت هذه الكلمة يقولها من ليس بمؤمن لم ينفعه قولها بلسانه وهو غير مؤمن بها لأنها حينئذ لا تكون قائمة على أصل.
 - والمقصود أن هذه الأركان الستة هي أصول الإيمان ومنها تفرعت شعبه.
 - **وشعب الإيمان** هي أنواع الإيمان وخصاله، ومنها **قلبي وقولي وعملي**.
 - وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم لكل نوع بمثال: فقول (لا إله إلا الله) قول باللسان، وإمطة الأذى عمل، والحياء عمل قلبي.
- قوله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السُّبُطَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[البقرة: ١٧٧]

(الآية).

- في هذه الآية ذكر الله تعالى خمسة أصول من أصول الإيمان، وفي حديث جبريل ذكر مع هذه الأصول الخمسة الإيمان بالقدر.
- والإيمان بالقدر من لازم الإيمان بالله تعالى، لأنَّ القَدْرَ هو من فعل الله جل وعلا، وإذا أُفْرِدَ في بعض المواضع فهو لأهميته.
- وفي بعض الآيات يذكر الله تعالى أصلين من أصول الإيمان وهما الإيمان بالله واليوم الآخر كما في قوله تعالى:

() [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى:

()

() [النساء: ٣٨، ٣٩]،

وهذا كثير في القرآن الكريم.

- وفي بعض المواضع يذكر الإيمان بالله والرسول كما في قوله تعالى :

[النساء: ١٥٢].

- وفي بعض المواضع يذكر لفظ الإيمان بالله وحده كما في قوله تعالى :

()

[النساء: ١٧٥] ، وقوله تعالى :

[الطلاق: ١١].

- وفي بعض المواضع يذكر لفظ الإيمان مطلقاً دون ذكر متعلّقه كما في قوله تعالى :

[المؤمنون: ١].

- فإذا قيل : الإيمان بالله واليوم الآخر ؛ فإن الإيمان بالله يشمل الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسوله وقدره ، فإن هذه الأصول تضاف إلى الله تعالى إضافة لغوية صحيحة ، وأما اليوم الآخر فلا يضاف إليه تعالى ؛ فلا يقال : ويومه الآخر.

- وإذا ذكر الإيمان بالله وبالرسول دخلت بقية أصول الإيمان فيما أخبرت به الرسول ، وكل ما أخبرت به الرسول يجب الإيمان به وتصديقه ، وهذا الأصول العظيمة من الإيمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر والقدر من أعظم ما أخبرت به الرسول.

- وإذا أفرد الإيمان بالله وحده دخل في ذلك جميع ما أمر الله تعالى بالإيمان به.

- وإذا أطلق لفظ الإيمان دون متعلّقه فالمراد به الإيمان الذي أمر الله تعالى به وأحبه ومن أعظم ذلك الإيمان بهذه الأصول العظيمة.

- وهذا يبيّن لك أن هذه الأصول العظيمة يدل بعضها على بعض ، ويستلزم بعضها بعضاً ، وأن من رام أن يفرّق بينها فيؤمن ببعض ويكفر ببعض فهو كافر بها كلها.

- ومن كفر بأصل من هذه الأصول فهو كافر خارج عن دين الإسلام.

- قد يقع عند العبد خطأ ومخالفة في بعض لوازم الإيمان بهذه الأصول مع إيمانه بها على وجه الإجمال ؛ فهذا يكون حكمه بحسب ما خالف فيه ؛ فقد يكون كافراً إذا كان ما

خالف فيه ناقضاً من نواقض الإسلام، وقد يكون مبتدعاً، وقد يكون عاصياً.

قوله: (وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: [القمر: ٤٩]).

• هذه الآية فيها ذكر القدر، وأن الله تعالى قد خلق كل شيء بقدر، فمن آمن بذلك فقد آمن بالقدر.

• والإيمان بالقدر من أصول الإيمان العظيمة المذكورة في حديث جبريل نصاً.

أركان الإيمان

الإيمان بالله تعالى:

• الإيمان بالله تعالى يستلزم الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، والقيام بواجب هذا الإيمان اعتقاداً وقولاً وعملاً.

• فأما الإيمان بوجود الله تعالى فلم يخالف فيه إلا قلة من الناس، وهم الملاحدة وهم طوائف؛ فمنهم الدهرية الطبايعية الذين ينسبون كل شيء للطبيعة، ومنهم الشيوعية والداروينية، ومنهم البهائية والباوية وهاتان الفرقتان من فرق الشيعة.

• ومن الملاحدة من يقرّ بوجود الله تعالى لكنّه يفسّر وجوده تفسيراً خاطئاً كالدهرية الإلهية وهم طائفة من الفلاسفة يزعمون أن وجود الرب تعالى وجودٌ مطلق لا صفة له.

• وهؤلاء الذين ينكرون وجود الله تعالى من أعظم الناس اضطراباً وتناقضاً، فإن الإيمان بوجود الله تعالى أمر تقتضيه الفطرة فمن أنكره وقع في التناقض والاضطراب ولا بد.

• وقد حكى الله تعالى عن فرعون وهو من أشهر من أظهر القول بإنكار وجود الله تعالى أنه وقع في هذا الاضطراب والتناقض؛ فأنكر وجود الله تكبراً وإباء مع يقينه بوجوده في قرارة نفسه، ولما مسّه عذاب الرجز سأل موسى أن يدعو ربّه ليكشف عنه العذاب.

○ قال الله تعالى:

()

()

○ وقال تعالى :

()

() الأعراف: ١٣٤ ، ١٣٥.

● والملاحظة أضعف الناس حجة إذا ناظرهم من يحسن المناظرة كما ذكر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ونبأ محاجة الملك له قال الله تعالى :

[البقرة: ٢٥٨].

● وأما الإيمان بربوبية الله تعالى فهو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المالك المدبر المحيي المميت.

● وهذا الإقرار لا يدخل العبد في الإسلام بل يلزمه للدخول في الإسلام توحيد الألوهية بأن يعبد الله وحده لا شريك له ؛ فإن المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بوجود الله ، ويقرون بربوبيته لكنهم لم يوحدوا الله تعالى في العبادة فلم يدخلوا في دين الإسلام.

● وأما الإيمان بألوهية الله تعالى ؛ فهو الإقرار بأنه لا يستحق العبادة إلا الله جل وعلا ؛ إقراراً جازماً يتبعه العمل ؛ ولا يكون مؤمناً بألوهية الله تعالى إلا من كفر بما يُعبد من دون الله ، وَعَبَدَ الله وحده لا شريك الله.

● وهذه المرتبة العظيمة هي التي وقعت فيها الخصومة بين الرسل وأقوامهم ، وهي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل الناس حتى يؤمنوا بها وهي مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

● وأما الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا فيكون بالإقرار الجازم بما أثبتته الله تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل إقراراً جازماً يتبعه العمل بمقتضاه.

○ فنؤمن بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا وبما دلت عليه من المعاني الجليلة وأنه لا شبيه له فيها ، وأن الله تعالى له الكمال المطلق فلا يلحقه نقص في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله ،

قد تنزّه عن الشرور والنقائص والعيوب وسائر ما لا يليق بكماله المقدس.

○ وتنبّه لله تعالى بمقتضى أسمائه وصفاته :

فإيماننا بأسماء السميع البصير واللطيف الخبير والعليم المحيط ونحوها من الأسماء الحسنى التي تدل على العلم والإحاطة تقتضي منا مراقبة الله تعالى في شؤوننا كلها، فنعبده جل وعلا وكأنا نراه، فنأتي الطاعات ونجتنب المعاصي ونحن نعتقد أن الله تعالى يرانا ويعلم سرنا وعلايتنا، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا.

وإيماننا بصفات الرحمة والكرم والإحسان يقتضي تعظيم محبة الله جل وعلا وتعظيم الرجاء في فضله ورحمته وبركاته.

وإيماننا بصفات القوة والقدرة والقهر يقتضي تعظيم الخوف من الله جل وعلا فلا نقدم على معصيته ولا نتخلف عن طاعته، ولا نياس من نصره.

وكل اسم من الأسماء الحسنى وصفة من الصفات العليا لها آثارها العظيمة الجليلة، ولها مقتضياتها من أنواع العبودية لله جل وعلا.

● وهذه المرتبة من الإيمان خالف فيها طوائف من الفرق الضالة وهي على صنفين : معطلة ومشبهة.

○ : فهو وصف جامع لفرقٍ نَفَتْ أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا أو

نفت بعضها وهذا هو معنى التعطيل، ومن أشهر هذه الفرق : الجهمية والمعتزلة والكلابية والمازيرية والأشاعرة، وهي على درجات في التعطيل.

○ : فهم الذين شبهوا الله تعالى بخلقه، والتشبيه وقع فيه بعض الأشخاص

الذين اشتهر عنهم القول به ومنهم من نص السلف على كفره كداود الجواربي والمغيرة بن سعيد العجلي وهشام بن الحكم الرافضي وهشام الجواليقي.

○ وكان في بعض قدماء الروافض تشبيهه ومن فرقهم المشبهة : السبئية والمغيرة والسحابية

الذين يزعمون أن علياً في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه.

○ وممن وقع في التشبيه من الفرق المشتهرة الكرامية وغلاة الصوفية من الحلولية والاتحادية

وهؤلاء من أعظم الفرق تشبيهاً وكفراً والعياذ بالله، ولهم أقوال شنيعة في الكفر والتشبيه.

الدرس الثالث عشر: مرتبة الإيمان (٢/٢)

قال رحمه الله:

(الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِيمَانُ
 وَهُوَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ،
 وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.
 وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَالْقَدَرَ خَيْرِهِ
 وَشَرِّهِ؛ كُلُّهُ مِنَ اللَّهِ.
 وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

الآية

[البقرة: ١٧٧].

وَدَّلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[القمر: ١٤٩].

عناصر الدرس:

- الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.
- الركن الثالث: الإيمان بالكتب.
- الركن الرابع: الإيمان بالرسل.
- الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.
- الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

- الملائكة، جمع مَلَك، وأصله: مَأْلَك، ، والألوكة والمألك والمألكة: الرسالة.
 - قال عدي بن زيد: أبلغ النعمان عني مألكاً أنه قد طال حبسي وانتظاري
 - أصل لفظ "الملاك": "مألك"، ثم قُدِّمَت اللام ونقلت حركة الهمزة إليها ف قيل: (مَأْلَك)، ثم قلبت الهمزة ألفاً للتسهيل ف قيل: ملاك، وعلى الأصل قول الشاعر:
- فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأَكٍ تَبَارَكَ مَنْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مُرْسِلُهُ
- والإيمان بالملائكة أصل عظيم من أصول الإيمان، وله ثمرات عظيمة، وفوائد جلييلة.
 - قال ابن القيم رحمه الله: (لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحاً أو تلويحاً أو إشارة وأما ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر).
 - وهم خُلِقُوا من خلق الله تعالى، خلقهم الله من نور كما في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

..))

- المارج هو: لهب النار المختلط بسوادها، وسمي مارجاً لاضطرابه واختلاطه وخفته.
 - وقد وصف الله تعالى الملائكة في كتابه الكريم بأنهم
- وَحُلُقَاءٌ، قَدْ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَحَبَّتِهِ وَشَرَّفَهُمُ بِطَاعَتِهِ، وَعَصَمَهُمُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَهَمُ
- [التحريم: ٢٦].

()

• ووصفهم بأنهم

[الأنبياء: ١٩، ٢٠]، لا يستحسرون أي لا ينقطعون عن عبادته من إعياء ولا

ملل ولا ضعف.

- وهم متفاوتون في الخلق فمنهم من هو عظيم الخلقه جداً ومنهم من هو دون ذلك كما وصف الله تعالى تفاضلهم في الخلق في قوله تعالى:

[فاطر: ٢١].

- وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

- وفي سنن أبي داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

)).

- وهم خلق كثير لا يحصيهم إلا من خلقهم سبحانه وتعالى
- في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المعراج أن (البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة).

- وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم إذ قال لهم: ((قالوا: ما نسمع من شيء. قال نبي الله صلى الله عليه وسلم:))

((. رواه محمد بن نصر المروزي والطحاوي وابن أبي

حاتم وابن أبي عاصم والطبراني وغيرهم كلهم من حديث عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم. وصححه الألباني.

- وفي مسند الإمام أحمد و سنن الترمذي والبيهقي وتفسير البغوي من حديث إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:))

((لوددت أني

كنت شجرةً تعضد).

○ (لوددت أني كنت شجرةً تعضد) أي تُقَطَّع، وقيل: يُنْثَرُ وَرَقُهَا، وهذا من كلام أبي

ذر، كما بين ذلك الحفاظ.

- وقد وكلهم الله تعالى بأعمال يعملونها، وهم حفيظون لأعمالهم قائمون بها على أتم وجه كما أمرهم الله؛ فمنهم الموكَّل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، ومنهم الموكَّل بالقطر

والنبات وهو ميكائيل، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل، ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ومنهم ملائكة الرحمة، ومنهم ملائكة العذاب، ومنهم الموكل بالأرحام.

● ومنهم الكتبة الحافظين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ()

() () (الانفطار: ١٠- ١٢)، وقد مكّنهم الله تعالى من معرفة أعمال العبد كلها حتى ما يهمّ به قبل أن يتحدث به أو يعمل به كما دل عموم قوله تعالى: ، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:)) :

((رواه عبد

الرزاق وأحمد والبخاري، وفي رواية عند أحمد ومسلم: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)) :

((.

○ من جراي: أي لأجلي.

● ومنهم الملائكة السياحون الذين يتتبعون مجالس الذكر.

● ومنهم ملائكة سياحون موكلون بتبليغ النبي صلى الله عليه وسلم سلام من يسلم عليه من أمته كما في مصنف ابن أبي شيبة وسنن النسائي وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:))

((.

● ومنهم الحفظة الذين يحفظون العبد من الآفات التي قد لا يراها ولا يعلم بها فيصرفونها عنه ما لم يقدّر الله له شيئاً من ذلك، ولو وكلّ الله تعالى الناس إلى أنفسهم لم يستطيعوا حفظ أنفسهم.

● وللملائكة أعمال كثيرة لا يحصيها إلا من خلقهم، وهم يحبّون ويغضون؛ يحبون من يحبه الله، ويغضون من يغضه الله، ويستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم بخير، وقد ورد في فضائل بعض الأعمال أن الملائكة تدعو لأصحابها، كما ورد أنهم يدعون على بعض العصاة

من أهل الكباثر، ويلعنون بعضهم.

- والمؤمنون يؤمنون بالله وملائكته كما أثنى الله تعالى عليهم بقوله :

البقرة: ٢٨٥.

- والإيمان بالملائكة يكون بالتصديق بوجودهم وبأعمالهم وبما أخبر الله تعالى عنهم وأخبر به عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحبتهم لمحبة الله تعالى لهم بلا مجاوزة للحد؛ فلا يُرفعون فوق منزلتهم التي جعلها الله لهم ولا يُدعون من دون الله ولا يستشفع بهم ولا يصرف لهم أي نوع من أنواع العبادة.

- وأما المخالفون في الإيمان بالملائكة فهم أصناف ومن أشهرهم :

- الذين أنكروا وجود الملائكة، وهؤلاء هم الملاحدة، وكذلك بعض الذين لديهم نزعات إلحادية مع إقرارهم بوجود الله، لكنهم لا ينسبون إليه شيئاً، ويفسرون كل ما يحدث بالظواهر الطبيعية، حتى خلق الإنسان والأفلاك ينسبونه للطبيعة، فمن هؤلاء من يفسر الملائكة بقوى الخير والصفات النفسانية الحسنة في الإنسان، ويفسر الشياطين بقوى الشر والحُصَال الشريرة.

- الفلاسفة القدماء الذين يعتقدون أن الملائكة هي التي تتصرف في الكون وتدبره، وهم لا يسمونهم الملائكة وإنما يسمونهم الأرواح والعقول المدبرة والنفوس الخيرة، ولذلك يجوزون دعاء الأجرام العلوية من الكواكب السبعة وغيرها، ويزعمون أن من توجه إليها بالدعاء؛ فإن تلك الأرواح تنزل عليه وتقضي حوائجه.

ولذلك يكون في كلامهم وكلام من يتلقى عنهم "روحانية عطار" و"روحانية الزهرة" ونحو ذلك يجعلون للكواكب روحانيات ونفوساً مدبرة ومؤثرة ومتصرفة في بعض شؤون العالم، وهذا كفر بالله جل وعلا.

وهذه العقيدة تلقفها بعض السحرة الذين تعاطوا التنجيم، ولذلك يتقربون إلى الكواكب ويزعمون أنهم يخاطبون الملائكة؛ وهم في الحقيقة إنما يدعون الشياطين، كما قال الله تعالى:

()

()

() [سبأ: ٤٠ - ٤٢].

وهذا نظير ما يحصل لبعض عبّاد الأصنام والأوثان فإنهم ربما دعوا بعض تلك المعبودات فخرجت عليهم بعض الشياطين متمثلة لهم على شكل بعض المخلوقات المرئية فتنة لهم.

○ الذين يبغضون بعض الملائكة ويعادونهم، ومن هؤلاء اليهود

المغضوب عليهم الذين أعلنوا بغضهم لجبريل عليه والسلام وعداوتهم له، وفيهم نزل قول الله تعالى:

()

() [البقرة: ٩٧، ٩٨].

○ الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله، ولديهم اعتقادات أخرى كفريّة

باطلة في الملائكة، ومن هؤلاء مشركو العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله:

()

()

()

() [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩] قوله:

()

()

()

()

()

()

()

[الزخرف: ١٥ - ٢٢] وقوله:

[الصفات: ١٥٨].

قال مجاهد وقتادة: قالت كفار قريش الملائكة بنات الله، وأنه تزوج من سروات الجن،
والملائكة بناته منهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

○ الذين يدعون الملائكة من دون الله تعالى ويطلبون منهم الشفاعة
وقضاء الحوائج وهذا كله من العبادة التي من صرفها لغير الله عز وجل فهو مشرك كافر؛
قال الله تعالى:

()

[آل عمران: ٧٩، ٨٠].

● والمشركون يغرّب بعضهم بعضاً، ويلبسون على أنفسهم، ومنهم من يزعم أنه يدعو
الملائكة وهو إنما يدعو الشياطين: كما قال الله تعالى:

()

[سبأ: ٤٠، ٤١].

○ وقال تعالى:

()

()

[الإسراء: ٥٦، ٥٧].

قال ابن جرير: (وقيل: إن الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا
القول، كانوا يعبدون الملائكة وعزيراً والمسيح)، هذا أحد الأقوال في تفسير الآية.
○ وقال تعالى:

[النجم: ٢٦].

[الأنبياء: ٢٨].

○ وقال تعالى:

○ وقال تعالى:

()

[سبأ: ٢٢، ٢٣].

- فالتوجه إلى غير الله تعالى بالدعاء وطلب الشفاعة شرك أكبر مخرج عن الملة والعياذ بالله؛ سواء أكان الدعاء لملك أم نبي أم ولي أم غيره.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب

- المراد بالكتب: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله عليهم السلام، ومنها صحف إبراهيم، والتوراة التي أنزلها الله على موسى، والزبور الذي أنزله على داوود والإنجيل الذي أنزله على عيسى، والقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وعلى أنبياء الله وسلم.
- فنؤمن بما أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم، ونؤمن بما أنزل على الأنبياء من قبله ما علمنا من ذلك وما لم نعلم، ونؤمن بأنها حق من عند الله جل وعلا.
- وقد أثنى الله تعالى على عباده المتقين بذلك في أول سورة البقرة فقال: ()

()

()

()

[البقرة: ١ - ٥]

- وقد أمر الله تعالى نبيه بالإيمان بكتبه فقال:

[الشورى: ١٥] من كتاب عام في جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى.

- قال ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلاً أو زبوراً أو صحف إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعضه).
- وأمر الله تعالى المؤمنين بذلك فقال:

[النساء: ١٣٦].

- فالإيمان بالكتب فرض واجب، وهو من أصول الإيمان العظيمة.
- واليهود والنصارى وقعوا في التكذيب ببعض الكتب وإنكار بعض ما جاء فيها، كما

ذمهم الله تعالى بقوله :

[البقرة: ١١٣].

• قال ابن كثير: (قال: إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به، أي: يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة، فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى، وما جاء من التوراة من عند الله، وكل يكفر بما في يد صاحبه).

• والكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله عليهم السلام جاءت بالأمر بتوحيد الله جل وعلا، والنهي عن الشرك، وكل ما أخبر الله تعالى به فيها فهو حق وصدق.

• وأما الشعائر التعبدية فقد جعل الله لكل أمة شريعة يتبعون بها لا تلزم غيرهم، إلا الشريعة التي بعث الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم وهي شريعة الإسلام فهي عامة لجميع المكلفين من الإنس والجن إلى قيام الساعة كما قال الله تعالى :

[سبأ: ٢٨]

وقال :

[الأعراف: ١٥٨].

• وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((

الإسلام ناسخة لما قبلها من الشرائع وهي عامة لجميع المكلفين.

• وقال الله تعالى :

[المائدة: ٤٨] ، قال ابن عباس : سبيلاً

وسنة، وقال قتادة: الدين واحد والشريعة مختلفة.

○ قال ابن جرير: (للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل).

الركن الرابع: الإيمان بالرسول

• الإيمان بالرسول أصل عظيم من أصول الإيمان؛ فهم الواسطة في تبليغ رسالات الله تعالى؛ وهم الذين بينوا للناس الهدى ودين الحق، أرسلهم الله تعالى رحمة بعباده :

○ ليبلغوهم رسالات ربهم، ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم المفضي إلى رضوان الله تعالى وجنات النعيم، ويبشروا بذلك من آمن بهم وأطاعهم واتبع سبيلهم.

○ وليحذروا من أسباب سخط الله وعذابه.

○ وليقيموا الحجة على الناس بالبلاغ، فمن بلغت الحجة وجب عليه الإيمان والاتباع، فإن كذب وتولى استحق العذاب الأليم، ولم تكن له حجة عند ربه.

● وقد جمع الله مقاصد إرسال الرسل الثلاثة في قوله تعالى:

[النساء: ١٦٥]؛ فإن الله تعالى لا يعذب أحداً على مخالفة

حتى تقوم عليه الحجة الرسالية كما قال الله تعالى:

[الإسراء: ١٥].

● وقد أوجب الله تعالى على رسله البلاغ المبين وهو البين الواضح الذي لا لبس فيه، فقال

[النحل: ١٣٥].

تعالى:

● وشهد الله تعالى لهم بأنهم أدوا ما أوجب الله عليهم فقال:

()

()

[الأحزاب: ٣٨ - ٤٠].

فشهد الله لأنبيائه بأنهم بلغوا رسالات ربهم البلاغ المبين.

● ولذلك أرسل الله تعالى كل رسول بلسان قومه ليبين لهم وجعل رسولهم منهم فقال

تعالى:

[إبراهيم: ٤].

● وأعظم الرسل بيانا وأفصحهم لساناً وأحسنهم هدياً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،

وهذا أصل عظيم من أصول الدين، وهو اعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين البيان

الكامل الذي يحبه الله ويرضاه، والذي تقوم به الحجة، وتتضح به المحجة فلا يزيغ عنها إلا

هالك.

- والبيان الكامل يقتضي ثلاثة أمور متلازمة :
 - : العلم التام بكل ما يلزم بيانه.
 - : النصح والأمانة.
 - : الفصاحة في المنطق وحسن تبليغ الرسالة لمن أرسله الله إليهم.
 - فمن قدح في أمر من هذه الأمور الثلاثة فقد قدح في بيان النبي صلى الله عليه وسلم.
 - ولو فقه أصحاب الأهواء هذا الأمر حق الفقه لسلموا من شر عظيم، وسلموا للنبي صلى الله عليه وسلم بحسن بيانه وكمال نصحه وبراعة فصاحته، ولم يدخلوا في حديثه متأولين محرفين زاعمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد ظاهر ما يدلّ عليه كلامه من أمور كبرّ عليهم اعتقادها، حتى صرّح بعضهم أن ظواهر النصوص غير مرادة، وأنه إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل، فارتكبوا بسبب ما زينه لهم الشيطان بدعاً عظيمة شنيعة، ولولا ما عرّضَ لبعضهم من الشبه وما يعذر به بعضهم من الجهل في بعض المسائل لخرجوا من الدين بهذا الاعتقاد والعياذ بالله.
 - ومن زعم أن الله تعالى لم يرسل رسولاً فهو كافر ظانّ بالله تعالى ظنّ السوء زاعم أنّ الله تعالى يترك عباده سدى، يخلقهم ويعبدون غيره، ويقرهم على ذلك! قال الله تعالى:

[القيامة: ٣٦]، وقال:

[ص: ٢٧]، وقال:

[الزمر: ٦٧]، وقال:

()

() [غافر: ٧٠ - ٧٢].
 - الكتاب اسم جنس فيعم جميع الكتب.
 - والذي أرسل الله به الرسل هو دين الإسلام بمعناه الشرعي العام، وهو التوحيد.
 - فالأنبياء دينهم واحد وهو الإسلام وشرائعهم شتى، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((
- «، وفي رواية »

- و(الإخوة لعلات) هم الإخوة من أب واحد وأمها شتى.
- قال ابن القيم رحمه الله: (النبي شَبَّهَ دين الأنبياء الذين اتفقوا عليه من التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه بالأب الواحد لا شريك جميعهم فيه، وهو الدين الذي شرعه الله لأنبياؤه كلهم؛ فقال تعالى:

[الشورى: ١١٣]؛ وقال البخاري في صحيحه: باب ما جاء أن دين الأنبياء واحد وذكر هذا الحديث، وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد فهو بمنزلة الأب الواحد، وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف؛ فهي بمنزلة الأمهات الشتى) ١.هـ.

- وفي باب الإيمان بالرسول مسائل عظيمة ينبغي لطالب العلم أن يتفقه فيها.
- والمقصود هنا بيان أن الإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان، وأنه يجب علينا أن نؤمن بهم جميعاً ولا نفرق بين الله ورسله ولا نفرق بين أحد من رسل الله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ فمن كذب برسول منهم فقد كذب بهم جميعاً لأن دعوتهم واحدة وهي دين الإسلام وهم كلهم صادقون فيما يخبرون به عن ربهم جل وعلا فمن كذب أحداً منهم فقد كذبهم كلهم، وهو كافر حقاً لأنه لم يُسَلِّمْ لله تعالى، ولم يسلم لأمره بتصديق رسوله عليهم السلام.
- قال الله تعالى:

()

()

() [النساء: ١٥٠]-

١٥٢.

- وأثنى الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بقوله:

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

• الإيمان باليوم الآخر أصل عظيم من أصول الإيمان، من كذب به كفر، وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده في الدنيا، وفيه تقوم الساعة، فالمكذب به مكذب بالساعة ومكذب بالبعث ومكذب بالحساب والجزاء، وهذه كلها أصول عظيمة من أصول الإيمان.

• هذا الأصل العظيم فيه مسائل عظيمة مبسطة في كتب الاعتقاد، والمهم في هذه المرحلة معرفة هذه المباحث على سبيل الإجمال.

• ومن الإيمان باليوم الآخر:

○ الإيمان بما يكون في البرزخ بين الحياة الدنيا والآخرة من عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

○ وقيام الناس لرب العالمين في يوم الفصل.

○ والإيمان بالحوض والشفاعة ونصب الموازين ونشر الصحف ونصب الصراط ودخول الكفار والمنافقين وبعض أصحاب الكبائر من المسلمين في النار، ثم يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ويبقى الكفار والمنافقون النفاق الأكبر خالدين في نار جهنم لا يخفف عنهم العذاب وما هم منها بمخرجين، والعياذ بالله.

○ ونؤمن بأن الجنة حق، وأن الله تعالى قد أعدّها لعباده المؤمنين يدخلونها برحمته وفضله، وهم فيها خالدون، في النعيم المقيم الذي لا ينقطع ولا ينقص ولا يتكدر.

○ والجنة على درجات، والمؤمنون يتفاضلون فيها تفاضلاً عظيماً بحسب أعمالهم.

○ والمؤمنون يرون ربهم عز وجل في عرصات القيامة وبعد ما يدخلون الجنة، ورؤية الله تعالى هي أعلى مراتب النعيم وأعظم الفضل وغاية المطالب عند المؤمنين الذين أخلصوا له الدين، نسأل الله تعالى من فضله.

○ وهم على مراتب ودرجات في الرؤية بحسب قربهم من الله عز وجل.

• والمخالفون في هذا الأصل على درجتين:

○ الكفار المكذبون بالبعث، وهم طوائف من المشركين الوثنيين

والملاحدة، وبعض الفلاسفة القدماء الذين يزعمون أن الحشر للأرواح دون الأجساد.

وهؤلاء كلهم كفار لجحدهم معلوماً من الدين بالضرورة، وتكذيبهم خبر الله عز وجل وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم.

○ : المبتدعة الذين أنكروا بعض تفاصيل ما يكون في اليوم الآخر من الحوض والشفاعة ورؤية المؤمنين لربهم عز وجل ؛ فهؤلاء مَنْ بلغته منهم الأحاديث الصحيحة وهو عارف بمعناها عارف بصحتها ثم كذب بها فهو كافر لتكذيبه النبي صلى الله عليه وسلم.

○ ومن عرضت له شبهة تأول بسببها معنى غير ما أجمع عليه السلف الصالح ودل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى لسان العرب فهو مبتدع ضال، ولا يكفر لأجل الشبهة التي عرضت له، ولأنه لم يقصد تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه على خطر عظيم بسبب ما وقع فيه من البدعة.

الركن السادس: الإيمان بالقدر

● الإيمان بالقدر أصل عظيم من أصول الإيمان، والقدر هو تقدير الله تعالى لكل شيء وهو يتضمن علم الله تعالى به وكتابته له في اللوح المحفوظ ومشيتته بوقوعه وعموم خلقه لكل شيء.

كما قال تعالى :

{القم: ٤٩}.

وقال :

{الفرقان: ٢}.

وقال :

{الرعد: ٨}.

وقال :

{الطلاق: ١٣}.

● فالإيمان بالقدر يتضمن أربع مراتب من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر :

○ : الإيمان بعلم الله تعالى الأزلي بكل شيء كما قال تعالى :

{الأفعال: ١٧٥}.

○ : الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، والكتابة من أدلة

العلم، كما قال الله تعالى :

[الأُنعام: ٥٩] وقال تعالى:

[يونس: ٦١].

○ وقال تعالى:

[هود: ٦] وقال تعالى:

[الحج: ١٧٠] وقال تعالى:

[الأُنعام: ٣٨].

○ وفي صحيح البخاري وغيره من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما أنّ ناساً من أهل اليمن قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: جئناك لتتفقّه في الدين، ولنسألك عن أوّل هذا الأمر ما كان؟ قال:))

..((

○ الذكر هنا هو اللوح المحفوظ وهو المراد في قوله تعالى:

[الأنبياء: ١٥].

○ : الإيمان بمشيئة الله تعالى، وأنه لا يكون إلا ما يشاؤه الله عز وجل، فما

شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى:

[الإنسان:

٣٠] وقال: [الأُنعام: ٣٥] وقال:

[الأُنعام: ١١٢] وقال: [يونس: ١٠٠]، وقال:

[الحج: ١٤]، وقال:

[الحج: ١٨]، وقال:

[النور: ٤٥] وأدلة المشيئة في الكتاب والسنة كثيرة جداً.

○ **والمشيئة** هي الإرادة الكونية، فإن الإرادة تطلق في الكتاب والسنة ويراد بها الإرادة

الكونية المرادفة للمشيئة، وتطلق ويراد بها الإرادة الشرعية التي هي الأمر والنهي.

فأما **الإرادة الكونية** فإنها نافذة ولا بدّ؛ لأن ما شاء الله كان وما شاء لم يكن.

وأما **الإرادة الشرعية** وهي الأمر والنهي فقد يمثله العباد وقد لا يمثلون وهو مدار الابتلاء والاختبار.

○ لو شاء الله تعالى أن يجعل عباده كلهم مؤمنين مطيعين لفعل ، ولو شاء أن يجعلهم كلهم عصاة لفعل ، لكنه تعالى ابتلاهم بالأمر والنهي وجعل لهم قدرة واختياراً فمن امتثل بقدرته واختياره أثابه الله ، ومن عصى الله بقدرته واختياره استحق العقاب.

○ : الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء ، كما قال تعالى :

[الزمر: ٦٢] ، وقال تعالى :

[الصافات: ٩٦].

- فمعنى القدر يتضمن هذه المراتب الأربعة.
 - الله تعالى هو الخالق وما سواه مخلوق ، فأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله غير مخلوقة ، وما سوى الله فإنه مخلوق ، وذلك أن الله تعالى له الخلق والأمر كما قال تعالى :
- [الأعراف: ٥٤] فلذلك فإن القرآن غير مخلوق ؛ لأنه كلام الله تعالى ، وكلام الله غير مخلوق.

- والقدر لا يعارض الشرع ، فإن العبد مكلف حقيقةً وله قدرة وإرادة فيطيع ويعصي باختياره ، وله قدرة يتمكن بها من فعل ما يستطيع ، والعبد لا يكلف إلا ما يستطيع كما قال تعالى :

[التغابن: ١٦].

- مما يدفع عن العبد كثير من الإشكالات والتحيرات التي وقع فيها الضالون في هذا الباب من المشركين والمبتدعة أن يعرف العبد معاني أسماء الله الحسنى ، ويتفقه في آثارها في الخلق والأمر ؛ فإن فقه الأسماء الحسنى عصمة من الضلالة في كثير من الأبواب التي ضل فيها الضالون.

- فمن آمن بأن الله تعالى هو الإله الودود الحميد العدل ، الذي لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ؛ تبين له ضلال الجبرية الذين يزعمون أن العصاة مجبورون على عصيانهم.

- ومن آمن بأن الله تعالى هو العليم القدير والملك الحق وأنه خالق كل شيء وأنه فعال لما يريد وأنه هو الحكيم البصير يهدي ويثيب رحمة منه وفضلاً ، ويضل ويعاقب من يستحق

العقاب حكمة منه وعدلاً ، تبين له ضلال القدرية في هذا الباب .

● جعل الله تعالى لقضاء الخير أسباباً من فعلها أثابه على ذلك بقضاء الخير ، وجعل لقضاء الشر أسباباً من فعلها فقد تعرض لقضاء الشر والعياذ بالله ؛ كما جعل للتوفيق والخذلان أسباباً بينها في كتابه الكريم وبينها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته التي هي كالمحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

● فمن تمسك بالكتاب والسنة واعتصم بالله هدي إلى صراط مستقيم ، ومن أعرض وخاصم ربه وتعمق في القدر مخاصماً ومعتزلاً كان على شفا هلكة ، ولم يزد إلا حيرة وضلالاً .

● فاليقين والطمأنينة والعلم النافع والبصيرة لا تكون إلا بالتسليم لله تعالى والإيمان به وإحسان الظن به جل وعلا والرضى به رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالإسلام ديناً .

● فمن كان كذلك ذاق طعم الإيمان وهدي إلى الصراط المستقيم في هذا الباب وغيره .

● واعلم أن المخالفين في باب الإيمان بالقدر أنواع :

○ المنكرون للقدر جملة ، ومن هؤلاء طوائف من المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وغلاة القدرية الذين أنكروا علم الله بأفعال العباد قبل صدورها منهم ، وهم أتباع معبد الجهني ، وهؤلاء كفار وقد حدثت هذه الفرقة في أواخر عصر الصحابة ، وذكروا لعبد الله بن عمر ؛ فكان ذلك سبب تحديته بحديث جبريل الطويل .

○ في صحيح مسلم وغيره عن يحيى بن يعمر قال : (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ؛ فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ؛ فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ؛ فوفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاستفتته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ؛ فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ؛ فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتفقرون العلم - وذكر من شأنهم -

وإنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ؛ فقال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني ، والذي يخلص به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً ؛ فأنفق ما

قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

○ ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياض الثياب شديدٌ سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحدٌ... فذكر حديث جبريل الطويل.

○ وقد نُقل عن بعض السلف أنهم قالوا: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصِّمُوا وإن أنكروه كفروا.

○ : المخاصمون والمعتضون، وهؤلاء إمامهم إبليس لعنه الله، وقد وقع في محاصمة الله تعالى في القدرِ طوائف من المشركين والزنادقة وبعض أهل البدع.

وقد يقع في شيء من ذلك بعض عصاة المسلمين وهو على خطر في هذه المنازعة؛ والواجب الإيمان بالقدر والتسليم لله تعالى.

○ وما أحسن ما قال ابن القيم رحمه الله: (فأكثر الخلق، بل كلهم إلا مَنْ شاء الله يظنون بالله غير الحق ظنَّ السوء، فإن غالبَ بنى آدم يعتقد أنه مبخوسُ الحق، ناقصُ الحظ وأنه يستحق فوقَ ما أعطاهُ الله، ولسان حاله يقول: ظلمنى ربِّي، ومنعنى ما أستحقُّه، ونفسه تشهدُ عليه بذلك، وهو بلسانه يُنكره ولا يتجاسرُ على التصريح به، ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة دفاينها وطواياها، رأى ذلك فيها كأمناً كُمونَ النار في الزناد، فاقدح زنادَ مَنْ شئتُ يُنبئك شرَّاره عما في زِناده، ولو فتشت مَنْ فتشته، لرأيت عنده تعتُّباً على القدر وملامة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقيلٌ ومستكثيرٌ، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك؟

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَآيِي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا

○ وقال: (فليعتنِ اللبيبُ الناصحُ لنفسه بهذا الموضوع، وليتُبَّ إلى الله تعالى وليستغفره كلَّ وقت من ظنه بربه ظنَّ السوء، وليظنَّ السوءَ بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظنَّ السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغنيِّ الحميد، الذي له الغنى التام، والحمدُ التام، والحكمةُ التامة، المنزَّه عن كل سوءٍ في ذاته وصفاته، وأفعاله وأسمائه، فذاتُه لها الكمالُ المطلقُ من

كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كُلهَا حِكْمَةٌ ومصْلحةٌ، ورحمةٌ وعدلٌ،
وأسماءُه كُلهَا حُسْنٌ (١).هـ.

○ النوع الثالث: الذين ضلوا في باب المشيئة وهم طائفتان من الفرق الضالة:

: القدرية ومن أشهرهم المعتزلة ومتأخروا الشيعة.

: الجبرية ومن أشهرهم الأشاعرة والماتريدية.

- **ومما ينهى عنه في باب القدر الخوض في تعليل أفعال الله جل وعلا بلا علم؛ فمن تكلم في هذا الباب العظيم بلا علم كان على خطر من الضلال، وهذا هو منشأ ضلال الفرق التي ضلت في هذا الأصل العظيم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تائيته:**
- وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلّة
فإنهم لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية
هذا والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الرابع عشر: مرتبة الإحسان (٢/١)

قال رحمه الله:

(الْمُرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: الْإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

عناصر الدرس:

- بيان معنى الإحسان
- ميزان الإحسان
- فضل الإحسان
- درجات الإحسان
- خصال الإحسان في العبادات
 - إحسان الوضوء
 - إحسان الصلاة
 - إحسان النفقة
 - إحسان الجهاد في سبيل الله

بيان معنى الإحسان

قوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّلَاثَةُ: الْإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

• المرتبة الثالثة من مراتب الدين هي مرتبة الإحسان.

• فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان بقوله: ((

((

• جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العبارة الموجزة الغنية بلوازمها وآثارها ما يكفي اللبيب في معرفة معنى الإحسان الذي يحبه الله.

• قال النووي رحمه الله: (قوله صلى الله عليه وسلم: ((

((هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، لأننا لو

قدّرنا أن أحدنا قام في عبادة، وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به؛ فقال صلى الله عليه وسلم: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان؛ فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد بالاطلاع الله سبحانه وتعالى عليه؛ فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد؛ فينبغي أن يعمل بمقتضاه؛ فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخضوع والخشوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم؛ فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلايته) اهـ.

• الإحسان المراد هنا هو الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو متضمن للإحسان إلى من أمر

الله عز وجل بالإحسان إليهم أمر وجوب أو ندب، لأن الذي يفعله تقرباً إلى الله عز وجل فهو متعبد لله تعالى بهذا الإحسان.

• فالإحسان في عبادة الله تعالى ينتظم جميع معاني الإحسان، وهو أعلى مقامات العبادة

وأجلها؛ فالمقام الأول هو مقام الإسلام، والمقام الثاني هو مقام الإيمان، والمقام الثالث

هو مقام الإحسان.

• إذا أطلق الثناء على الإحسان فهو شامل لكل ما يُتعبد الله عزّ وجل بالإحسان فيه ، فيكون الإحسان في العبادات القاصرة والمتعدية وفي معاملة الناس .

• والإحسان ضد الإساءة ويطلق هذا اللفظ في لسان العرب على معنيين :

○ : الإتقان والإجادة.

○ : التفضل والزيادة.

• قال الله تعالى : [السجدة: ٧] فالإحسان هنا يفسره قوله

تعالى : [النمل: ٨٨] أتقن في تفاسير السلف بمعنى : أحكم

وأحسن وسوى وأوثق وهي معان متقاربة.

• وقوله : [الأعلى: ٢] وقوله :

[التين: ٤] والتقويم هنا التعديل وتسوية الخلق بإجماع المفسرين ، كما في قوله تعالى :

[الانفطار: ٧] قرئ في السبع بالتخفيف والتشديد (فعدّلك).

• وقال الحارث بن جحدر الحضرمي يصف قطيعاً من الظباء :

حِمَاشِ الشَّوَى نُجَلِ العُيُونِ سَوَانِقٍ مِنْ البَقْلِ حَوْرٍ أَحْسَنَ الخَلْقِ خَالِقُهُ

• ويقال : فلان أحسن صنعته إذا أتقنها وأجادها ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله

عنه : (قيمة كل امرئ ما يحسنه).

• والذي يحسن العمل هو الذي يأتي به على وجه حسن ، وهذا الوصف يصدق على

المعنيين فيكون العمل متقناً ليس فيه إساءة ، ويكون فيه معنى التكميل والتتميم والزيادة على

القدر الواجب .

• فالذي يؤدي العبادة على القدر الواجب بحيث لا يكون مسيئاً فيها ؛ فهو قد أحسنها ،

والذي يكمل آدابها ومستحباتها فهو محسن إحساناً أبلغ من الإحسان السابق .

• وهذا يدل على أن الإحسان يتفاضل فيه الناس ؛ فيكون عمل أحسن من عمل ،

وعبادة أحسن من عبادة .

میزان الإحسان

- مدار الإحسان في كل عبادة على أمرين :
 - الإخلاص لله تعالى بأن يؤديها كأنه يرى الله تعالى فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.
 - اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تلك العبادة بأدائها بلا غلو ولا تفريط.
- وهذا يكون في كل عبادة ومعاملة بحسبها.
- هدي النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الهدى فمن جاوزه فهو غالٍ غير محسن، ومن من فرط فيه فهو جافٍ غير محسن؛ فالمتابعة تحفظ العبد من الغلو والتقصير.
- ونواقض الإحسان في العبادة: الشرك، والبدعة، والغلو، والتفريط.
- فالمشرك في عبادة الله تعالى شركاً أكبر أو أصغر غير محسن في عبادته بل هو مسيء غاية الإساءة، والمبتدع غير محسن، والغالي المنتطع غير محسن، والمفرط المتساهل غير محسن، فهؤلاء كلهم غير محسنين في أعمالهم.
- قال الله تعالى في المشركين :

[الفرقان: ٢٣].
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المبتدعة: ((
- متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.
- وقال في الغلاة: ((
- رواه مسلم من
- حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
- وقال للمسيء صلاته: ارجع فصلّ فإنك لم تصل.
- يتفاضل المؤمنون في أعمال الإحسان لتفاضلهم في الإخلاص وتفاضلهم في إحسان المتابعة.

فضل الإحسان

- الإحسان أعلى مراتب الدين، وأسمى غايات السالكين، وثوابه أحسن الثواب في الدنيا والآخرة، وأهله أحبّ الناس إلى الله وأسعدهم برحمته وفضله وبركاته.
 - وقد نُقِلَ عن جماعة من السلف في بيان فضل بعض المحسنين أنهم لم يسبقوا بكثرة صلاة ولا صيام وإنما بشيءٍ وقر في قلوبهم.
 - قال الله تعالى:
- [الملك: ٢٢] وقال:

[هود: ١٧]، وقال:

[الكهف: ٢٧].

- بيّن الله تعالى أن الغاية من خلق الخلق ليلبونا أيّنا أحسن عملاً، وهي غاية أخصّ من مطلق العبادة.
 - قال فضيل بن عياض: (أخلصه وأصوبه)، وقال: (العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً؛ الخالص: إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة) اهـ.
 - المراد من العبد هو إحسان العمل؛ فكثرة العمل بلا إحسان من جهد البلاء، وقليلٌ حسنٌ يحبّه الله خير من كثير غير حسن.
 - قال ابن القيم رحمه الله:
- والله لا يرضى بكثرة فعلنا لكن بأحسنه مع الإيمان
فالعارفون مرادهم إحسانه والجاهلون عموا عن الإحسان
- من أعظم فضائل الإحسان أن الله يحبّ المحسنين، وقد تكرر ذكر أن الله في خمسة مواضع في القرآن الكريم، وهو أكثر عملٍ تكرر ذكر محبة الله لأهله.
 - وذكر الله تعالى في خمسة مواضع أيضاً أنه لا يضيع أجر المحسنين.
 - ومن فضائله قول الله تعالى:
- [الأعراف: ٥٦]، وقوله:

وقوله: [يونس: ٢٦] وقد فسّرت الزيادة برؤية الله جلّ وعلا، وهذه غاية الأمانى وأحسن الثواب.

• من عاجل ثواب المحسنين ما يثيبهم به في الدنيا كما قال الله تعالى في موضعين من كتابه الكريم

[النحل: ٣٠] و[الزمر: ١٠].

درجات الإحسان

• الإحسان على درجتين من حيث حكمه:

• الإحسان الواجب، وهو أداء العبادة على القدر الواجب بإخلاص واتباع بلا غلوّ ولا تفريط؛ فمن أدى العبادة على هذا الوجه فهو محسن الإحسان الواجب فيها.

○ والذي لا يؤدي هذا الإحسان ظالم لنفسه كما قسم الله تعالى الناس إلى فريقين لا ثالث لهما، **محسن** و**ظالم** لنفسه مبین، كما قال تعالى في خليله إبراهيم:

[الصفّات: ١١٣] وكل من المشرك

والمبتدع والغالي والمفرط قد وقعوا في ظلم أنفسهم.

• الإحسان المستحب، وهو أداء العبادة بتكميل واجباتها ومستحباتها وتعظيم النية فيها لله جلّ وعلا، فيكون في العبادة قوة إخلاص ومتابعة فيؤديها كأنه يرى الله عز وجل، فمن أدى العبادة على هذا الوجه فهو محسن، وهذا هو الإحسان المراد هنا.

خصال الإحسان في العبادات

إحسان الوضوء

• فإحسان الوضوء يكون بإسباغهِ وتكميل فروضه وآدابه وعدم مجاوزة القدر المشروع في عدد الغسلات. لما في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء؛ فأراه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: ((

• الزائد على القدر المشروع غير محسن، والمقصر عنه غير محسن، والموسوس غير محسن.

إحسان الصلاة

- وإحسان الصلاة يكون بإقامتها وأدائها في أول وقتها، وتكميل واجباتها وآدابها وأن يصلّيها كأنه يرى الله عز وجل.
- من أخل بأركانها وواجباتها فليس بمحسن، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته: ((متفق عليه.
- والساهي عن الصلاة غير محسن، والذي لا يخشع في صلاته غير محسن.
- وفي صحيح مسلم عن عمرو بن سعيد بن العاص قال: كنت عند عثمان فدعا بطهور فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((

..))

- وعن نافع مولى ابن عمر قال: سمعت ابن عمر يقول: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا رسول الله حدثني بحديث واجعله موجزًا؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((
- ..)) رواه الطبراني والبيهقي في الزهد والخطيب البغدادي والضياء المقدسي وحسنه الألباني.
- وفي مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((

((

- قال بكر المزني: (إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل: **لعلّي لا أصلي غيرها**).
- وكان من فقه بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم يخففون الصلاة إذا خافوا الوسواس؛ كما روى الطحاوي في مشكل الآثار عن أبي رجاء العطاردي قال: قلت للزبير بن العوام رضي الله عنه: مالي أراكم يا أصحاب محمد من أخف الناس صلاة؟ فقال: (نبادر الوسواس).

- ويوضحه ما في الحلية لأبي نعيم عن أنس قال: كنّا إذا صلّينا خلف الزبير بن العوام

فأخف الصلاة قلت: يا أصحاب محمد ما لي أراكم أخف الناس صلاة؟ قال: (إنا نبادر الوسواس، ولكنكم أهل العراق يطيل أحدكم الصلاة حتى يغيب في صلاته).

- فالصلاة الموجزة التامة التي يحسنها صاحبها خير من الصلاة الطويلة التي لا يحسنها.

إحسان النفقة

- الإحسان في الإنفاق يكون بأدائه احتساباً لله عز وجل خوفاً وطمعاً لا يريد من أحسن إليه جزاء ولا شكوراً، ولا يُتبع نفقته مناً ولا أذى.
- في النفقة عملان عمل للقلب وعمل للجوارح؛ فعمل القلب ألا يريد بالنفقة إلا وجه الله تقريباً إليه خوفاً وطمعاً، لا يريد من أنفقه عليهم جزاء ولا شكوراً.

○ قال الله تعالى:

[المؤمنون: ٦٠].

○ وقال عن عباده الأبرار:

() ()

[الإنسان: ٩ - ١١].

- الإحسان إلى الناس خوفاً من الله عز وجل يظهر القلب من العجب والغرور والتعالي بالنفقة والمفاخرة والمباهاة بها.
- وبهذا تعلم أنه ليس كل منفق محسناً، بل من الناس من ينفق الأموال الكثيرة في وجوه الخير وتكون وبالاً عليه وعذاباً يعذب به، لفساد قصده ونيتته، وفساد سلوكه في الإنفاق، وكل ذلك مخالف للإحسان.

- مما يفسد النية في الإنفاق: **الرياء والفخر والعجب والتعالي**.

- **ومما يبطل ثواب الصدقة: المن والأذى**، والمن من الأذى لأن الذي يُمنّ عليه يتأذى بذلك، وفيه أيضاً سوء أدب مع الله عز وجل.

- والأذى في الإنفاق وصف جامع لخصال كثيرة منها:

○ المن وهو أعظمها وهو من كبائر الذنوب، والذي ينظر إلى أن ماله مئة من الله تعالى عليه، استخلفه فيه لينظر كيف يعمل في هذه الأمانة لا يمنّ بإنفاقه، وإنما يمنّ من غفل عن

هذا الأمر العظيم ؛ قال الله تعالى :

[الحديد : ٢٧] .

○ : المماثلة فيه ، والتعالي بالنفقة على المحتاج ، والتعسير عليه في أخذها ، حتى لا يكاد يأخذ المحتاج حقه إلا بشق الأنفس .
وقد قيل :

وأفضل البرِّ ما لا مَنْ يتبعه ولا تقدّمه شيء من المظلِّ

○ : أن يخرج ما تعافه نفسه من رديء ما يملك ، وقد أمر الله بالإنفاق من طيب المال ، كما قال تعالى :

[البقرة : ٢٦٧] .

- تعترض المنفق ففتنان عند إرادة الإنفاق : إحداهما : وسوسة من الشيطان ليكون إنفاقه لغير وجه الله تعالى ، والأخرى : الشح والتردد ؛ ومن وقع في إحداهما كان مسيئاً غير محسن .
- وقد وعد الله تعالى المحسنين في الإنفاق بالفضل العظيم كما قال تعالى :

()

()

[البقرة : ٢٦٢ - ٢٦٤] . ()

○ وهذا المثل من أبلغ الأمثلة وأعظمها عبرة ، والعرب تشبه قليل الخير والبركة من الناس بالصفاء الأصيل الذي لا ينبت كلاً ولا يوري ناراً .

قال تأبط شراً : وكستُ يجلبِ جلبِ ريحٍ وقرّةٍ ولا بصفاً صلدي عن الخيرِ معزلي

○ الجلبُ : هو السحاب المعترض كأنه جبل ، يُرى عظيماً ولا ماء فيه ولا نفع ، وإنما يجلبُ الريح والبرد ، ويُضربُ مثلاً للذي يعدُّ الوعود العظيمة وهو في حقيقة الأمر يؤذي ولا ينفع ؛ كما قال نهشل الدارمي :

كَجَلِبِ السَّوِّءِ يُعْجِبُ مَنْ رَأَهُ وَلَا يَسْقِي الْحَوَائِمَ مِنْ لَمَاقٍ
الحوائم: الطيور الحائمة، واللماق: المذقة اليسيرة.

○ والشاهد قوله: (ولا بصفا صلد عن الخير معزل)
○ والصفا الصلد هو: الحجر الكبير الصلب الأملس لا ينبت كالأ ولا يوري ناراً، تجعله
العرب مثلاً للرجل الذي لا يُنتفع به.

○ ومما يوضح هذا المعنى قول الحطيئة:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ مَنْ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَمَنْ يَحْبُو الْجَلِيلَ وَمَا أَكْدَى وَلَا نَكْدَا
وَمَنْ تُلَاقِيهِ بِالْمَعْرُوفِ مُبْتَهَجاً إِذَا اجْرَهَدَّ صَفَا الْمَذْمُومُ أَوْ صَلَدَا

○ وقال الأصمعي: (صَلَدَ الزَّنَادُ إِذَا صَوَّتَ وَلَمْ يَخْرُجَ نَاراً).

○ فقوله تعالى:

[البقرة: ٢٦٤]

أي إن مثل هذا المنفق المغترّ بنفقته، وهو يظنّ أنها تنفعه - وقد أبطلها بالمن والأذى -
كمثل صفوان صلد لا نفع فيه ولا خير، إذ كان ما فعله من الخير باطلاً، وإنما هو كتراب
غطى الصفوان فلما أصابه المطر تبينت حقيقته وبقي صلداً؛ فهذا مثل المسيء في نفقته.
○ وأما مثل المحسن فكما قال الله تعالى:

[البقرة: ٢٦٥]؛ نسأل الله من فضله.

○ وتأمل كيف شبه الله تعالى آياته ومواعظه بالماء الذي إذا نزل على مكان طيب صالح
للنبات قد ثبتت غرسه فإنه ينفعه ويثمره وينميه، وأما الصفوان الأصلد الذي غطي بالتراب
فإنه يكشفه على حقيقته ويعرّبه.

○ فالمحسن في نفقته كالذي يغرس في جنة طيبة مباركة، قد ثبت غرسها تثبيتاً حتى استقر
في تلك الأرض الطيبة فكان ما يصيبها من الماء نافعاً لها منبتاً لغرسها حتى ينمو نباتها ويؤتي
ثماره ضعفين.

○ وأما المسيء في نفقته فمحلّ غرسه خبيث لا يستقر فيه الغرس وإنما هو كتراب على
صفوان؛ يغترّ به صاحبه فإذا أصابه المطر تركه صلداً لا أثر فيه لنبات ولا غرس، ولا تُرجى

منه ثمرة، ولا يقدر منه على شيء.

- فانظر إلى اختلاف آثار آيات القرآن الكريم على قلوب العباد فمنتفع بها مبارك له فيها، ومحروم من بركتها معذب بها، والعياذ بالله.
- من الإحسان في الإنفاق أن يكون المنفق مبادراً بنفقته فرب مال قليل يكون أعظم عند الله لأنه أنفق في وقت حاجة شديدة فسبق به صاحب المال الكثير.
- من الإحسان في النفقة أن يكون المنفق في حال إنفاقه مستشعر الخوف من الله واليقين بالرجوع إليه، ويرجو بنفقته أن يصرف الله عنه عذابه ويمنّ عليه بالقبول وتزكية النفس.
- قال تعالى: [المؤمنون: ٦٠] وقال:

[الليل: ١٨] وقال: [التوبة: ١٣] وقال:

.. [التوبة: ١٩٩] الآية.

إحسان الجهاد في سبيل الله

- يُعرف إحسان عبادة الجهاد بما دلّ عليه الكتاب العزيز، وما دلّت عليه السنة النبوية الشريفة، وبما عرف من سير الأئمة الذين أحسنوا الجهاد في سبيل الله.
- الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومظهر عزته، ولا يخلو حال العبد المؤمن من حالة من حالات الجهاد؛ فهو بين استصحابها، واستصحاب حكمها.
- قال الله تعالى:

[الحج: ٧٨] وقال تعالى: [المائدة: ٣٥]، وقال

تعالى:

[الحجرات: ١٥].

- في الجهاد ينقسم المؤمنون إلى مستطيع للجهاد بماله ونفسه، ومستطيع بأحدهما، ومن لا يستطيع بماله ولا بنفسه، وكل هؤلاء يمكنهم إدارك مرتبة الإحسان فيه.
- من رحمة الله عز وجل أن يسّر السبيل لهؤلاء الأصناف الثلاثة لبلوغ مرتبة الإحسان، وعلى كل صنف أعمال إذا قاموا بها بلغوا بها مرتبة الإحسان في الجهاد.
- جمع الله خصال الإحسان في الجهاد بالنفس في قوله تعالى:

()

()

() آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨.

- ربيون أي جماعات كثيرة، وقيل: هم العلماء الأتقياء يقال لهم ربيون وربانيون.
- دلت هذه الآيات على أن المجاهد الذي يقوم بهذه الخصال من المحسنين الذين يحبهم الله عز وجل.
- صفات إحسان القتال المذكورة في الآية ترجع إلى تحقيق الصبر واليقين.
- الصبر يحمل على عدم الوهن والضعف والاستكانة.
- واليقين يحمل على تحقيق الاستعانة بالله واتباع هدايته على نور وبصيرة.
- قدّموا الاستغفار ليقينهم بأنهم إن خذلوا فإنما خذلناهم من قبل أنفسهم بتفريطهم وتقصيرهم ومخالفتهم هدى الله فيما وصّاهم به، فاستغفروا الله تعالى من الأسباب الموجبة للخذلان، وسألوه الثبات والنصر على الكافرين لتكون كلمة الله هي العليا.
- القيام بهذه العبادات العظيمة يُذهب عن القلب العجب والغرور والرياء والسمعة وإرادة الدنيا بعمل الآخرة لأنه يعلم أنه متى وقع فيها كان على خطر من الخذلان والانتكاس.
- فمن قام بهذه الأمور فهو محسن في جهاده، وقد وعد الله من كان هذا حاله بثواب الدنيا والآخرة، وأخبره بأنه ممن يحبهم، وهذه المحبة لها لوازمها وآثارها وفضلها العظيم الذي لا يقدر قدره إلا الله عز وجل، فيكفي تنبيهاً على فضلها العلم بها.
- وسرّح نظرك في معاني هذه المحبة وآثارها وفضائلها تجدها تجمع من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ما لا يبلغه وصف واصف، ولا يحيط به خيال متخيّل.
- وغاية مطالب السالكين وأشرف مقاماتهم أن يكونوا من المحسنين الذين يحبهم الله تبارك وتعالى؛ فهؤلاء المجاهدون المحسنون الذين يطبقون الجهاد في سبيل الله عز وجل.
- من حقق صفات الإحسان في الجهاد أصاب حقيقة الجهاد في سبيل الله؛ فأخلص الله واتباع هدايته؛ وأورثه ذلك شجاعة عظيمة وإقداماً عجبياً وكان ذلك فاتحة لكرامات عظيمة؛

فبين المجاهد في سبيل الله وبين ربه عهد عظمة في الدنيا والآخرة لا يخلفها الله أبداً، يراها من أحسن الجهاد ويؤمن بها، ويعمى عنها غيره.

- مما طمأن الله به المجاهدين ليقدموا ولا يخافوا أنهم لا يجدون من ألم القتل إلا كما يجد أحدنا ألم القرصة، وهو ألم يسير محتمل، فمن آمن بذلك أقدم.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

رواه الدارمي وابن حبان وصححه الألباني.

- أخوف ما يخافه المجاهد أن يخذل بسبب ذنوبه،

آل عمران: ١٥٥.

- القسم الثاني: الجهاد بالمال، وشأنه عظيم في الإسلام، وهو من علامات صدق الإيمان، قال الله تعالى:

التوبة: ٤١، وقال تعالى:

البقرة:

١٩٥ فينبغي أن نتعلم كيف نحسن الإنفاق في سبيل الله.

- يكون الإحسان في الإنفاق بإحسان القصد، وإحسان الحال، وإحسان طريقة الإنفاق، ومنه قدر واجب يأثم المسيء فيه، ومنه مستحب لصاحبه فضل عظيم.
- إحسان القصد يكون بإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من النفس؛ فبالأول يتحقق الإخلاص، وبالثاني يكون المنفق صادقاً موقناً غير متردد.
- وقد تقدّم الحديث عن إحسان حال الإنفاق وإحسان طريقته.
- وأما القسم الثالث: فهم الذين لا يطيقون الجهاد لضعف أو مرض أو قلة نفقة؛ وهؤلاء لم يحرمهم الله بلوغ مرتبة الإحسان في الجهاد.
- يبلغون مرتبة الإحسان بالنصيحة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى:

() التوبة: ٩١.

- والنصيحة تجمع معنى الصدق والإخلاص: إخلاص القصد لله عز وجل، والصدق في محبة الله عز وجل ونصرة دينه وإعلاء كلمته، فلا ينطوي قلبه على غش ولا تخاذل عن نصرته

دين الله عز وجل متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يؤثر القعود وهو يستطيع، فمن علم الله ذلك من قلبه فهو من المحسنين كما قال الله تعالى:

[التوبة: ٩١].

• إذا نصح العبد لله ورسوله وصدقت عزمته وإنما منعه العذر كتبت له نيته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((...))
رواه البخاري.

• فإحسان هؤلاء هو النصيحة لله عز وجل، وهذه المرتبة من الإحسان ممكنة للمحسنين في كل وقت، ولا تكلفهم أكثر من إخلاص القصد وصدق العزيمة، وإنما يحرم خيرها وفضلها من حُرْم.

• يخطئ من يظن أن المراد بالمحسنين في هذه الآية المنفقون ومن يتطوع لعمل الخير مطلقاً؛ لأنَّ هذه الآية نصٌّ في وصف الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون بأنهم محسنون بشرط النصيحة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

• قال الله تعالى: ... [التوبة: ٩٣] الآية؛

هؤلاء الأغنياء مسيئون غير محسنين وإن استأذنوا واعتذروا ببعض الأعذار.

الدرس الخامس عشر: مرتبة الإحسان (٢/٢)

قال رحمه الله:

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[لقمان: ٢٢].

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

- وَقَوْلُهُ:

الآية يونس: ٦١).

[النحل: ١٢٨].

[الطلاق: ٣].

()

()

[الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

()

()

عناصر الدرس:

- طرق معرفة الإحسان
 - بيان القرآن لمعنى الإحسان
 - بيان السنّة لمعنى الإحسان
 - معرفة هدي أئمة المحسنين
- أبواب الإحسان
- الإحسان يكون بالقلب واللسان والجوارح
- معاني لفظ الإحسان في النصوص
- دوام حاجة العبد إلى الاستعانة بالله على الإحسان
- سمات المحسنين
- تيسير الإحسان

طرق معرفة الإحسان

- يعرف الإحسان بأمور:
 - بيان القرآن الكريم لمعنى الإحسان العام والإحسان في الأمور التي بيّنها الله عز وجل في كتابه.
 - بيان النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى الإحسان بهديه العملي والقولي والإقرارى.
 - تأمل سير أئمة المحسنين، والاهتداء بهديهم فيما أحسنوا فيه.

بيان القرآن لمعنى الإحسان

- ورد بيان معنى الإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية وهدي السلف الصالح.
 - فأما بيان القرآن لمعنى الإحسان
 - أما إحسان الدعاء ففي قوله تعالى:

()

[الأعراف: ٥٥، ٥٦]؛ فالدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة، ومن

قام بهذه الأمور التي أمر الله عز وجل بها فهو من أهل الإحسان.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقوله:
 - [الأعراف: ٥٦] فيه تنبيه ظاهر على أنّ فعلَ هذا المأمور هو الإحسان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم من الله رحمته، ورحمته قريبٌ من المحسنين الذين فعلوا ما أمروا به من دعائه تضرعاً وخفيةً وخوفاً وطمعاً؛ فقدرُ مطلوبكم منه - وهو الرحمة - بحسب أدائكم لمطلوبه، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم).

• قال: (وقوله تعالى:

ودلالةً بإيمائه وتعليله ودلالةً بمفهومه:

- **فدلالته بمنطوقه** على قرب الرحمة من أهل الإحسان.
- **ودلالته بإيمائه** وتعليله على أن هذا القرب مستحق بالإحسان، وهو السبب

في قرب الرحمة منهم.

- **ودلالته بمفهومه** على بعده من غير المحسنين.

فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة ؛ وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة لأنها إحسانٌ من الله عز وجل أرحم الراحمين وإحسانه تبارك وتعالى إنما يكون لأهل الإحسان ؛ لأن الجزء من جنس العمل وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته.

وأما من لم يكن من أهل الإحسان ؛ فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة ، بُعِدُ بُعْدًا وَقُرْبُ بِقُرْبٍ ؛ فمن تقرب إليه بالإحسان تقرب الله إليه برحمته ، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته.

والله سبحانه يحب المحسنين ، ويبغض من ليس من المحسنين ، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيءٍ منه ، ومن أبغضه الله فرحمته أبعد شيءٍ منه.

والإحسان هاهنا هو فعل المأمور به سواءً كان إحساناً إلى الناس أو إلى نفسه ؛ فأعظم الإحسان : الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله تعالى والإقبال إليه والتوكل عليه وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً ؛ فهذا هو مقام الإحسان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - وقد سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان - ؛ فقال : ((

فإذا كان هذا هو الإحسان فرحمته قريبٌ من صاحبه ؛ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان يعني هل جزاء من أحسن عبادة ربه إلا أن يحسن ربه إليه). اهـ ، وهو من نفيس ما كتب رحمه الله ، وهو من رسالة له في تفسير هاتين الآيتين ، وما تضمنته من آداب الدعاء بنوعيه.

○ فهاتان الآيتان من سورة الأعراف في بيان معنى الإحسان في العبادة عموماً.

● وقد تقدّم بيان القرآن لمعنى الإحسان في الجهاد في سبيل الله لمن يطبق القتال ومن لا يطبقه ومن يجد النفقة ومن لا يجدها.

● وجاء بيان معنى الإحسان في الابتلاء بأنه يكون بالصبر والتقوى كما قال يوسف عليه السلام :

[يوسف: ٩٠]؛ فالإحسان عند البلوى، يكون بالصبر

والتقوى.

- وورد في القرآن الكريم بيان معنى الإحسان في ذبح الهدى وتوزيعه فقال تعالى:

()

() [الحج: ٣٦، ٣٧].

- والإحسان عند سماع خير الله عز وجل وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم هو التصديق والتسليم وأن لا يكون في صدر المؤمن حرج من ذلك كما قال تعالى:

()

[الزمر:

٣٣، ٣٤؛ فهؤلاء قد أحسنوا في تصديقهم.

- وهذا الباب لو تأمله من يتدبر القرآن الكريم لعرف به أبواباً من الإحسان، وعرف في كل باب خصال الإحسان التي يحبها الله عز وجل.

• قاله تعالى: [الزمر: ٢٣]، وقال:

[الإسراء: ٩]، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن أحسن الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم).

- وأما بيان سنة النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى الإحسان؛ فيكفي في الإرشاد إليه قول الله تعالى:

[الأحزاب: ٢١].

- فالتفقه في هدى النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات يُعرف به أوجه الإحسان، وبه يُنال الاتساء الحسن.

- وذلك أن هدى النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الهدى؛ فطهوره أحسن الطهور، وصلاته أحسن الصلاة، وإنفاقه أحسن الإنفاق، وصيامه أحسن الصيام، وحجه أحسن الحج، ومعاملته للناس أحسن المعاملة، وهكذا في كبير الأمور وصغيرها؛ وسبيل معرفة ذلك هو التفقه في مسائل الدين.

- ثم أصحابه من بعده هم أحسن الناس هدياً بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأقربهم منه منزلة وأفقههم في دين الله عز وجل.
- وأولاهم بالاتباع من شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان وأمر باتباع سنتهم وهديتهم كالخلفاء الراشدين الذين قال فيهم: ((

((. رواه أحمد وأبو داود.

- ومن أئمة المحسنين الذين ورد في شأن إحسانهم أحاديث وآثار: الخلفاء الأربعة وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وأمّهات المؤمنين ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وعبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وغيرهم.
- ومن التابعين: أويس القرني وعمرو بن الأسود والربيع بن خثيم وعمر بن عبد العزيز وآخرون.
- ومعرفة سير المحسنين والتعرف على هديهم وأخبارهم وآثارهم مما يعين على فهم معنى الإحسان، والاتساء بهم فيما أحسنوا فيه، وقد بوّب البخاري باباً في صحيحه في كتاب الأدب سماه: (باب في الهدى الصالح).
- ومن تحرّى الإحسان وحرص عليه وسأل الله تعالى الإعانة عليه؛ رُجي له أن يوفق للإحسان، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: **(إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحرّى الخير يُعطه، ومن يتوقّى الشر يُوقه).**

أبواب الإحسان

- أبواب الإحسان كثيرة، ففي صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

((.

- فالإحسان مكتوب على كل شيء، وإحسان كل شيء بحسبه، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم عليه هنا الإحسان في الذبح، فمن خالف هديه فلم يجدّ السكين ولم يرح ذبيحته فليس بمحسن في ذبحه.

- وهذا مما يبيّن أهمية الفقه في الدين فإنه به يعرف طالب الإحسان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات ؛ فيعرف هديه في الوضوء والصلاة والصدقة والصيام والحج والجهاد والبيوع والطعام والشراب والنوم والنكاح والمعاشرة والبرّ والصلة ومعاملة الناس على اختلاف أصنافهم ، وهكذا في سائر الأمور.
- والمؤمن في جميع أحواله لا يخلو من حالة تختص ببعض خصال الإحسان الذي يجب عليه الله حتى في أكله وشربه ونومه ومعاشرته ومزاحه وبيعه وشرائه وقضائه لشؤونه.

الإحسان يكون بالقلب واللسان والجوارح:

- ١: فأما إحسان القلب فهو لبّ الإحسان وأصله ، وأول ذلك أن يحرص على تحقيق الإحسان في أعمال القلوب من المحبة والخوف والرجاء وغيرها.
- فالعبادات القلبية الحسنة يظهر أثرها على اللسان والجوارح ؛ ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وهذا عمل قلبي ؛ ومتى تحقق العبد بهذا الوصف وقام بحقه أحسن العبادات الباطنة والظاهرة.
- فلذلك كان الأصل في مرتبة الإحسان العبادات القلبية من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والخشية والإنابة والتوبة وغيرها ، وهذه العبادات من أحسنها أفصح وفاز فوزاً عظيماً ، والإحسان فيها على **درجتين** :

○ **الدرجة الأولى:** الإحسان الواجب ، وهو ما تصح به هذه العبادات وتسلم به من الشرك والبدعة والغلو والتفريط.

○ **الدرجة الثانية:** الكمال المستحب ، وهو المراد هنا ، وهو مضمّر تسابق أولياء الله المحسنين ، وتفاضلهم فيه كبير عظيم وهم فيه على درجات

آل عمران: ١٦٣.

- ومما يدل على أن هذه العبادات القلبية منها واجب ومستحب ما رواه مسلم وأبو داود النسائي وغيرهم عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا ؛ فقالت: يا نبي الله أصبتُ حداً فأقمه عليّ ؛

فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال: ((
 ففعل: فأمر بها نبي الله فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت؛ ثم صلى عليها؛ فقال
 له عمر: (تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟!))
 قال:))

!

!))

• والتوبة من الزنا واجبة، وهذه الصحابية رضي الله عنها تابت توبة تزيد على التوبة
 الواجبة بسبعين ضعفاً!

• فهي قد أحسنت التوبة بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لها، وكان يجزئها من توبتها
 جزء من سبعين جزءاً؛ فكان ما زاد على ذلك قرينة لها ونافلة مستحبة متقبلة.
 • والتوبة الحسنة التي يحبها الله هي التوبة النصوح التي أمر الله عز وجل بها في قوله:

[التحريم: ٨].

• والتوبة النصوح هي الصادقة الخالصة لله عز وجل التي يتوبها العبد خوفاً وطمعاً، خوفاً
 من عقاب الله وطمعاً في مغفرته وثوابه، ويلزم لصحتها الندم على فعل الذنب، والاعتراف
 به، والإقلاع عنه لله جل وعلا، والعزم الصادق على أن لا يعود إليه أبداً؛ فمن فعل ذلك
 فقد أحسن التوبة.

• فتيبين أن التوبة النصوح تقوم على أمور يتفاضل التائبون في تحقيقها تفاضلاً عظيماً،
 [البقرة: ٢٢٢]؛ فاللهم إنا نسألك توبة نصوحاً.

• وتفاضل العبادات القلبية يكون في أمرين:

○ قوة الاحتساب والإتيان بالعبادات القلبية، كما يتفاضلون في المحبة
 والخوف والرجاء وغيرها من العبادات.

○ تعدد المقاصد الحسنة في الأعمال التي يعملها العبد، حتى إن من بركات
 الإحسان أن يعمل العبد العمل الواحد يكون له فيه مقاصد حسنة متعددة؛ فيثاب عليها
 جميعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

• ٢: وأما الإحسان بالقول فهو أن يتحرى العبد القول الحسن الطيب الذي يحبه الله في كل

شؤونه؛ فإذا ذكر الله بلسانه أحسن الذكر، وإذا وعظ أحسن الموعدة، وإذا دعا أحسن الدعوة، وإذا علم أحسن التعليم، وإذا نصح أحسن النصيحة، وإذا تحدث مع الناس أحسن الحديث إليهم، كما قال الله تعالى: [البقرة: ٨٣]، وقال:

[الإسراء: ٥٣].

○ وكل أمر من هذه الأمور مُبَيَّنٌ في القرآن العظيم وهدى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم خصال الإحسان فيه.

○ فالمحسن يهديه الله للقول الطيب الحسن الذي يحبه ويرضاه، فيوطن نفسه ألا يتكلم إلا بخير، وألا يقول إلا قولاً حسناً، وهو أولى الناس باتباع وصية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «

○ **ومن ثمرات هذا الإحسان وبركاته** أن يكون المحسن محبوباً لدى الناس، مقبول القول لديهم، وما ذلك إلا لاتباعه هدى الله في معاملة الناس والتحدث إليهم، فلا يقول إلا ما يحبه الله من القول الحسن، ومن كان حاله كذلك فهو محسن إلى الناس كافّ أذاه عنهم، قاطع على الشيطان عمله في الإفساد والنزغ بينه وبين من يحدثهم.

○ وبهذا تعلم أن من يؤذي الناس بلسانه فهو من أبعد الناس عن الإحسان، كما روى الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق وتؤذي جيرانها بلسانها!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «

قالوا: وفلانة تصلى المكتوبة وتصدق بأثوار ولا تؤذي أحداً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «

الأثوار جمع ثور وهو قطعة من الأقط، وفي رواية الحاكم: (وتصدق بأثوار من أقط).

○ وفي سنن الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «

«

- والإساءة في القول نقيض للإحسان، وأنواع الإساءة في القول كثيرة، منها: قول الزور والبهتان والكذب والغيبة والنميمة والإيذاء والفحش والبذاءة واللغو والإلحاف في السؤال.
- فالذي يقع في هذه المساوئ غير محسن، والإساءة في القول ترجمان لسوء في القلب.
- ولْيُعلم أن الغلظة في القول في مواضعها ليست من الإساءة، بل هي من الإحسان الذي يحبه الله.

● والأقوال الحسنة متفاضلة، وأحسنُ القول وَصَفَهُ اللهُ تعالى بقوله:

[فصلت: ٣٣]؛ فالداعي إلى الله الذي

يعمل الصالحات ويعلن انتسابه للإسلام ويعتز به من أهل الإحسان في القول.

- وبه تعلم أن الداعي إلى الضلالة والصد عن سبيل الله أسوأ الناس قولاً، والذي يخالف عمله قوله غير محسن، بل هو مسيء بمخالفته.

○ **ومن سمات المحسنين** حرصهم على القول الحسن في مواضع تأكده وجوباً أو استحباباً، كأن يترتب على القول الحسن نصرة حق في موقف يحتاج فيه إلى كلمة حق ناصرة، أو دفاع عن مظلوم فينصره بكلمة حق، أو ذبٍ عن عرض مسلم، أو إصلاح بين الناس، أو صدِّ فساد عن المسلمين، أو غير ذلك من المواقف التي ربما تكون كلمة واحدة حسنة تقال فيها سبباً لسعادة العبد وفلاحه، كما قال الله تعالى عن الذين عرفوا الحق وشهدوا به:

()

()

[المائدة: ٨٣ - ٨٥].

- وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

((

● والمقصود أن إحسان القول على ثلاث درجات:

- : تجنّب القول السيئ الذي يبغضه الله عز وجل وأسوؤه قول الشرك بالله

- عز وجل والصد عن سبيله وقول الزور والغيبة والنميمة والفحش والبذاء وغيرها.
- وقول الفُحْشِ في اللغة يعمّ قول الخنا المستقذر والسباب المقذع، قال النابغة يمدح امرأة: بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها لم تؤذ أهلاً ولم تُفحش على جار
- وقال سلمة بن الخرشب الأثماري رداً على عامر بن الطفيل:
- وإنك يا عام بن فارس قرزل معيد على قيل الخنا والهواجر
- عام: ترخيم لاسم عامر، وهو عامر بن الطفيل كان قد شُبه بأسماء الفزارية بقول سيء وأقذع في سب قومها لما فرّ هارباً من وقعة المرورات وهو من أيام الجاهلية، وعامر هذا هو صاحب الغدرات الذي قتل أصحاب بئر معونة رضي الله عنهم وهم من قراء الصحابة وخيارهم.
- والشاهد قوله: (معيد على قيل الخنا والهواجر) الهواجر من القول هو السباب المقذع، والخنا هو القول الماجن، وكلا النوعين من فاحش القول.
- الإتيان بالقول الحسن الواجب، في حق الله عز وجل وفي حق الناس، فأما القول الحسن في حق الله عز وجل فأحسنه وأوجبه كلمة التوحيد، ثم ما يجب عليه من الأذكار الحسنة والأدعية الواجبة في الصلاة وفي غيرها، وما يجب عليه من الأقوال الحسنة في حق الناس، وأحق الناس بالقول الحسن الوالدان كما أمر الله تعالى بقوله:
- [الإسراء: ٢٣] أي طيباً حسناً.
- ومما يجب من القول الحسن: رد السلام، وبيان الحق عند وجوب بيانه، ونصرة الحق، والذب عن عرض المسلم، وغيرها من المواطن التي يجب فيها القول الحسن مع الاستطاعة.
- القول الحسن المستحب، وهذه الدرجة مترتبة على الدرجتين السابقتين، وهي تشمل نوافل الأقوال الحسنة من التلاوة والذكر والدعاء والدعوة إلى الله تعالى، وما يندب إليه من الإحسان إلى الناس كتعزية المصاب بقول حسن، وتثييت المبتلى، وإعانة المستعين، ومكافأة صانع المعروف، وغيرها من الأقوال الحسنة المستحبة التي من أداها مع ما قبلها فهو من أهل الإحسان في القول.
- ٣: وأما إحسان العمل فهو من أثر إحسان عمل القلب وإحسان القول.

- والأعمال الحسنة :
- : العبادات العملية فهذه أداؤها على وجه حسن بإخلاص واتباع بلا غلو ولا تفريط هو الإحسان المطلوب ؛ فمن كان هذا دأبه في عباداته فهو من أهل الإحسان فيها، ويتفاضل المحسنون في هذه المرتبة تفاضلاً عظيماً.
- : معاملة الناس، والإحسان في معاملة الناس على :
- : كف الأذى، فالذي لا يكف أذاه عن الناس فليس بمحسن، بل هو من أبعد الناس عن الإحسان، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.
- : أداء الحقوق الواجبة، وأخصها حق الوالدين وحق الأرحام والجار، ومن بينه وبينه معاملة تقتضي حقاً خاصاً كالشركاء من حق بعضهم على بعض الصدق والبيان، وحق المؤمن على المؤمن أداء الأمانة، وحق المشتري على البائع أن لا يغبنه في سعرها وأن يبين له عيبها إن كان فيها عيب، ونحو ذلك من الحقوق الواجبة، التي من لم يؤديها فهو مسيء غير محسن.
- فالعاقق والقاطع والغاش والمخادع والخائن والمختلس والسارق مسيؤون غير محسنين.
- فمن كف أذاه عن الناس وأدى الحقوق الواجبة فهو محسن الإحسان الواجب.
- : الإحسان المستحب، وهو أنواع ويجمعه أنه ما زاد على القدر الواجب من وجوه الإحسان وهي كثيرة متنوعة فالصدقة إحسان، والكلمة الطيبة إحسان، وتبسمك في وجه أخيك إحسان إليه، وتوسعة المجلس له إحسان، وكل هذه الأعمال الحسنة يثاب عليها العبد إذا احتسب فيها نية صالحة.

معاني لفظ الإحسان في النصوص:

- لفظ الإحسان يطلق في النصوص على معان:
 - **المعنى الأول:** إحسان العمل وإتقانه، فمن أتى بالعمل على وجه حسن فهو محسن.
 - **المعنى الثاني:** فعل الحسنات، كما قال الله تعالى:
- [النساء: ١٢٥] فالإحسان الأول غير الإحسان الثاني.

وقال تعالى :
 محسن ، ودرجته في الإحسان بحسب استكثاره من الحسنات.
 وقال تعالى :

()

[هود: ١١٤، ١١٥].

○ **المعنى الثالث:** البر والإفضال إلى المخلوقين في كل مقام بحسبه قال تعالى :

[الإسراء: ٢٣] ، و [البقرة: ٨٣] ، وفي صحيح مسلم من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((

..))

○ ويكثر - عند إرادة هذا المعنى - أن يُعَدَّى لفظ الإحسان بالباء أو اللام أو إلى ، كما

في الأمثلة السابقة.

○ وهو يصدق على الإحسان بالمال والجاه والعلم والبدن وغيرها من أوجه الإحسان.

○ وقوله تعالى : [يوسف: ١٠٠] لفظ الإحسان فيه متضمن لمعنى العناية ،

ولذلك عدي بحرف الباء.

• ويطلق لفظ الإحسان ويراد به ما يشمل هذه المعاني كلها كما في قوله تعالى :

[البقرة: ١٩٥] ، وقوله :

[النحل: ٩٠]

[الإسراء: ٢٧].

وقوله :

حاجة العبد إلى الاستعانة بالله على الإحسان

• حاجة العبد إلى سؤال الله تعالى الإعانة على الإحسان لازمة دائمة ، كما دلّ على ذلك

حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده ، وقال : ((

..))

:

فقال :))

..)) رواه أحمد وأبو داود والنسائي ، وفي رواية النسائي : قال

مُعَاذُ : (وَأَنَا أَحْبَبُ).

• هذا الحديث يدل على أن العبد لا يستغني عن سؤال الله الإحسان أبداً، فمن فقه ذلك أيقن بافتقاره إلى الله تعالى في كل وقت.

• ومعاذ بن جبل رضي الله عنه من أئمة المحسنين ومما وصاه به النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه هناد بن السري في الزهد وابن أبي شيبه في مصنفه والطبراني في الكبير وغيرهم عن محمد بن عمرو بن علقمة قال: حدثنا أبو سلمة قال: قال معاذ بن جبل: يا رسول الله أوصني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

)).

))

قال: يا رسول الله وما هو؟

قال: ((وأشار إلى لسانه.

قال معاذ: يا رسول الله هو ذا وأشار إلى لسانه

قال: ((

○ وأبو سلمة هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك معاذ بن جبل، فالإسناد فيه انقطاع لكنه له شواهد يحسن بها، وقد حسنه الألباني، وأورده في السلسلة الصحيحة.

• وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فأصاب الناس ريح فتقطعوا، فضربت ببصري فإذا أنا أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: لأغتنم خلوته اليوم، فدنوت منه فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يقربني - أو قال - يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟

قال: ((

)).

قلت: أجل يا رسول الله.

قال: ((

المسجدة: ١٦.

«، ثم قرأ الآية

ثم قال: «

قلت: أجل يا رسول الله.

قال: «

«.

قلت: ما هو يا رسول الله؟

فأشار بإصبعه إلى فيه.

فقلت: وإنا لنؤاخذ بكل ما نتكلم به؟!

فقال: «

! «.

هذه رواية البيهقي، والحديث رواه أبو داود الطيالسي وعبد الرزاق وأحمد وابن أبي شيبه والترمذي وابن ماجه وغيرهم من طرق وبألفاظ متقاربة، إلا أن سياق البيهقي من أتمها.

• قال يونس بن عبيد: (لا تجد من البر شيئاً واحداً يتبعه البرُّ كلُّه غير اللسان؛ فإنك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر على الحرام، ويقوم الليل ويشهد بالزور بالنهار - وذكر أشياء نحو هذا - ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق؛ فيخالف ذلك عمله أبداً).

سمات المحسنين:

- مما يعين على بلوغ مرتبة الإحسان أن يتعرف طالب هذه المرتبة على سمات المحسنين وهديهم ودلهم، ألا ترى أن طالب كل صنعة ينظر إلى أربابها المبرزين فيها فيرتسم طرائقهم ويحذو حذوهم حتى يعد منهم.
- فكذلك طالب الإحسان ينبغي له أن يتعرف على سمات المحسنين ويصحبهم أحياء وأمواتاً فأما المحسنون الأحياء فهم من أندر الموجود بل هم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، وحيثما وجد واحد منهم فصحبته غنيمة عظيمة لأنه قدوة صالحة يتمثل بها.
- وكم قد سمعنا من بعض مشايخنا مواقف رأوها في صحبتهم لمشايخهم ولبعث الصالحين

كان لها أثر بالغ في نفوسهم ، حتى إن منهم من إذا ذكر بعض أولئك لا يكاد يتمالك نفسه من البكاء لقوة ما أثرت فيه تلك المواقف ، وكانت أبلغ من دروس نظرية كثيرة يتلقاها العبد وقلبه غافل عن عقل معانيها كما ينبغي .

• وأما الأموات فسير كثير منهم محفوظة مسطرة من تأملها وفقه آثارهم ومآثرهم تجلّت له بعض معاني الإحسان بمفهومه العام الواسع الذي يشمل جميع شؤون العبد في عباداته ومعاملاته ويجمعه ما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمته الجامعة الماتعة : ((

• وقد تأملت سمات المحسنين الجامعة لهم فوجدت أهمها وأظهرها : الصدق والإخلاص ، والنصيحة لله ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين ، والسكينة ، والبعد عن التكلف ، وتركهم ما لا يعينهم ، وقد طويت شرحها اختصاراً .

تيسير الإحسان:

• واعلم - أحسن الله إليك - أن بلوغ مرتبة الإحسان أمر عظيم ، وهو يسير لمن يسره الله له ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه : ((

• ومن أدلة ذلك أن الله تعالى أمر بالإحسان ورغب فيه ؛ فقال تعالى :

[البقرة: ١٩٥] ، وقال :

الشريعة تكليف بما لا يُطاق ، ولا ترغيب فيما لا ينال .

• لا يرغب الله في أمر ثم يعسره على عباده إلا أن يأتوا من أسباب الخذلان ما يُحرّمون بسببه التوفيق له ، وأما الصادق المجتهد فحريّ بالفوز بمطلوبه .

• ومن أعظم أسباب التوفيق للإحسان : تعظيم أوامر الله ، وشكر نعمه ، وكثرة ذكره ، والمجاهدة فيه .

• فأما تعظيم أوامر الله عز وجل فإنه علامة على تقوى القلب كما قال الله تعالى :

- وأما شكر النعمة فإن الله تعالى يحب الشاكرين ويوفقهم لما يحبه لهم، ولما اعترض المشركون على هداية ضعفاء المؤمنين قال الله تعالى: [الأنعام: ٥٣].
- وأما كثرة الذكر فتجلي القلب، وتطرد الشيطان، وتزيد محبة الرب جل وعلا في قلب العبد، ومحبة الرب جل وعلا لعبده، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فلا يزال العبد يذكر الله بقلبه ولسانه حتى يوفق للإحسان.
- وقد قال الله تعالى:

[الأحزاب: ٢١].

- ولذلك وصّى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل بكثرة الذكر؛ كما في سنن النسائي من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي عن الصناحي عن معاذ بن جبل قال: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: ((فأنا أحبك يا رسول الله)؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

○ الذكر والشكر عبادتان وتقديمها لأهميتهما ولأنهما من أسباب التوفيق لحسن العبادة.

- ومن جاهد لبلوغ هذه المرتبة وتحراها فحري أن ينالها وقد قال الله تعالى:

() [العنكبوت: ٦٩].

- وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه وهو من الأربعة الذين أوصى معاذ بن جبل عند موته بالتماس العلم عندهم: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرى الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه)، وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً، ورجح الحفاظ وقفه على أبي الدرداء رضي الله عنه.

- وليس من شرط بلوغ مرتبة الإحسان أن يكون العبد مكثراً من الأعمال، وإنما المطلوب إحسان العمل بأداء الفرائض والتقرب بما يتيسر من النوافل بلا تنطع ولا تفريط.

- ولا يستطيع العبد إحصاء الأعمال الصالحة كلها والإتيان بها، كما في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

- وقد نُقِلَ عن جماعة من السلف في بيان فضل بعض المحسنين أنهم لم يَسْبِقُوا بكثرة صلاة ولا صيام وإنما بشيء وقر في قلوبهم.
- وليس من شرط المحسن أن تكون جميع أعماله حسنة، بل إذا كان الغالب على شأنه الإحسان ومقاربتة فهو من أهل الإحسان إن شاء الله تعالى.
- وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: ((

- فالسداد هو الإحسان، والمقاربة هي مقاربة الإحسان.
- بل ليس من شرط المحسن أن يكون معصوماً من الذنوب، فقد يقع في الذنب كثير من المحسنين لكنهم منيبون توابون إذا عملوا سيئة أتبعوها حسنة فمحتها، السرُّ بالسر والعلانية بالعلانية، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه بذلك في الحديث المتقدم ذكره، وفي الحديث الآخر: ((
- رواه أحمد والترمذي وغيرهما.

- والتوبة من العمل غير الحسن مشروعة متقبلة ولذلك يشرع للعبد أن يستغفر الله تعالى بعد أداء العبادة كما ورد في الصلاة والحج وغيرها لما قد يقع في عبادته من التقصير في إحسانها، فالاستغفار ونوافل العبادات مما يجبر به تقصير العبد في عبادته.

- **والإحسان أعلى مراتب الدين**، والمحسون فيه متفاضلون وأعلاهم مرتبة الصديقون.
- وقد زعم بعض الصوفية أن فوق مرتبة الإحسان مرتبة وهي مرتبة الفناء، وله تفسيرات وأنواع عندهم، منها ما هو مقبول إذا فسّر تفسيراً صحيحاً، ولا يجاوز في حقيقته مرتبة الإحسان، ومنها ما هو ضلال مبين.

- واعلموا أن هذه الكلمات وإن استطالها من استطالها فهي مختصرة ملخصة ذكرت فيها خلاصة ما اطلعت عليه وما فتح الله به من تأصيل مسائل هذا الباب؛ فلا يستطل طالب العلم هذه المباحث الملخصة، وقد جُمعت له في موضع واحد لتختصر عليه كثيراً من الوقت

والجهد وتعيينه على فقه مسائل هذا الباب.

- ووراء كل مسألة ما وراءها من التفصيلات والأدلة والآثار والأخبار والأمثلة والقصص التي طويت ذكرها اختصاراً، وإنما ذكرت ما أحسب أنه يفي بالغرض في هذا المقام.

قوله: (وَالدَّيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[القمان: ٢٢].

[النحل: ١٢٨].

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[الطلاق: ٣].

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

()

()

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

()

- وَقَوْلُهُ:

[الآية ليونس: ٦١].

- هذه أدلة من القرآن الكريم لبيان معنى الإحسان وفضله.

- فأما قوله تعالى:

[القمان: ٢٢]؛ الوثقى أي التي لا أوثق منها.

- فتبين أن الإحسان هو أفضل العمل، وأنه لا يكون إلا بإسلام الوجه إلى الله تعالى، أي يكون قصد العبد خالصاً لله تعالى ويكون منقاداً لأوامره جل وعلا مطيعاً له.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[النحل: ١٢٨]؛ فيه بيان

فضل المحسنين وأنهم فائزون بمعية الله تعالى الخاصة التي تقتضي محبته ونصره وتأييده وهداياته وحفظه وغير ذلك من المعاني الجليلة العظيمة التي جعلها الله تعالى لأهل معيته الخاصة.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

[الطلاق: ١٣]؛ التوكل من أجل العبادات،

والذي يحقق التوكل من المحسنين في توكلهم فهو متوكل على الله مؤمن بأن الله يراه ويعلم حاله؛ فتحقق فيه وصف الإحسان.

()

- ومما يوضح هذا المعنى قوله تعالى:

[الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

()

()

• وَقَوْلُهُ:

الآية ليونس: (٢٦).

○ تفيضون فيه أي: تأخذون فيه.

○ ومن آمن بأن الله تعالى شهيد على جميع أعماله وقام بحق هذا الإيمان من إحسان العبادة فهو من أهل مرتبة الإحسان.

قوله: (وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَيَّ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

فَقَالَ:))

•((

فَقَالَ: صَدَقْتُ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ:))

•((

قَالَ: صَدَقْتُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟

قَالَ:))

•((

قَالَ: صَدَقْتُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ:)) .((

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ:)) .((

قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:)) ؟((

قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ:)) ((.

• هذا الحديث يسمى حديث جبريل عليه السلام، وهو من أجلّ الأحاديث النبوية، وفيه بيان مراتب الدين، وبعض أشراف الساعة، وذكر فيه أركان الإسلام وأركان الإيمان ومعنى الإحسان وقد سبق شرح ذلك ولله الحمد.

• وسبق بيان سبب تحديث ابن عمر رضي الله عنهما بهذا الحديث عن أبيه.
• وسيأتي شرح هذا الحديث بالتفصيل المناسب إن شاء الله تعالى عند شرح الأربعين النووية.

هذا، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (٣)

تمهيد:

هذه الأسئلة مستفادة من وقائع وأسئلة مما يستفتي فيه الناس في مسائل لها صلة بالدروس التي سبقت، وحرصت على أن تكون هذه الأسئلة أقرب إلى صياغة السائلين وعبارات أصحاب الدعوات الباطلة ليتعرف الطالب على موضع الخلل ويرده.

ومما ينبغي التفتن له أن الدعوات الباطلة قد تتضمن بعض الحق فيغتر بها بعض الناس لما فيها من بعض الحق، وبعضهم يعبر عن باطله بعبارات جميلة ورنانة ربما يستحسنها من لا يعرف حقيقتها، وذلك كما يسمى المنافقون أعمالهم التي يعملونها في إفساد الدين إصلاحاً وإحساناً وتوفيقاً، وهذه الألفاظ من الألفاظ المحببة إلى النفوس السوية، لكن حقيقة أعمالهم ليست إصلاحاً ولا إحساناً ولا توفيقاً.

والموقف الصحيح أن يميز المؤمن الحق من الباطل، فيقبل الحق ويرد الباطل، ويراعي المقاصد الشرعية، ولا يقبل حكم أصحاب تلك الدعوات على دعواتهم بالألفاظ الحسنة المحببة حتى يعرف الوصف الشرعي الصحيح لتلك الأعمال.

س١: يطلق بعض المفكرين عبارات مفادها أن الإسلام يحترم الديانات السماوية الأخرى، وأن أتباع هذه الديانات كلهم مؤمنون لا فرق بينهم إلا في اختلاف الشرائع، فكل هذه الأديان جاءت من الله، والإسلام دين المحبة والسلام، والمسلم الحق هو الذي يفتح على الآخرين ويتحاور معهم ويتقبلهم؛ فما رأيك في هذه الدعوات؟

س٢: ما تقول فيمن يقول: إن الحدود والتعزيرات التي جاء بها الإسلام حق وعدل لكنها خاصة بالزمان الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأن تلك العقوبات كانت شائعة في ذلك الزمان، وأما في العصر الحاضر مع التطور والتقدم المدني ظهرت وسائل للعقاب أقل وحشية وأكثر ملاءمة لروح الإسلام وسماحته؛ فالأخذ بها أولى تطبيقاً للمبادئ العامة للشريعة؟

س٣: أيهما أفضل إطالة الصلاة أم تخفيفها؟

س٤: تاجر مسلم يريد أن يبلغ مرتبة الإحسان في المعاملة ويخشى أن يخسر في تجارته فما توجيهك له؟

س٥: رجل أساء إلى مسلم إساءة بالغة أضرت به ثم ندم وأراد التوبة؛ وخشي إن أخبره بإساءته وطلب سماحه أن يترتب على ذلك شر كبير، فكيف يصنع حتى يحقق التوبة ويتحلل من تبعه إساءته؟

الدرس السادس عشر: بيان الأصل الثالث من أصول الدين

وهو معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم (٢/١)

قال رحمه الله:

(الأصل الثالث: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.)

عناصر الدرس:

- بيان معنى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ما تستلزمه شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 - معنى التصديق، وبيان ما ينقضه وينقصه.
 - معنى الطاعة، وبيان ما ينقضها وينقصها.
 - معنى المحبة، وبيان ما ينقضها وينقصها.
- أقسام البدع
- نسب النبي صلى الله عليه وسلم.
- عُمر النبي صلى الله عليه وسلم

بيان معنى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم

- هذا الدرس في بيان الأصل الثالث من أصول الدين ، وهو معرفة النبي صلى الله عليه وسلم.
- وهذا الأصل العظيم تنبني عليه مسائل كثيرة من مسائل الاعتقاد ، فلذلك ينبغي أن يعتنى بدراسته جيداً.
- شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصل من أصول الدين ، لا يدخل عبداً في الإسلام حتى يشهد هذه الشهادة.
- وهذه الشهادة العظيمة ينبنى عليها منهج الإنسان وعمله ، وبها تتعلق نجاته وسعادته.
- لا تصح المتابعة إلا بهذه الشهادة العظيمة ، والله تعالى لا يقبل من عبد عملاً ما لم يكن خالصاً له جل وعلا ، وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
- فالإخلاص هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ، والمتابعة هي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ولما كانت الأعمال لا بد فيها من قصد وطريقة تؤدي عليها عدت الشهادتان ركناً واحداً.
- **وشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم تستلزم أموراً عظيمة يمكن إجمالها في ثلاثة أمور كبار من لم يقم بها لم يكن مؤمناً بالرسول صلى الله عليه وسلم :**
 - : تصديق خبره.
 - : امتثال أمره.
 - : محبته صلى الله عليه وسلم.
- وما يعود على أحد هذه الأمور الثلاثة بالبطلان فهو ناقض لشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا انتقضت هذه الشهادة انتقض إسلام العبد.
- الإسلام لا بد فيه من خضوع لله وإخلاص وانقياد ، ومن لم يشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة صحيحة فليس بمنقادٍ ولا خاضعٍ لأحكام الإسلام فلا يكون مسلماً ، وإن ادعى الإسلام.

الأمر الأول: تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم

• فأما الأمر الأول: وهو تصديق خبره صلى الله عليه وسلم، فهو أصل عظيم من أصول الدين، وهذا التصديق ينقضه أمران:

○ الأمر الأول: **التكذيب**.

○ والأمر الثاني: **الشك**.

• فكلٌّ من المكذب والشاك غير مصدق ولا مؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم.

• والتكذيب على درجتين:

○ **التكذيب المطلق**؛ فيدعي أنه كذاب في أصل رسالته أي أن الله لم

يرسله، أو يكذبه فيما يخبر به عن الله جل وعلا وعن أمور الغيب.

وهذا هو تكذيب المشركين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم وتكذيب

بعض أصحاب الملل الأخرى كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

وكذلك المنافقون النفاق الأكبر الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ويضمرون

العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين فهؤلاء وإن شهدوا بألسنتهم أن محمداً رسول الله إلا

أنهم كفار كاذبون كما قال الله تعالى فيهم:

[المنافقون: ١] فهم

كاذبون في دعواهم أنهم يشهدون أن محمداً رسول الله، وإنما نطقوا بهذه الشهادة نفاقاً،

ولو كانوا صادقين في شهادتهم له بالرسالة لقاموا بما يلزم من تصديق خبره وطاعة أمره

ومحبته.

والمنافقون مخالفون لهذه الأمور ناقضون لها؛ فهم مبغضون للرسول صلى الله عليه

وسلم ولما جاء به، وعاصون له، ومكذبون ومشككون في أخباره.

فهذه هي الدرجة الأولى من درجات التكذيب وهو التكذيب المطلق.

○ **تكذيب بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم**، وهذا قد يقع

من بعض من يقرّ برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ويكذبه في بعض أخباره، كإقرار

بعض اليهود والنصارى بأنه رسول، لكن رسالته للعرب وليست لجميع الناس؛ وكتكذيب

- بعض من ينتسب للإسلام لبعض أخبار النبي صلى الله عليه وسلم مع إقراره بصحتها عنه.
- فمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من أخباره فهو كافر بإجماع أهل العلم، ولا ينفعه إقراره بأنه رسول الله ولا تصديقه له في بعض أخباره.
 - وكذلك المشكك في بعض أخبار النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر غير مصدق.
 - ولا يستقيم إسلام العبد حتى يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر به.
 - ويجب التفريق بين تكذيب خبر الرسول بعد الإقرار بصحته إليه، وبين تكذيب الخبر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

○ فتكذيب الخبر المنسوب الذي لم تتحقق صحته عن النبي صلى الله عليه وسلم أو تأوله المتأول على غير معناه الصحيح ليس له حكم تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم.

○ وذلك لأن الأخبار المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم قد تصحّ نسبتها وقد لا تصح، وإذا صحت النسبة فقد يصح تفسير المعنى على ما فهمه المتلقي وقد يفهم منه فهماً خاطئاً مخالفاً لنص صحيح صريح فيكذب الخبر بناء على ما صح عنده من مخالفته للنص المحكم الصحيح؛ فهذا ليس بتكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم في حقيقة الأمر.

○ ولذلك قد يكون لبعض الناس عذر في تكذيب بعض ما يبلغهم من الأخبار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم يمنع من تكفيرهم؛ إما بسبب جهلهم بصحة نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وإما بسبب عدم فهمهم لمعناه على الوجه الصحيح وإما لشبهة أخرى عرضت لهم، وغالب ما يمنع تكفير أصحاب البدع هو هذه الشبهة المانعة من التكفير.

○ أما من أقرّ بصحة نسبة الخبر الصحيح للنبي صلى الله عليه وسلم، وأقرّ بمعرفته لمعناه الصحيح ثم كذبه بعد ذلك فلا شك في كفره.

- كثير من المسائل التي يذكرها العلماء في نواقض الإسلام راجعة إلى هذا الأصل، وهو أنها تقتضي تكذيب خبر النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

- طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تتحقق بامتنال ما أمر به حسب الاستطاعة، واجتناب ما نهى عنه.

• والطاعة من لوازم التصديق ؛ فمن كان تصديقه صحيحاً أذعن بالطاعة ، ومن كان في قلبه مرض الشك والتكذيب ظهر أثر مرضه على عمله.

• طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض واجب ، وهي طاعة الله جل وعلا كما قال الله تعالى :

[النساء : ٨٠] ، وقال :

[التغابن : ١١٢] ، وقال :

[الحشر : ٤٧].

• وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم علامة على صدق محبته ومن ثوابها محبة الله تعالى للعبد المطيع كما قال الله تعالى :

()

[آل عمران : ٣١ ، ٣٢] ولذلك تسمى هذه الآية آية الامتحان.

• وطاعة الرسول من أسباب الرحمة ؛ كما قال الله تعالى :

[آل عمران : ١٣٢] ، وقال :

[الأنبياء : ١٧].

• وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((

))

• إذا أطلق لفظ الطاعة والاتباع في النصوص شمل امتثال أمره واجتناب نهيه وتصديقه ومحبته لأن الاتباع الصحيح لا يتحقق إلا بهذه الأمور.

• والمخالفون في الطاعة على درجتين :

○ : الذين لا يرون أنه يلزمهم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فهؤلاء كفار غير مسلمين ، وإن أقرّوا بصحة رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكل من لم ير طاعة الرسول واجبة عليه لازمة له فهو كافر غير مسلم ؛ لأنه ممتنع عن الطاعة متولٍّ غير منقاد لحكم الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد قال الله تعالى :

[النساء : ٦٥].

ومن هؤلاء من يظهر الطاعة ويبيّن الامتحان حقيقته ولا يأتي من أمر الرسول إلا بما يوافق هواه ورغبته وهذا من شأن المنافقين الذين قال الله فيهم:

()

()

()

()

()

() [النور: ٤٧ - ٥٢].

فلا يستقيم إيمان عبد حتى يسمع ويطيع.

○ الذين يؤمنون بأنه يلزمهم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كبير

الأمر وصغيرها وأن ما أوجبه عليهم فهو واجب، وما حرّمه عليهم فهو حرام، ويلتزمون ذلك، لكنهم يخالفون في بعض الأمر فيرتكبون بعض المحرمات ويتركون بعض الواجبات مع إقرارهم بعصيانهم فهؤلاء من عصاة المسلمين، وهم آثمون مستحقون للعذاب بقدر ما عصوا الرسول فيه، ولا يكفرون إلا إذا أفضت معصيتهم إلى ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، والعياذ بالله.

● وقد ضلت طوائف من أهل البدع في هذا الباب فكفّروا مرتكب الكبيرة كما فعلت الخوارج وقالوا بأن أهل الكبائر خالدون مخلدون في نار جهنم.

● ومن أهل البدع من قال: هم في منزلة بين المنزلتين فليسوا بمسلمين ولا كفار وهم يوم القيامة خالدون في نار جهنم، وهذا قول المعتزلة.

○ وكلا الطائفتين يسميهم أهل السنة الوعيدية.

○ وهؤلاء ينكرون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر وشفاعة الشافعين الذين يأذن الله بشفاعتهم يوم القيامة كشفاعة الشهداء والصالحين وشفاعة الأطفال لأهلهم وغيرهم ممن صح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يشفعون لبعض من استحق النار من المسلمين بسبب عصيانه ومنهم من يدخلها ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين ورحمة

أرحم الراحمين.

○ وأهل السنة والجماعة لا يكفرون أصحاب الكبائر من المسلمين، بل يقولون: هم من عصاة المسلمين، وهم على خطر من عصيانهم، وترجى لهم الرحمة والمغفرة وتنفعهم دعوات المسلمين وصدقاتهم وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة الشافعين فمنهم من تدركه الشفاعة قبل العذاب فينجو ويسلم، ومنهم من يعذب ما شاء الله أن يعذب ثم ينجو بعد ذلك، ولا يخلد في النار إلا كافر.

● خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، فأتباع هديه يفضي بصاحبه إلى أحسن العواقب في الدنيا والآخرة، وأما مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم فإنها تعرض صاحبها للفتنة والعذاب الأليم كما قال الله تعالى؛

[النور: ٦٣].

● هذا تلخيص لأهم المسائل المتعلقة بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحكام العصاة.

الأمر الثالث: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

● محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض واجب، لا يصح الإيمان إلا به، بل يجب تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على محبة النفس والأهل والولد والمال، كما قال الله تعالى:

[التوبة: ٢٤].

● وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

وفي رواية لمسلم: ((

● وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب؛ فقال له عمر: (يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي)؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

((فقال له عمر: (فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي).

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

- وهذا المعنى يشهد له قوله تعالى:
- جرير: (محمد يقول: أحق بالمؤمنين به أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم).
- وقد قال الله تعالى:

الأحزاب: ١٣٦.

- وتقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة النفس والأهل والولد والناس أجمعين على ثلاثة درجات، وهي درجات الاتباع:

○ وهي التي لا يصح الإسلام إلا بها وهي تقديم محبته فيما يلزم منه البقاء على دين الإسلام، والمخالف في هذه الدرجة هم الكفار الأصليون والمتردّون الذين ارتكبوا ناقضاً من نواقض الإسلام فقدموا ما يحبونه من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة الرسول؛ فخرجوا من دين الإسلام بهذه المخالفة.

○ : درجة الوجوب، فيطيع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به أمر وجوب، ويجتنب ما نهى عنه نهى تحريم، والذين يؤدي هذه الدرجة هو مؤمن متقٍّ مؤدِّ للطاعة الواجبة، والمخالف فيها هو الذي يقدّم ما تحبه نفسه وتهواه على طاعة الرسول وهو عاص مخالف للأمر مستحق للعقاب بقدر مخالفته.

○ : درجة الاستحباب والكمال، وهو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به أمر استحباب على ما يستطيع العبد، واجتناب ما ينهى عنه نهى كراهة، وهذه الدرجة من حَقَّقها فهو من أهل الإحسان، ومن خالف فيها بما لا يلحقه بالمخالفين في الدرجة الثانية فهو غير آثم، لكن يفوته من الخير والفضل بقدر ما فرط فيه.

- فتبيّن أن تقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة النفس والأهل والولد والناس أجمعين على هذه الدرجات الثلاث منها ما لا يصح الإسلام إلا به، ومنها ما هو واجب، ومنها ما هو كمال مستحب.

• ويكون معنى **نفي الإيمان** في قوله صلى الله عليه وسلم: ((

...)) :

- ، وهذا للمخالفين في الدرجة الأولى.
- ، وهذا للمخالفين في الدرجة الثانية.
- ، وهذا للمخالفين في الدرجة الثالثة.
- ومما يتصل بهذه المسألة وهي محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أن لها لوازم من لم يأت بها لم تكن محبته صادقة :
- وهذه اللوازم هي : طاعة الرسول ونصرتة ومحبة أصحابه وموالاتهم ومحبة دعوة الرسول ونصرتها ويجمع ذلك كله النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ كما في الصحيحين من حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((قلنا : لمن ؟ قال :))
- والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم واجبة وهي تستلزم الصدق والإخلاص في المحبة والطاعة والنصرة والتصديق.
- ومن قصر في واجب من هذه الواجبات فهو مقصّر في النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإثمه على حسب تقصيره ، كما تقدم شرحه في درجات مخالفة الاتباع.
- فنصيحة المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم تكون بحسب اتباعه له ؛ فكلما كان أكثر اتباعاً كان أكثر نصحاً.
- ومما ينقض هذه المحبة : البغض والإيذاء والسب والاستهزاء.
- ومن وقع في هذه الأمور التي تستلزم عدم محبة النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر بإجماع العلماء.
- والناس في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام :
- القسم الأول : الجفأة المقصّرون في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء على درجتين : كفار ، وعصاة.
- فأما الكفار فهم الذين يبغضون الرسول صلى الله عليه وسلم أو يبغضون شيئاً مما جاء به من شريعة الإسلام.

وأما العصاة فهم الذين يخالفون أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيرتكبون بعض المحرمات ويتركون بعض الواجبات مع طاعتهم له فيما يلزم منه بقاؤهم على دين الإسلام.

○ القسم الثاني: الغلاة الذين غلوا في دعوى محبة النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء على درجتين: مشركون ومبتدعة:

فأما فهم الذين غلوا في النبي صلى الله عليه وسلم حتى صرفوا له بعض أنواع العبادة من الدعاء والنذر وطلب المدد وقضاء الحوائج وغير ذلك.

وأما فهم الذين غلوا في مدحه فأطروه وجاوزوا الحدَّ المأذون فيه من المدح والثناء ولم يصرفوا له شيئاً من أنواع العبادة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب، ومن الغلو ما يفعله بعض الصوفية من بدعة الموالد النبوية وغيرها من مظاهر الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم.

○ : صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه

الكرام والتابعين لهم بإحسان بلا غلو ولا تفريط، وهؤلاء هم الناجون السعداء.

● بعض العلماء يضيف في مقتضيات شهادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)، وهذا يندرج تحت طاعته صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((متفق عليه من حديث عائشة

رضي الله عنها؛ فابتدع شيء من العبادات محرم لا يجوز، والمبتدع عاص ببدعته.

أقسام البدع

● والبدع لها تقسيمات مهمة ينبغي لطالب العلم أن يضبطها، منها أنها

: بدع مكفرة، وبدع مفسقة.

○ فهي التي يكون فيها ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام كأن

تتضمن تلك البدعة شركاً أكبر بصرف العبادة لغير الله عز وجل كما يفعله بعض غلاة

الشيعة والباطنية والصوفية، أو يكون فيها تكذيب لخبر الله عز وجل وخبر رسوله وادعاء ما يخالف دين الإسلام بالضرورة كدعوى بعض فرق الشيعة أن القرآن ناقص محرّف، ودعوى بعض غلاة الصوفية أن أقطابهم يعلمون الغيب ويطلعون على اللوح المحفوظ، ودعوى الجهمية نفي أسماء الله عز وجل وصفاته.

وضابط البدع المكفّرة أنها هي التي تتضمن ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام.

○ وهي التي لا يكون فيها ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام من الشرك الأكبر أو التكذيب أو غيرها من النواقض، وهذه غالب البدع العملية من مثل ما يحدثه بعض المبتدعة من الموالد والأذكار المبتدعة والزيادة على القدر المشروع في بعض العبادات، وتخصيص بعض الأزمنة والأمكنة بعبادات لم يرد تخصيصها بها.

● هذا تلخيص موجز لما تقتضيه شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي مسائل كبار من مسائل أصول الدين ينبغي لطالب العلم أن يفقهها جيداً.

قوله: (الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم).

● أي الأصل الثالث من أصول الدين وهو معرفة النبي صلى الله عليه وسلم.

● وأتى به مضافاً إلى المخاطبين (نبيكم) لإشعارهم بأن هذا الأمر يخصهم ويتصل بهم فهو نبيهم ورسولهم الذي أرسل إليهم، فيجب عليهم أن يعتنوا بمعرفته وأداء حقه.

● وباب الإضافة عند العرب واسع فهي تضيف لأدنى ملابسة، ولا اعتبارات متعددة.

● فالرسول صلى الله عليه وسلم، هو رسول الله، باعتبار المرسل وهو الله تعالى كما قال تعالى:

قال: [الفتح: ٢٩]، وقال: [الحجرات: ١٥] وقال:

[التغابن: ١٢]، وهو رسولنا لأنه أرسل إلينا كما قال تعالى:

[البقرة: ١٨] وهو نبي الله باعتبار

المنبئ الذي نبأه وهو الله تعالى، وهو نبينا باعتبار أنه منبأ إلينا.

● ويضاف أيضاً إلى بعض أوصافه وما أتى به فيقال: نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة.

● والمعرفة المرادة هنا هي المعرفة المحمودة كما سبق بيانه.

نسب النبي صلى الله عليه وسلم

قوله: (وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ).

- عبد المطلب اسمه شيبية، وعبد المطلب لُقِبَ لُقْبَ به، لأنَّ عَمَّهُ المَطْلَبَ أَرَدَفَهُ خَلْفَهُ لَمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ يَثْرِبَ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنَ السَّفَرِ فَظَنُوهُ عَبْدًا لَهُ فَقِيلَ عَبْدُ المَطْلَبِ.
- وهاشم لقب أيضاً، واسمه عمرو، ويقال له: عمرو العُلا، ولُقِبَ بهاشمَ لِهَشْمِهِ الثريد لقومه من كَرَمِهِ، وقيل فيه:

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستتين عجاف
 ○ وهذا البيت نسب لعبد الله بن الزبيرى من قصيدة له قال فيها:
 كانت قريش بيضة تفتقات فالح خالصه لعبد مناف
 الخالطين فقيرهم بغنيهم والظاعنين لرحلة الأضياف
 والرائشين وليس يوجد رائش والقائلين هلم للأضياف
 عمرو العلاء هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستتين عجاف
 ○ ونسب البيت السابق لغيره.
 ○ والمستنون الذين أصابهم سنة أي مجاعة.

- وقريش لقب للنضر بن كنانة، وقيل لقب لفهر بن مالك، والأول أصح لما رواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي وابن أبي شيبية وغيرهم من حديث مسلم بن هيصم عن الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفدٍ لا يرون إلا أني أفضلهم؛ فقلت: (يا رسول الله إنا نزعم أنك مننا)؛ قال: (())
 ((؛ قال: فكان الأشعث يقول: (لا أوتى برجل نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد)). والحديث صححه الألباني.

- وقد ذكر الزهري فيما رواه عبد الرزاق وغيره أنه كان بين بني عبد مناف وبني أكل المرار

من كندة خلطة في الجاهلية أي: تناسب.

• واختلف في سبب تلقيب النضر بقريش على أقوال كثيرة، لم أقف منها على قول تطمئن النفس لصحته.

• ونسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان متفق عليه عند أهل العلم بالحديث والأنساب.

• قال البخاري في صحيحه في كتاب المناقب: (باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان).

• قال ابن القيم: (إلى هاهنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه البتة، وما فوق "عدنان" مختلف فيه. ولا خلاف بينهم أن "عدنان" من ولد إسماعيل عليه السلام) اهـ.

• وما بعد عدنان للنسابين فيه أقوال مختلفة لم أقف على حجة صحيحة لقول منها.

• قال عروة بن الزبير: (ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معدّ بن عدنان). رواه ابن وهب وابن سعد وابن أبي حاتم وغيرهم.

• وقال أبو بكر بن سليمان بن أبي حنّمة وهو من علماء التابعين ومن أهل العلم بالأنساب والأشعار: (ما وجدنا في علم عالم ولا في شعر شاعر أحداً يعرف ما وراء معدّ بن عدنان بثبت). رواه ابن سعد وابن وهب وغيرهما.

• وأما ما أخرجه ابن سعد في الطبقات من حديث هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول: (كذب النسابون قال الله عز وجل (الفرقان: ٢٣٨)؛ فهذا خبر موضوع، لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم).

• لكن صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: (وعاداً وثمود والذين من بعدهم

لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) [إبراهيم: ٩] ثم يقول: (كذب النسابون). رواه ابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم.

○ هكذا في قراءة ابن مسعود.

● وقال السيوطي في الدر المنثور: (وأخرج ابن الضريس عن أبي مجلز قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أنسب الناس؛ قال: إنك لا تنسب الناس؛ قال: بلى؛ فقال له علي رضي الله عنه: رأيت قوله تعالى: [الفرقان: ٣٨]؟ قال: أنا أنسب ذلك الكثير. قال: رأيت قوله:

[إبراهيم: ٩]؟ فسكت).

● لم أقف على إسناده عند ابن الضريس، وأبو مجلز هو لاحق بن حميد السدوسي، من قراء التابعين وفضلائهم.

عمر النبي صلى الله عليه وسلم

قوله: (وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا).

● هذا دليله ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين؛ فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة؛ فمكث بها عشر سنين، ثم توفي صلى الله عليه وسلم).
● فيكون مدة نبوته ثلاث وعشرون سنة، وعمره ثلاث وستون.

الدرس السابع عشر: بيان الأصل الثالث من أصول الدين

وهو معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم (٢/٢)

قال رحمه الله:

(نُبِّيَ بِأَقْرَأَ، وَأُرْسِلَ بِالْمَدَنِيِّ، وَبَلَدَهُ مَكَّةُ.
 بَعَثَهُ اللَّهُ يَلْتَذَارِعَ عَنِ الشُّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.
 وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: () () () ()
 () ()
 وَمَعْنَى: يُنْذِرُ عَنِ الشُّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.
 أَي: عَظُمَهُ بِالتَّوْحِيدِ.
 أَي: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشُّرْكِ.
 الرَّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا، وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا،
 وَعَدَاوَتُهَا وَأَهْلِهَا، وَفِرَاقُهَا وَأَهْلِهَا.
 أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ
 الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ).

عناصر الدرس:

- شرح قوله: (نُبِّيَ بِأَقْرَأَ وَأُرْسِلَ بِالْمَدَنِيِّ)
- الفرق بين الرسول والنبي
- بلد النبي صلى الله عليه وسلم
- بم بعث النبي صلى الله عليه وسلم
- تفسير صدر سورة المدثر
- مدة مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة
- فرض الصلوات الخمس.

قوله: (نُبِّئَ بِإِقْرَأَ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّتِّرِ).

- النبوة منزلة يختص الله بها من يشاء من عباده؛ فيوحي إليهم من أمره ما يشاء.
- وقد ختمت النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى:

[الأحزاب: ٤٠].

- وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ((

)).

- وقد أجمع أهل العلم على ختم النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا نبي بعده ولا رسول.

- وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي ومستدرک الحاكم وغيرها من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

قال: قال: ((، قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟

قال: ((صححه الألباني.

- فكل من ادعى النبوة أو الرسالة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو كذاب.
- قوله: (نُبِّئَ بِإِقْرَأَ) أي كان مبدأ نبوته عليه السلام لما نزل عليه أول سورة العلق:

()

()

()

() [العلق: ١ - ٥].

()

- وخبر بدء الوحي رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها.
- وما كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم من الرؤى الصادقة قبل الوحي هو من إرهاصات النبوة والتهيئة لها.

- وبدأت النبوة ببدء الوحي لما نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء بأول سورة العلق.

• ثم فتر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ،
:

- كانت مدة فترة الوحي سنتان ونصف ، رواه عنه الإمام أحمد في التاريخ كما في فتح الباري لابن حجر ، وهو قول بعيد.
- أنها كانت أياماً ، لكن إسناد هذه الرواية وإيهاً جداً.
- والله أعلم بمدة تلك الفترة ، لكن صح أن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فترة الوحي أول سورة المدثر.
- في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه :))

() :

المدثر: (١ - ٥) . وهي

()

()

()

الأوثان ، قال : ثم تتابع الوحي).

○ الذي قال في تفسير الرُّجْز : (وهي الأوثان) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن كما في رواية عند البخاري : قال : (وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون).

○ وفي رواية في صحيح البخاري أيضاً أن هذه الحادثة كانت قبل أن تفرض الصلاة.

• قوله : (**وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ**) يريد أن نزول صدر سورة المدثر كان بداية الرسالة ، لما تضمنته من الأمر بالندارة.

• وهذا الاستنباط قد قال به جماعة من أهل العلم.

• قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية لما ذكر أن أول ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ ثم سورة المدثر قال : (وبهذا حصل الإرسال إلى الناس ، وبالأول حصلت النبوة).

• وقال نحو هذا القول الحلبي شيخ البيهقي ، وابن تيمية في منهاج السنة النبوية.

الفرق بين الرسول والنبى

- والتفريق بين الرسول والنبى من المسائل التي كثرت فيها أقوال أهل العلم وحصل فيها لبس واشتباه، وفيها مواضع متفق عليها.
- وتلخيص ذلك أن الفرق بين الرسول والنبى يتضح ببيان أمرين:
- : أن النبوة منزلة، والرسالة منزلة أخص منها، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسول، وهذا الأمر عليه قول جماهير العلماء ولا أعرف إماماً معروفاً بالعلم والإمامة في الدين يخالف في هذا القول.

○ وقد نقل عن بعض المعتزلة أنه لا فرق بين الرسول والنبى، وقال به بعض من اشتبه عليه الأمر من أهل السنة، فإنهم زعموا أن لا فرق بين الرسول والنبى فكل رسول نبى وكل نبى رسول، وهذا الزعم باطل؛ فإن الفرق بين الرسول والنبى متحقق لدلالة قول الله تعالى:

[الحج: ٥٢] الآية، وقوله تعالى: [الأعراف: ١٥٧]، وقوله:

[الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى عن بعض أنبيائه:

[مريم:

٥١].

○ ولما في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((

"))

((، قال

البراء بن عازب: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت "اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت" قلت: "ورسولك"، قال: ((

○ ولدلالة حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين في حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يأتون نوحاً فيقولون له: (أنت نوح أول الرسل إلى أهل الأرض). وقد علم بنص الحديث أن آدم عليه السلام نبى مكلم.

- بيان الفرق بين مطلق الإرسال ومنزلة الرسالة ؛ فمطلق الإرسال حاصل
للأنبياء كلهم كما دل عليه قول الله تعالى :

الحج: ٥٢.

- فالرسول مرسل ، والنبي مرسل ، لكن رسالة الرسول أخص من رسالة النبي ومنزلة الرسالة أخص وأعلى من منزلة النبوة ولذلك قدم ذكر الرسول على ذكر النبي في هذه الآية.
- ويدل على ثبوت قدر من الإرسال للأنبياء ما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((

- فهذا حق واجب على جميع الأنبياء لم يستثن منه أحد منهم.
 - وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن الناس يأتون نوحاً فيقولون له : (يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض) فعلم بذلك أن نوحاً عليه السلام أول الرسل ، ونبوة آدم عليه السلام ثابتة ، بل هو نبي مكلم كما في حديث أبي ذر وأبي أمامة في المسند والمستدرک وغيرهما ، وتكليم الله تعالى لآدم ثابت بنص القرآن ، ولا بد له ولن معه من شرع يتعبدون الله تعالى به كما قال الله تعالى :
- المائدة: ٤٨ ، وقد قال الله تعالى :

البقرة: ٣٨ واتباع الهدى هو امتثال ما

- أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ، وهو معنى الشريعة.
- وهذا يقتضي أنه أمر بتبليغ ذلك الهدى وزوجه وذريته ، ومع ذلك فهو نبي مكلم وليس برسول لدلالة حديث أبي هريرة.
- ونظير هذه المسألة مسألة الإيمان والإسلام ؛ فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم بمؤمن ، ولا بد في الإسلام من قدر من الإيمان يصح به ، وإلا فلو انتفى الإيمان جملة عن العبد لانتفى عنه الإسلام جملة.
- والمقصود أن الرسالة منزلة أخص من منزلة النبوة وأعلى منها ، كما أن الرسل أيضاً على

منازل متفاضلة بعضهم أفضل من بعض كما قال الله تعالى :

البقرة: ٢٥٣ وقال تعالى :

الإسراء: ٥٥.

- وأفضل الرسل أولوا العزم الخمسة المذكورون في قوله تعالى :

الشورى: ١٣، وفي قوله تعالى :

الأحزاب: ٤٧.

- وأفضل الخمسة الخليلان محمد وإبراهيم عليهما السلام.
- وأفضل الخليلين نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

توضيح

- من أهل العلم من يقول: إن الرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبى من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ.
- وهذا القول اشتهر عند أهل العلم وفي نشأته والتعبير عنه بهذا التعبير لبس ينبغي توضيحه حتى يتضح الأمر لطالب العلم.
- وأول من نُسب إليه هذا القول بهذا التعبير فيما أعلم أبو سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) رحمه الله، ونص كلامه في كتابه أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري: (والفرق بين النبى والرسول أن النبى هو المنبأ - فعيل بمعنى مفعّل - والرسول هو المأمور بتبليغ ما نُبئ وأُخبر به؛ فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا).
- وهذا القول اختصره ابن الأثير في جامع الأصول فقال: (قال الخطابي: والفرق بين النبى والرسول: أن الرسول هو المأمور بتبليغ ما أنبئ وأُخبر به، والنبى هو المخبر ولم يؤمر بالتبليغ، فكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولا).
- فأضاف كلمة (ولم يؤمر بالتبليغ) من باب التوضيح لما فهمه، واشتهر هذا التعريف لدى المتأخرين لشهرة الكتاب، ولنسبة هذا القول لأبى سليمان الخطابي رحمه الله وهو

من أجلّ شراح الأحاديث.

• وقد قال بنحو هذه الإضافة البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) رحمه الله فقال: (والنبوة اسم مشتق من النبأ وهو الخبر إلا أنّ المراد به في هذا الموضع خبر خاص، وهو الذي يكرم الله عز وجل به أحدا من عباده فيميزه عن غيره بإلقائه إليه، ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعده ووعيد؛ فتكون النبوة على هذا الخبر والمعرفة بالمخبرات الموصوفة فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المخبر بها؛ فإن انضاف إلى هذا التوقيف أمرٌ بتبليغه الناس ودعائهم إليه كان نبيا ورسولا، وإن ألقى إليه ليعمل به في خاصته ولم يؤمر بتبليغه والدعاء إليه كان نبيا ولم يكن رسولا؛ فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا).

• وهذا القول في أصله مأثور عن مجاهد بن جبر فيما رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما ذكره السيوطي في الدر المنثور، وهو موجود في التفسير المطبوع باسم تفسير مجاهد، وهو الذي يرويه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني وجادة عن إبراهيم بن ديزيل الحافظ أنبأنا آدم بن أبي إياس، قال أنبأنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى:

[مریم: ٥١]

قال: (النبي هو الذي يُكَلِّمُ وَيُنزِّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُرْسَلُ، والرسول هو الذي يُرْسَلُ).

• وقال الفراء: (فالرسول النبي المرسل، والنبي: المحدث الذي لم يُرْسَلُ).
• وقال ابن جرير في آية الحج: (فتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم، ولا نبيّ محدث ليس بمرسل).

• فهذا أصل هذا القول، لكن قول من قال (ولم يؤمر بتبليغه) كان هو منشأ الإشكال، ومع ذلك احتمله الجمهور إذ كان الأصلان السابقان متقررين.

• ومن أهل العلم من ردّ هذا التعبير إذ فهموا من قولهم: (لم يؤمر بالتبليغ) النفي المطلق.
• وفرّع بعضهم عليه لوازم باطلة ليست مرادة لأصحاب هذا القول.

• وهذا الأمر مما ينبغي لطالب العلم التفتن له، وله نظائر في المسائل العلمية، وهو أن أقوال أهل العلم التي يذكرونها لتوضيح بعض المسائل أو التعبير عن بعض الأقوال بعبارات جامعة مما يقع فيه الاجتهاد لإصابة المعنى المراد ثم قد يكون في تعبيرهم عموم غير مراد إذ ألفاظ العلماء ليست كألفاظ الوحي.

- وطالب التحقيق في هذه المسائل ينبغي له النظر في أصول الأقوال ونشأتها وعبارة العلماء عنها ليضع الأقوال مواضعها، فإن الغالب عليهم أنهم إنما يترجمون عن معان مقررة بعبارات تبينها وتوضح المراد منها حسب اجتهادهم، ويقع في تلك الألفاظ ما لهم فيه مراد وقد يفهمه بعضهم على غير مرادهم.
- فلا ينبغي لطالب العلم أن يحمل الخطأ في التعبير عن القول - إن وجد - على رده جملة؛ فانظر الفرق بين كلام مجاهد والفراء والطبري والخطابي وكلام ابن الأثير والبيهقي ومن تبعهم.
- بل انظر الفرق بين كلام البيهقي وما اشتهر لدى أهل العلم أن الرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبى من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.
- فقول البيهقي: (ليعمل به في خاصته) دليل على وجود قدر من التبليغ يؤمر به النبى فبذلك تعلم أن مرادهم هو مراد من تقدم لكنهم أرادوا تفسير لفظ الإرسال بما يبينه لثلا يكرر اللفظ، والتبليغ هو مقتضى الإرسال كما قال تعالى:

[النحل: ٣٥]؛ ففسروا اللفظ بمقتضاه.
- وقال الله تعالى:

()

[الأحزاب: ٣٨، ٣٩]. ()

○ فقال: [الأحزاب: ٣٨] فذكره بوصف النبوة، ثم قال:

[الأحزاب: ٣٨] وهم الأنبياء بلا خلاف، ثم وصفهم فقال:

[الأحزاب: ٣٩].

فالتبليغ من واجبات النبوة.

- فقول هؤلاء العلماء: (وأمر بتبليغه) هو معنى قول من تقدم (وأرسل) لأن الأمر بالتبليغ هو مقتضى الإرسال.
- فليس مرادهم من قولهم: (ولم يؤمر بتبليغه) نفي مطلق الإرسال والتبليغ، وإنما المراد نفي مقتضى ما تختص به منزلة الرسالة عن منزلة النبوة؛ فإن منزلة الرسالة تقتضى تميز

(الرسول) برسالة لا يشترك معه فيها (النبي)، وهذا هو القدر المنفي عن النبي في قول العلماء، ولم يريدوا نفي الإرسال عنه جملة.

أقوال العلماء في مسألة الفرق بين الرسول والنبي

- ولأهل العلم في التفريق بين الرسول والنبي أقوال، أشهرها خمسة أقوال:
- هو المتقدم ذكره، وهو أشهر الأقوال، وقد بينت ما فيه من الإشكال وجوابه.
- أن الرسول هو الذي يأتيه جبرئيل بالوحي عياناً وشفاهاً، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، وهذا قول الثعلبي في تفسيره، وتبعه الواحدي والبغوي والخازن، وحكاه الماوردي في تفسيره قولاً، ولم يعزه لأحد، وكذلك فعل أبو المظفر السمعاني، وقد اعتمده كثير من الشيعة.
- وهذا القول في التفريق لا يصح فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما نبئ بنزول: (العلق: ١) وأما قول عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: (كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح).
- فالمراد به مقدمات النبوة، لا النبوة نفسها، فإن بدء النبوة كان بنزول قوله تعالى: (العلق: ١).
- قال النووي نقلاً عن القاضي عياض وغيره من العلماء: (إنما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لثلاثاً يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قواه البشرية)، وبنحوه قال غير واحد من أهل العلم رحمهم الله تعالى.
- أن الرسول من أنزل معه كتاب، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله، وهذا قول الزمخشري في تفسيره، واختاره النسفي.
- الرسول من أرسل إلى قوم مخالفين ليبلغهم رسالة الله، والنبي من كان

يعمل بشريعة من قبله ، ولم يرسل إلى أحد ليبلغه رسالة الله ، وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية ، نص عليه في رسالة النبوات.

○ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (فالنبي هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبي بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول).

○ وكلام شيخ الإسلام يشكل عليه نبوة آدم عليه السلام ، وكذلك اشتراط المخالفة في الرسالة إذ لا أعلم عليه دليلاً ، وإن كان دليله استقراء أحوال الرسل والأنبياء على ما ذكر في النصوص ، فيقال : قد دل النص على أن لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن ، والعداوة تقتضي المخالفة وتدل عليها باللزوم ، وكذلك المقاتلة كما في قوله تعالى :

{آل عمران: ١٤٦} ، لكن قوله تعالى :

.. {الأنعام: ١١٢} ، أصرح في الدلالة لشمولها جميع الأنبياء.

● : الرسول من أوحى إليه بشريعة جديدة يدعو الناس إليها ، والنبي من بعث لتقرير شرع سابق ، وهذا القول ذكره عبد القاهر بن طاهر البغدادي حكاية عن اعتقاد الأشاعرة ، واختاره البيضاوي وأبو السعود ، وقد حكاه قولاً أبو المظفر السمعاني وأبو حيان ، لكن البغدادي ذكر أن آدم عليه السلام هو أول الرسل.

○ والبيضاوي أيضاً خالف هذا القول في موضع آخر من تفسيره كما نبّه إليه العملي في الكشكول ، حيث قال في تفسير سورة مريم في شأن إسماعيل عليه السلام : (عريم: ٥١) يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة ، فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته).

● هذه الأقوال الخمسة هي أشهر الأقوال في هذه المسألة ، وفيها أقوال أخرى غير مشتهرة .
● والقول الصحيح هو القول المأثور عن مجاهد رحمه الله ، وهو ما قاله الفراء وابن جرير وعليه جمهور أهل العلم لولا ما أثير من الإشكال حول ذلك التعبير الشائع ، وقد علمت جوابه.

بلد النبي صلى الله عليه وسلم

قوله: (وَبَلَدُهُ مَكَّةُ).

- أي أن بلده الذي نشأ فيه مكة، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم، وهي أم القرى والبلد الأمين الذي أقسم الله تعالى به فقال:

[البلد: ١، ٢٢].

()

○ المقصود بهذا البلد مكة بإجماع المفسرين.

- وقد ورد من حديث ابن عمر وحديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عدي رضي الله عنهم أنها أحب البلاد إلى الله.

بِمُ بَعَثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قوله: (بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ).

- النذارة بكسر النون: الإنذار، وهي ضد البشارة، وأعظم ما أُنذر عنه النبي صلى الله عليه وسلم الشرك.
- وأعظم ما دعا إليه التوحيد.

- قوله: (بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ)، بهذا الإطلاق له وجه صحيح، وهو أن الطاعات كلها مردها إلى التوحيد، والتوحيد يكون بالقلب واللسان والجوارح، والمعاصي كلها من جنس الشرك، وقد يكون الشرك أكبر، وقد يكون أصغر، وقد يكون من باب إشراك النفس والهوى بإيثار ما تحبه على ما يحبه الله عز وجل، فيكون في ذلك نوع تشريك.

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

() () () () () () () ()

[المدثر: ١-٧].

- هذه الآيات هي أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فترة الوحي الأولى، كما تقدم بيانه.

- والمدثر: أصله: (المتدثر) ثم أدغمت التاء في الدال وشدّدت.

- والمدثر هو المتغطي بالذئار وهو لباس يكون فوق الشعار ؛ فالشعار هو اللباس الذي يلي الجسد، والذئار لباس فوقه، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.
- قال الفراء وأبو معمر وابن قتيبة وابن جرير وغيرهم: المدثر هو المدثر بثيابه إذا نام.
- وقال إبراهيم النخعي: كان مدثراً بقطيفة.
- قوله: (وَمَعْنَى: يُنذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ).
- قال ابن جرير: (وقوله: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قم من نومك فأندر عذاب الله قومك الذين أشركوا بالله، وعبدوا غيره).
- والإنذار يكون من العذاب وسببه ؛ فالشرك سبب للعذاب، والنار وما يعاقب الله به المشكرين عذاب، ويقع الإنذار من هذا وهذا.
- قوله: (أَي: عَظَّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ).
- قال ابن جرير:) يا محمد فعظم بعبادته، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد).
- فالتكبير هو التعظيم كما قال الله تعالى: (الإسراء: ١١١).
- قال الشنقيطي:) (الإسراء: ١١١) أي: عظمه تعظيماً شديداً، ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة على امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارة إلى كل ما يرضيه: كقوله تعالى: (الحج: ٣٧)، ونحوها من الآيات).
- قوله: (أَي: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ).
- هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، أن الطهارة فيه معنوية، والعرب تسمي الرجل الذي يتعفف ويتنزه عن المعاييب والفواحش والمكاسب المحرمة نقى الثياب، وطاهر الثياب، وطيب الأردان، ومنه قول امرئ القيس:
- ثيابُ بني عوفٍ طَهَّارِي نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غَرَّانٌ
- كما يسمون الفاجر والغادر والفاحش وأكل السحت دنس الثياب، ومنه قول الشاعر فيما أورده ابن قتيبة:

لاهمَّ إن عامر بن جهم أوذمَ حجاً في ثيابِ دُسم

○ أوذم: أي عزم وأوجب، والثياب الدسم هي المتسخة.

• وقد روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى:

قال: لا تلبسها على معصية ولا على غدره، ثم أنشد قول غيلان الثقفي:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتقنع

• والمقصود أن تطهير الثياب يراد به تطهير النفس من النجاسات المعنوية، وأشدّها

الشرك.

قوله: (الرَّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلُهَا، وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا،

وَعَدَاوَتُهَا وَأَهْلُهَا، وَفِرَاقُهَا وَأَهْلُهَا).

• والرّجز: الأوثان، تضم الراء وتكسر، وهما قراءتان.

• وقد قال الله تعالى:

[الحج: ٣٠].

• قال ابن المبارك اليزيدي: (الرجز والرجس واحد).

• وقد قيل في اشتقاق هذه العبارة أن هذا الأصل الذي هو الراء والجيم والزاي (رج ز)

يفيد الاضطراب، ويفيد المهانة أيضاً، فيه معنى الاضطراب وفيه معنى الامتهان، لأن أصل

الرجز في اللغة هو داءٌ يصيب أعجاز الإبل فتضطرب منه أي: تتحرك حركة مضطربة.

○ قال ابن فارس: (الراء والجيم والزاء أصلٌ يدلُّ على اضطرابٍ. من ذلك الرّجْزُ: داءٌ

يصيبُ الإبلَ في أعجازِها، فإذا ثارت النَّاقَةُ ارتعشتُ فحِذاها، ومن هذا اشتقاق الرّجْزِ من

الشِّعْرِ؛ لأنه مقطوع مضطرب).

• والشرك فيه اضطراب؛ لأنه على غير قرار ولا يستند لحجة ولا يطمئن قلب صاحبه،

بل هو مضطرب في اعتقاده، مضطرب في سلوكه، قال الله تعالى:

[الحج: ٣١]، وقال:

[إبراهيم: ٢٦]، وفيه أيضاً

[الحج: ١٨].

معنى الامتهان:

• ولا يسلم العبد من هذا الاضطراب والامتهان إلا بالتوحيد؛ فإنه بالتوحيد يتطهر ويزكو

ويطمئن، فيكون طيباً مباركاً ثابتاً على يقين وبينه من أمره، يمشي سوباً على صراط مستقيم.

قوله: (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ).

- أي من بعثته، مكث عشر سنين ودعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك، قبل أن تفرض الصلاة والزكاة والصيام والحج وكثير من أحكام العبادات والمعاملات.
- وهذا يدل على أهمية التوحيد، وأهمية الدعوة إليه، وأنه أصل الدين، وأولى ما يعتنى به.

قوله: (وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ).

- أي وبعد عشر سنين من البعثة عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
- وفرضت عليه وعلى المسلمين الصلوات الخمس، وهي خمس في العدد وخمسون في الأجر.

قوله: (وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ).

- يقصد صلى الصلوات الخمس، وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم قد فرض عليه قيام الليل لما نزلت سورة المزمل ثم نسخ هذا الإيجاب.
 - وتأريخ فرض الصلوات الخمس مختلف فيه بين أهل العلم حتى ذكر ابن حجر أن في هذه المسألة نحو عشرة أقوال لأهل العلم، لكن أشهرها ثلاثة أقوال:
 - : أنه قبل الهجرة بنحو سنة، وهذا قول ابن سعد في الطبقات وقول إبراهيم الحربي وابن حزم وجماعة من أهل العلم، ومنهم من يزيد شهراً وينقص شهراً.
 - : أنه قبل الهجرة بثلاث سنين، وهذا القول حكاه ابن حجر عن ابن الأثير، وقال به ابن قدامة في المغني، قال ابن رجب: (وهو أشهر).
 - : أنه بعد البعثة بخمس سنين، وهو قول الزهري، ورجحه النووي.
- والمسألة بحاجة إلى مزيد بحث، والله تعالى أعلم.

قوله: (وَبَعْدَهَا أُمْرٌ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ).

- أي بعد ثلاثة عشرة سنة ، كما دل عليه حديث ابن عباس في صحيح البخاري وغيره ، وقد تقدم ذكره.

هذا والله تعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الثامن عشر: الهجرة

قال رحمه الله:

(وَبَعْدَهَا أُمْرٌ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.
وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَالْهَجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ
مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

()

()

[النساء: ٩٧ - ٩٩].

[العنكبوت: ٥٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

قَالَ الْبَغَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : (سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَمَكَّةَ لَمْ
يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ).

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: »

«.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمْرٌ فِيهَا بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ مِثْلَ الزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْأَذَانِ
وَالْجِهَادِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.
أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوفِّيَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ).

عناصر الدرس:

- الهجرة في سبيل الله
 - معنى الهجرة
 - أنواع الهجرة
 - مقاصد الهجرة
 - فضل الهجرة في سبيل الله تعالى
 - متى تنقطع الهجرة
 - هجرة البادي وهجرة الحاضر
 - حكم الهجرة
- فرض بقية شرائع الإسلام بعد تقرير التوحيد
- تاريخ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

معنى الهجرة:

قوله: (وَالهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَالهَجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ).

• الهجرة في اللغة هي الانتقال من بلد إلى بلد، وسمي فاعل ذلك مهاجراً، لأنه قد هجر بلده ومن فيه، وَرَغِبَ عَنْ جوارهم.

• وقد تنوعت عبارات أئمة اللغة في بيان معنى الهجرة، والاطلاع على أقوالهم مفيد طالب العلم، إذ يحصل بمجموع كلامهم فهم المعنى المقصود من أكثر من وجه.

○ قال أبو منصور الأزهري: (كلُّ من فارق رباعه من بدويٍّ أو حَضْرِيٍّ وسكن بلداً آخر فهو مُهاجر، والاسم منه الهجرة).

رباعه: أي محل إقامته.

○ وقال ابن سيده في المحكم: (الهجرة: الخروج من أرض إلى أرض).

○ وقال الخليل بن أحمد: (الهَجْرُ والهجران ترك ما يلزمك تَعَهُدُهُ ومنه اشْتَقَّتْ هجرةُ المهاجرين لأنَّهم هَجَرُوا عشائِرَهُمْ فتقطَّعواهم في الله قال الشاعر:

وأكثرَ هَجَرَ البيتِ حتَّى كأنني مَلَلْتُ وما بي من مَلالٍ ولا هَجْرٍ).

• فتيب أن الهجرة في اللغة لا بد فيها من مفارقة وانتقال؛ فيفارق محل إقامته، وينتقل إلى بلد آخر يقيم فيه، وبذلك يكون مهاجراً.

• والهجرة تنقسم إلى قسمين: هجرة معنوية وهجرة حسية.

• فهي: هَجْرُ كُلِّ ما نهى الله عنه كما في صحيح البخاري من حديث

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

..))

• وهذه الهجرة المعنوية شأنها عظيم بل هي أصل الهجرة الحسية، كما أن جهاد النفس أصل سائر أنواع الجهاد.

• وهي واجبة في هَجْرِ ما نهى الله عنه نهياً تحريماً، ومستحبة في هَجْرِ ما نُهي عنه نُهي كراهة دون نهى التحريم.

• والمؤمن مأمور بأن يحقق الهجرة المعنوية وذلك بترك جميع ما نهى الله عنه نهى تحريم أو كراهة من قول أو فعل أو اعتقاد.

• وهذه الهجرة تقتضي أن ينيب العبد المهاجر بقلبه إلى الله عز وجل ؛ فيهاجر من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن البدعة إلى السنة، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الإساءة إلى الإحسان.

• ومن تأمل أحوال هذه الهجرة وجدها تنتظم جميع أعمال العبد وحركاته وسكناته، ومن كان هذا دأبه كان من الأوابين المنيبين.

• قال ابن القيم رحمه الله في الرسالة التبوكية : (

○ هجرة بالجسم من بلد إلى بلد، وهذه أحكامها معلومة وليس المراد الكلام فيها.

○ الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه هي المقصودة هنا، وهذه

الهجرة هي الهجرة الحقيقية، وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها.

• وهي هجرة تتضمن (من) و(إلى) فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له، وهذا بعينه معنى الفرار إليه قال تعالى :

الذاريات :

(٢٥٠) هـ.

• وفي مسند الإمام أحمد والتاريخ الكبير للبخاري وشعب الإيمان للبيهقي أن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((

((.

• وفي مسند الإمام أحمد وغيره من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه وهو

من السابقين الأولين إلى الإسلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: (أي الهجرة أفضل؟). قال: (()) .

• ورواه أبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو وعبد الله بن حبشي مع إبهام السائل، ولفظه: قيل: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: (()) .

• والهجرة المعنوية يتحدث عنها علماء السلوك والتزكية ويقسمونها إلى هجرتين:

○ ١: هجرة إلى الله تعالى بالإخلاص ويفيضون في الحديث فيها عن مسائل الإخلاص وتطهير القصد مما ينقض الإخلاص أو ينقصه من الشرك الأكبر والأصغر وإرادة الدنيا بعمل الآخرة وسائر حظوظ النفس المحرمة وحيل الشيطان في صرف العبد عن تحقيق الإخلاص.

○ ٢: وهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق المتابعة ويفيضون في الحديث فيها عن اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات ومعرفة تفاصيل ذلك وعلاماته ومراتبه.

• وغاية ما يبلغه العبد من درجات الإحسان إنما يحصل له بتحقيق هاتين الهجرتين.

• ومن أحسن ما أُلّفَ في هذا الباب كتاب ابن القيم رحمه الله الموسوم بطريق الهجرتين وباب السعادتين.

• يقصد بالهجرتين: الهجرة إلى الله تعالى، والهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، ويقصد بالسعادتين: سعادة الدنيا والآخرة.

• وأما الهجرة المرادة هنا فهي التي عرّفها المؤلف بقوله: (وَالهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)

• قوله: (من بلد الشرك) أي البلد الذي يكون للمشركين فيه سلطان وحكم؛ بحيث يمنعون به بعض المسلمين من إقامة دينهم.

• (إلى بلد الإسلام) أي إلى البلد الذي يكون الحكم فيه للمسلمين.

• وهذه الهجرة واجبة وجوباً مؤكداً في نصوص الكتاب والسنة، بل من تأمل النصوص وتعرف على مقاصد الهجرة وفضائلها وأحكامها تبين له أن للهجرة شأناً عظيماً في الإسلام، وأنها سبب عظيم لرفعة الدين وعزة المسلمين.

- وهي واجبة على كل من لم يستطع إظهار شعائر دينه بسبب تسلط الكافرين عليه لينتقل إلى البلاد التي لا سلطان للكفار عليها، فيعبد الله عز وجل ويظهر شعائر دينه.
- وهذا يدل على أهمية سعي المؤمنين في التخلص من تسلط الكافرين والمنافقين، وأنه لا يمكنهم إقامة دينهم على الوجه المرضي ما داموا تحت تسلط الكافرين أعداء الدين.
- من شأن أعداء الدين أنهم مجتهدون في محاربة دين الله عز وجل، ومحاربة عباده المؤمنين لا يألونهم خبالاً، ولا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة، ولا يكتنونهم من إقامة الدين على الوجه المرضي.

- ومن تأمل أحوال المسلمين اليوم ورأى اجتهاد الكفار وتآمرهم على المسلمين وسعيهم بكل سبيل إلى التضييق على المؤمنين وإضعاف قوتهم واجتهادهم وتناذرهم على ألا تقوم لهم قائمة، وتفننهم في أساليب غزوهم فكرياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً علم مقدار ما يكتنه أولئك الكفار من العداوة الشديدة للمسلمين.

- ولولا أن الله تعالى قد ضمن ألا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورين ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم لاندرست معالم الدين من عظم كيدهم ومكرهم

[إبراهيم: ٤٦].

- والمقصود أن الإقامة في سلطان الكفار فيها مفسد كبيرة، وفتن عظيمة.
- وقد شرع الله الهجرة لإخراج المؤمنين من الضيق إلى السعة ومن الذلة إلى العزة ووعدهم النصر كما قال تعالى:

()

[الحج: ٣٩، ٤٠].

مقاصد الهجرة

- للهجرة مقاصد عظيمة وحكم جليلة:
 - أنها سبب لحفظ المؤمنين من الفتنة في الدين.
 - أنها سبب لعزة المؤمنين ورفعتهم ومنعتهم من ظلم الكفار وتسلطهم عليهم في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

- : أن تميّز المسلمين في بلادٍ لا يكون للكفار سلطان عليها سبب لإقامة الجهاد في سبيل الله ، ومقاتلة الكفار الذين لا يستجيبون لدعوة الحق ولا يسألون المسلمين.
- : أن مَنْ كان يخفي إسلامه خوفاً من تسلط الكفار إذا علم بقيام بلد مسلم بأحكام الجهاد وإيواء المهاجرين ونصرتهم هاجر إليه ؛ فيكثر المهاجرون وتكون لهم شوكة يدفعون بها عن أنفسهم ويقاتلون من يستحق القتال.
- وقد حقق شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذه الأمور في دعوته المباركة ، وقد أحسن بذكر هذه المسألة هنا في بيان أصول الدين ، وهذا يعرفك بخبرته رحمه الله وحسن إعداده لهذه الرسالة وانتقائه لمباحثها.
- وقد تحالف الشيخ رحمه الله مع أمير الدرعية لإقامة دولة إسلامية لا سلطان للكفار عليها ولا لمن والاهم من المنافقين والظغاة الذين كانوا في ذلك الزمان ، واعتنى بتعليم العقيدة الصحيحة ونشر الفقه في الدين ، ولا سيما في مسائل التوحيد وأصول الدين ، ودعا المسلمين إلى الهجرة إليها وبين أنها واجبة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام حتى اجتمع له جيش وقوة.
- ثم بدأ بدعوة من يليهم من البلدان التي يدين أهلها وحكامها بالشرك وإن كان فيهم من لا يقرّ الشرك ولا يقدر على تغييره ؛ فدعاهم إلى التوحيد ؛ فمن استجاب دخل في دولة التوحيد وأُفِرَّ على ما بيده من الولاية ، وكان عوناً للمسلمين ومدداً لهم ، ومن أصرَّ على الشرك وأبى الاستجابة لدعوة التوحيد استعانوا بالله على قتاله.
- وكانوا موفقين منصورين في حروبهم على من عاداهم وناوأهم لما كانت النية خالصة لنصرة دين الله عز وجلّ ، وكان الشيخ معهم يعظهم وينصحهم ويحذرهم من أسباب الهزيمة التي عرفها من أدلة الكتاب والسنة حتى أقيمت الدولة وكتب الله لها النصر وتوحّدت له البلاد بعد أن كانت إمارات متفرقة ينتشر فيها الشرك والبدعة والخرافات ويسومها الظغاة سوء العذاب.
- وبقيت الدولة في عزٍّ وهيبة حتّى حصل ما حصل من التغيير بعد وفاة الشيخ رحمه الله بزم من فكانت الهزيمة المؤسسة التي قضت على الدولة السعودية الأولى.
- قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : (فلما حصل بعض التغيير في آخر الزمان بعد

وفاة الشيخ محمد بمدة طويلة، ووفاة كثير من أبنائه رحمة الله عليهم وكثير من أنصاره حصل بعض التغيير فجاء الابتلاء وجاء الامتحان بالدولة التركية، والدولة المصرية، مصداق قوله عز وجل:

{الرعد: ١١} ا.هـ.

فضل الهجرة في سبيل الله تعالى

- وعد الله المهاجرين في سبيله وعداً حسناً وفضلاً عظيماً؛ فمن كتبت له الحياة نال من ثواب الدنيا ما تقرّ به عينه ومن اصطفاه الله فمات أو قتل لقي من إكرام الله تعالى له ما لا يخطر له على بال.
- كما دل على ذلك قول الله تعالى:

()

{النحل: ٤١، ٤٢} ()

- وقوله:

()

()

{الحج: ٥٨ - ٦٠} ()

- ومن فضائلها أنها تهدم ما كان قبلها من الذنوب والمعاصي كما في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي؛ فَقَالَ: ((قلتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ؛ قَالَ:)) ((قلتُ: أَنْ يُعْفَرَ لِي؛ قَالَ:)) ((

((

- وهذا يدل عليه قوله تعالى:

{النحل: ١١٠} ()

- ومن فضائلها ما رواه ابن حبان في صحيحه والبخاري في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((
- ((والحديث صححه الألباني رحمه الله.

• والذي ينال فضائل الهجرة إنما هو المخلص فيها، الذي هاجر لله عز وجل، ولم تكن هجرته لأجل الدنيا كما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

..))

• وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لعظم ثواب هذه الهجرة اكتفي بإعادة ذكرها في جواب الشرط ((فكأنه قيل: لا تسأل عن ثوابها؛ فتوابها أعظم من يذكر.

• وهذا القول له أصل في اللغة فإن الإبهام يأتي في اللغة أحياناً للمبالغة، وهذا كما أبهم أجر المهاجر، وجعله الله تعالى واجباً عليه في قوله تعالى:

النساء: ١٠٠.

• فهذا الذي خرج من بيته ولم يقل (من بلده)، وهو عازم على الهجرة؛ فما بالك بمن تتم له هجرته وجهاده؟!.

• في الصحيحين من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نلتمس وجهه الله؛ فوقع أجرنا على الله؛ فمننا من مات لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد وترك نَمِرَةً؛ فكنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه؛ فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجله شيئاً من الإذخر، وَمِمَّا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِيهَا).

• ونظير هذا قول عتبة بن غزوان رضي الله عنه وكان من المهاجرين الأولين لما ولاه عمر بن الخطاب إمارة البصرة خطب في أهلها خطبة جلييلة رواها الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وغيرهما، قال فيها: (ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، والتقطت بُرْدَةً، فشققتها بيني وبين سعد بن مالك - يقصد سعد بن أبي وقاص - ، فاتزرتُ بنصفها، واتزرتُ سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، فإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي

عظيماً، وأنا عند الله صغير، وإنه لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى تكون عاقبتها ملكاً، وستخبرون وتجرّبون الأمراء بعدنا).

- فهؤلاء المهاجرون رضي الله عنهم كانوا في ضيق ومحنة من تسلط الكفار عليهم؛ فلما أمرهم الله بالهجرة استجابوا لله تعالى وهاجروا ابتغاء مرضاته فصدقهم الله وعده فمن مات منهم أو قتل رزقه الله من فضله العظيم ما لا تقوم له الدنيا وأضعافها، ومن بقي منهم بواه الله مبراً حسناً ورزقه رزقاً كريماً في الدنيا وما أعد الله لهم في الآخرة أعظم.
- ولك أن تتفكر في نفسك: هل كانت تبلغ أمانى من كان مستضعفاً في مكة والمسلمون قليل عددهم ضعيفة عدتهم والمشركون في زهوهم وعتوهم وطغيانهم يسومون عباد الله المؤمنين سوء العذاب، هل كانت أمانيه تبلغ أن يكون - بعد سنوات قليلة - حاكماً على مصر من الأمصار كانت تحكمه دولة من أعظم دول الأرض في ذلك الوقت؟!!
- ولكنهم آمنوا بالله وصدقوا بوعدته فأنجز الله لهم ما وعدهم، ومن أوفى بوعدته من الله.
- والمقصود أن من لا يستطيع إقامة شعائر دينه بسبب تسلط الكافرين ووجد سبيلاً للهجرة فلهجرة عليه واجبة بإجماع العلماء.
- ومن ترك هذه الهجرة الواجبة وهو قادر عليها فقد عرض نفسه للوعيد الشديد والعذاب الأليم كما في قوله تعالى:

()

()

()

() [النساء: ٩٧-١٠٠].

- قال ابن كثير رحمه الله: (هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهري المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع).

- وقال الشنقيطي في تفسير قول الله تعالى : (قوله تعالى :
: الظاهر أن معنى الآية : أن الإنسان إذا كان في محل لا يتمكن فيه من إقامة دينه
على الوجه المطلوب ، فعليه أن يهاجر منه ، في مناكب أرض الله الواسعة ، حتى يجد محلاً تمكنه
فيه إقامة دينه ، وقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضع ، كقوله تعالى :

[النساء: ٩٧]. وقوله تعالى :

[العنكبوت: ٥٦] ، ولا يخفى أن الترتيب بالفاء في قوله :

على قوله : [العنكبوت: ٥٦] دليل واضح على ذلك). ا.هـ.

متى تنقطع الهجرة

- وهذه الهجرة باقية إلى قيام الساعة ؛ ففي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي
وغيرها من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :))
..((

- وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي من حديث عبد الله بن واقد السعدي رضي الله
عنه قال : وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفدٍ كلنا يطلب حاجة وكنت آخرهم
دخولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلت : يا رسول الله إنني تركت مَنْ خلفي
وهم يزعمون أنّ الهجرة قد انقطعت ، قال :))
..((

- فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الهجرة باقية ما بقي في الناس كفارٌ يُقاتلون ولهم
بلاد ؛ فمن كان في بلادهم من المسلمين فالهجرة غير منقطعة عليه بل هي إما واجبة عليه إذا
كان لا يستطيع إقامة شعائر دينه ، وإما مستحبة له إذا كان قادراً على إقامتها ما لم تكن إقامة
لمصلحة راجحة ويأمن الفتنة على نفسه.

- وأما ما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال :))
..((

- فالمراد بالهجرة التي انقطعت هنا هي الهجرة إلى المدينة من مكة أو البلاد التي دخلت في

دين الله عز وجل في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن العرب لما دخلت في الإسلام أصبحت بلاد العرب بلاد إسلام فلا معنى للهجرة منها.

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وقد قال صلى الله عليه وسلم :))

((وقال :))

وكلاهما حق ؛ فالأول أراد به الهجرة المعهودة في زمانه ، وهي الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض العرب ؛ فإن هذه الهجرة كانت مشروعةً لما كانت مكة وغيرها دار كفرٍ وحربٍ وكان الإيمان بالمدينة ؛ فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبةً لمن قدر عليها ؛ فلما فتحت مكة وصارت دار الإسلام ودخلت العرب في الإسلام صارت هذه الأرض كلها دار الإسلام فقال : ((ا.هـ.

• وفي الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح قال : زُرْتُ عائشة مع عبيد بن عمير اللثي - وهي مجاورة بئير - فسألته عن الهجرة ؛ فقالت : (لا هجرة اليوم ؛ كان المؤمنون يفرّ أحدهم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله ، مخافة أن يُقتن عنه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، فالمؤمن يعبدُ ربّه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية).

• وفي صحيح مسلم من حديث مجاشع بن مسعود السلمي رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أبايعه على الهجرة ؛ فقال : ((وذلك بعد فتح مكة.

• وفي صحيح البخاري عن مجاهد بن جبر قال : قلت لابن عمر رضي الله عنهما : (إني أريد أن أهاجر إلى الشام).

قال : (لا هجرة ولكن جهاد ؛ فانطلق فاعرض نفسك فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت).

• فهذه هي الهجرة التي انقطعت ، وأما الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين فباقية لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها.

هجرة البادي وهجرة الحاضر

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

:))

((. رواه أحمد والنسائي وابن حبان

وصححه الألباني.

- البادي الذي يقيم في البدو محل ويرتحل ، والحاضر من يسكن في القرى والمدن.
- فهجرة البادي أن يطيع إذا أمر ويجيب إذا دعي للجهاد في سبيل الله عز وجل ، وأما الحاضر فهو أعظم بلية ؛ لأن همة العدو تكون لغزو المدن والقرى فيكون الخطر على ساكنيها أعظم من الخطر على أهل البوادي.

حكم الهجرة

- قال ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني : (
- : من تجب عليه ، وهو من يقدر عليها ، ولا يمكنه إظهار دينه ، ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار ، فهذا تجب عليه الهجرة ؛ لقول الله تعالى :

[النساء : ٩٧].

- وهذا وعيدٌ شديدٌ يدل على الوجوب ، ولأن القيام بواجب دينه واجبٌ على من قدر عليه ، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ.
- : من لا هجرة عليه ، وهو من يعجز عنها ، إما لمرضٍ ، أو إكراهٍ على الإقامة ، أو ضعفٍ ؛ من النساء والولدان وشبههم ، فهذا لا هجرة عليه ؛ لقول الله تعالى :

[النساء :

.٩٨.

ولا توصف باستحبابٍ ؛ لأنها غير مقدورٍ عليها.

- : من تُستحب له ، ولا تجب عليه ، وهو من يقدر عليها ، لكنه يتمكن من إظهار دينه ، وإقامته في دار الكفر ، فتستحب له ، ليمكن من جهادهم(٩٨هـ).
- ومن لا يمكنه الانتقال إلى بلاد المسلمين أو كان في الانتقال إليها مزيد أذى عليه بسبب تسلط بعض الظلمة وجب عليه الانتقال إلى بلد يتمكن فيه من إقامة شعائر دينه ؛ لأن مقصود

الهجرة إقامة الدين.

• وذلك كما انتقل من انتقل من المؤمنين في الهجرة الأولى من مكة إلى الحبشة لما كانت تلك البلاد آمنة يحكمها ملك عُرف من شأنه إقامة العدل وكرهه الظلم، قال محمد بن إسحاق صاحب السيرة: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

)).

فخرجنا إليها أرسلًا حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظمًا). وهذا إسناد حسن.

• ومن كان يجد في بعض بلاد المسلمين من الظلم والتضييق ما يمنعه من إقامة دينه فإنه ينتقل إلى الإقامة في البلاد التي يأمن فيها على دينه ونفسه وأهله، ولو كانت من بلاد الكفار حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا.

• ومما يدرك به ثواب الهجرة العمل الصالح في زمان الفتن وكثرة القتل لما في صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

))، ورواه أحمد بلفظ ((والمراد به العمل

الصالح، والمراد بالهجرة كثرة القتل كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم.

فرض بقية شرائع الإسلام بعد تقرير التوحيد

قوله: (فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ فِيهَا بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ مِثْلَ الزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْأَذَانَ وَالْجِهَادِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ).

• أراد الشيخ رحمه الله أن يبين بهذه الجملة أهمية التوحيد وأن الرسول صلى الله عليه

وسلم كانت أكثر دعوته بمكة إلى التوحيد، فمكث فيها ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد قبل أن تفرض كثير من فرائض الإسلام، بل إن الصلاة لم تفرض على هذه الفروض الخمسة إلا بعد البعثة بزمن، وهذا فيه دلالة بيّنة على أهمية التوحيد.

• ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدأ بتأسيس الدولة الإسلامية فكان أول ما شرع فيه بناء المسجد ليكون مجتمعاً للمسلمين تقام فيه الصلاة ويخطب فيه في الجمعة وفي النواصب التي تنوب المسلمين فيدعى (الصلاة جامعة) فيجتمع المسلمون فيخطب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين لهم ما يريد بيانه.

• وشرعت فرائض الإسلام شيئاً فشيئاً تخفيفاً من الله تعالى ورحمة بعباده، وكان بعض تلك الفرائض مأموراً به قبل الهجرة لكن ليس على التفصيل والمقادير المبيّنة بعد ذلك.

○ فقد ورد الأمر بإيتاء الزكاة في بعض السور المكية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالزكاة والعفاف والصلة وأعمال البر والإحسان كما دل على ذلك قول أبي سفيان لما سأله هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بم يأمركم؟ فقال: (يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف)؛ قال: (إن يك ما تقول حقاً فإنه نبي). وخبره مخرّج في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

○ فالزكاة المأمور بها كانت على وجه الإجمال، ثم بعد الهجرة فصلت أحكام الزكاة الواجبة وبيّن ما تجب فيه الزكاة وما لا زكاة فيه، والأنصاء والمقادير.

○ وكذلك الأمر بالعفاف كان مأموراً به على وجه الإجمال ثم بيّن بعد الهجرة الأنكحة المحرمة كالجمع بين الأختين ونكاح نساء الآباء ونكاح المرأة بلا وليّ ونكاح المتعة والشغار وسائر الأنكحة المحرمة.

○ وكذلك الأذان للصلوات إنما شرع بعد الهجرة وبعد بناء المسجد كما دل على ذلك حديث عبد الله بن عمر وحديث عبد الله بن زيد.

○ وكذلك الصيام إنما فرض في السنة الثانية للهجرة.

○ وكذلك الحج فرض في السنة التاسعة وقيل العاشرة للهجرة.

○ وكذلك القتال لم يؤذن به إلا بعد الهجرة، لما صار للإسلام حوزة ومَنعة وقوة.

- وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأمرون بالتوحيد وهو أعظم ما أمر الله به ويأمرون بالعدل والإحسان وأداء الأمانات وأعمال البر ومكارم الأخلاق، وينهون عن الشرك وهو أنكر المنكرات وينهون عن الفساد في الأرض ومساوئ الأخلاق قبل الهجرة وبعدها.
- لكن إقامة الحدود والتعزيرات إنما كانت بعد الهجرة بزمان.

تاريخ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

قوله: (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوفِّيَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ).

- أي أن النبي صلى الله عليه وسلم بقي في المدينة بعد الهجرة عشر سنين كما دل عليه حديث ابن عباس المتقدم.
- وهو في هذه العشر يبين للناس ما نزل إليهم من شرائع دينهم ويجاهد في سبيل الله عز وجل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى توفي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة.
- قال ابن عبد البر: (لا خلاف أنه ولد يوم الاثنين بمكة في ربيع الأول عام الفيل، وأن يوم الاثنين أول يوم أوحى الله إليه فيه، وأنه قدم المدينة في ربيع الأول، قال ابن إسحاق: "وهو ابن ثلاث وخمسين سنة"، وأنه توفي يوم الاثنين في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة صلى الله عليه وسلم) ١هـ.
- وقال النووي: (واتفقوا أنه ولد يوم الإثنين في شهر ربيع الأول، وتوفي يوم الإثنين من شهر ربيع الأول) ١هـ.
- وقال السهيلي في الروض الأنف وهو من أجل كتب السيرة: (واتفقوا أنه توفي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين إلا شيئاً ذكره ابن قتيبة في المعارف "الأربعاء"؛ قالوا كلهم: "وفي ربيع الأول" غير أنهم قالوا أو قال أكثرهم: "في الثاني عشر من ربيع" ولا يصح أن يكون توفي صلى الله عليه وسلم إلا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة وهو التاسع من ذي

الحجة فدخل ذو الحجة يوم الخميس ؛ فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت :

- فإن كان الجمعة فقد كان صفرًا إما السبت وإما الأحد.
- فإن كان السبت فقد كان ربيعًا الأحد أو الاثنين.

وكيفما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه ولا الأربعاء أيضًا كما قال القتيبي وذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف أنه توفي في الثاني من ربيع الأول وهذا القول وإن كان خلاف أهل الجمهور فإنه لا يبعد إن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلها من تسعة وعشرين فتدبره فإنه صحيح ولم أر أحدًا تظن له وقد رأيت للخوارزمي أنه توفي عليه السلام في أول يوم من ربيع الأول وهذا أقرب في القياس بما ذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف (أ.هـ).

- قلت : افتراض أن الأشهر الثلاثة كلها من تسعة وعشرين بعيد ، والأقرب أنه يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول فإن التصحيف من الثاني والعشرين إلى الثاني عشر وارد ، وذلك أنه بناء على المعهود من الحساب إما أن يكون شهر صفر ثلاثين يوماً فيكون يوم الإثنين هو تمام الثلاثين من تلك السنة ، وإما أن يكون تسعة وعشرين يوماً ، ويكون يوم الإثنين غرة شهر ربيع الأول ، ويكون الثاني والعشرين موافقاً ليوم الإثنين ، والله تعالى أعلم.
- وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وعمره ثلاث وستون.

الدرس التاسع عشر: كمال دين الإسلام

قال رحمه الله:

(وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لِأَخْيَرِ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَدَّرَهَا عَنْهُ.
وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَدَّرَ عَنْهُ: الشِّرْكَ
وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأَفْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الأعراف: ١٥٨].

وَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[المائدة: ٢٣].

()

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الزمر: ٣٠ - ٣١].

عناصر الدرس:

- أصل بقاء الدين محفوظاً إلى قيام الساعة
- الاعتصام بالكتاب والسنة
- عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين
- أصل كمال دين الإسلام
- كمال الدين يستلزم كمال التبليغ
- موت النبي صلى الله عليه وسلم

أصل بقاء الدين محفوظاً إلى قيام الساعة

قوله: (وَدِينُهُ بَاقٍ).

• أي أن دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باقٍ إلى أن تقوم الساعة؛ ومن أدلة ذلك قول الله تعالى:

[الحجر: ٩]

وقوله: [القيامة: ١٩]، وقوله:

[النحل: ٤٤].

• فضمن الله تعالى حفظ كتابه الكريم نصاً وبيانا، فلذلك لا يزال هذا القرآن الكريم محفوظاً ولا يزال ما يلزم لبيانه محفوظاً بحفظ الله تعالى لكتابه.

• ويدل لذلك أيضاً ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

« هذا لفظ حديث معاوية بن أبي سفيان في صحيح مسلم.

• وقد روي هذا الحديث بألفاظ مقاربة في الصحيحين والمسند وغيرها من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: منهم جابر بن عبد الله، والمغيرة بن شعبة، وثوبان بن مجدد، وقرة بن إياس، وسلمة بن نفيل، وزيد بن أرقم، وعمران بن حصين، وأبو بكره الثقفي، وأبو أمامة الباهلي، وأبو هريرة، وعمر بن الخطاب وغيرهم؛ فهو من الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

• اعتقاد كمال الدين وحفظه إلى أن تقوم الساعة أصل مهم من أصول الدين.

• قال البخاري رحمه الله في صحيحه: (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((

« وهم أهل العلم). وهذا تفسير من البخاري رحمه الله،

وقال علي بن المديني: (هم أصحاب الحديث).

• والظهور يتناول أهل العلم والجهاد كما صرَّح به في بعض الروايات كما في صحيح

مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

«.

• وفي حديث أبي هريرة: ((

«.

- وتفسير البخاري رحمه الله صحيح لأنه لا يكون الجهاد إلا على دعوة، ولا تكون الدعوة إلا على علم، فعُلمَ بذلك أن ظهور العلم أصل ظهور الجهاد.
- ولذلك كانت الدعوات الإصلاحية مبناهما على العلم أولاً.
- وهذه الأحاديث فيها ضمانات عظيمة وإشارات جليلة:
 - أن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه وأوليائه.
 - أن أهل الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.
 - أنهم يقاتلون على الحق؛ فمعهم سلاح العلم الذي يُعرف به الحق، ومعهم ما يكتنهم من القتال الذي ينصرون به على أعدائهم.
 - **ومن الإشارات** في هذه الأحاديث أنه يقع لمن قام بهذه الأمور من الدعوة والجهاد خذلان شديد ومخالفة يُبتلون بها لكن ذلك لا يضرهم.
 - فالخذلان يكون ممن يُتوقع منه النصر والمؤازرة، والمخالفة قد تكون منهم وقد تكون ممن يبدي العداوة والمناوأة.
 - **ومما دلّ عليه مفهوم هذه الأحاديث** أن هؤلاء الخاذلين والمخالفين غير منصورين، وإن اغتروا ببعض وسائل العلو في الأرض؛ فإنما هو متاع إلى حين ثم تكون عاقبتهم سيئة.
 - فمن فقه هذه الأحاديث:
 - أن الله تعالى ناصر دينه ولو كره الكافرون، وأن السعيد الموقَّع من جعله الله من أنصار دينه.
 - أن عليه أن يعرف الحق بدليله وأن يكون قوَّماً بأمر الله عز وجل غير عابئ بمن يخذله أو يخالفه ممن أركسهم الله بما كسبوا من المنافقين والكافرين والعصاة المفتونين.
 - أنه لا يضره خذلانهم ولا مخالفتهم بإذن الله.
 - أن فتنة هؤلاء الخاذلين والمخالفين إنما كانت بسبب مخالفتهم لهدى الله عز وجل وإعراضهم عن طلب الهدى واتباعهم الظنّ وما تهوى الأنفس؛ فيشتد خوفه من الوقوع

فيما وقعوا فيه :

فيدعوه ذلك إلى الاعتصام بالله عز وجل والرضى به والثقة به جل وعلا

[النساء : ٤٥].

ويدعوه ذلك إلى أن يكون أكبرهم أن يكون من الذين يعلمون الحق ويعملون به.

• وقد ضمن الله تعالى لمن اعتصم به أن يهديه ، كما قال تعالى :

[آل عمران : ١١].

• وقال :

() [النساء : ١٧٥] ؛ ثلاث بشارات عظيمة كل واحدة منها خير من

الدنيا وما فيها.

• وتأمل قول الله تعالى :

[النساء : ١٧٥] فكأن الرحمة

والفضل يحيطان بهم من جميع جوانبهم يتقلبون فيهما كيف يشاؤون.

• [النساء : ١٧٥] وهذه هداية خاصة تقربهم إلى الله تعالى

وتدنيهم منه وتعرفهم بما يحببه الله عز وجل ويرضاه وتعرفهم بما لم يكونوا ليهتدوا إلى معرفته

لولا فضل الله عز وجل من أسباب رحمته وتوفيقه وفضله العظيم في الدنيا والآخرة.

الاعتصام بالكتاب والسنة

• الاعتصام بالشيء اتخاذه عاصماً ومانعاً مما يخشى ضرره ، وقد أمر الله تعالى بالاعتصام

به ، وفي ضمن ذلك وَعَدَهُ لمن اعتصم به أن يعصمه مما يخاف ضرره.

[البقرة : ٣٨] ؛

• وقد قال الله تعالى :

فالاكتصام بالله يكون باتباع هدى الله عز وجل ، في ما بينه في كتابه الكريم وفي ما بينه الرسول

صلى الله عليه وسلم.

• كل ضرر يخشاه العبد في الدنيا والآخرة فإن الله تعالى قد بين في كتابه وفي سنة نبيه أسباب

العصمة منه ؛ فمن فعل ما أمر به وانتهى عما نُهيَ عنه فقد أخذ بأسباب العصمة ، ومن

أعرض عن الكتاب والسنة أو وقع في مخالفة الأمر وارتكاب النهي لم يكن معتصماً.

• وفي صحيح مسلم وغيره من حديث جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

لأصحابه في خطبة الوداع:))

((

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

وقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس:))
ثلاث مرات.

• وفي مستدرك الحاكم وسنن البيهقي وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:))
: صححه الألباني.

• والاعتصام بالكتاب والسنة أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وتنبي عليه مسائل كثيرة من مسائل الاعتقاد، وقد ضلّت طوائف من أهل البدع بسبب ضعف اعتصامهم بالكتاب والسنة.

• بعض تلك الطوائف قدّمت عقولها وأراءها على الكتاب والسنة، وبعضها قدمت أهواءها وأقوال معظميها على صريح دلالة الكتاب والسنة، ولذلك وقعت بعض تلك الطوائف في فتنة التأويل المذموم، ومنهم من وقع في فتنة التفويض، ومنهم من وقع في فتنة أخرى.

• ولا عصمة لأحد من الضلال في اعتقاده إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة؛ فالمعتصم مهتدي، والمفرط في الاعتصام عرضة للضلالة، وقد قال الله تعالى:

آل عمران: ١١١ ومفهوم المخالفة يدلّ على أنّ من لم يعتصم بالله فهو

ضالّ هالك.

• وأمر الاعتصام بالكتاب والسنة ميسّر ليس فيه عنت ولا مشقة، وما جعل الله علينا في الدين من حرج.

قوله: (وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَدَرَهَا عَنْهُ).

• الإشارة إلى دين الإسلام الذي بيّن في هذه الرسالة معناه وأصوله.

قوله: (لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا عنه)

- الخير هو ما ينفع الإنسان في دينه أو دنياه.
- والشر هو ما يضره في دينه أو دنياه.
- فكل ما فيه مصلحة ومنفعة للمؤمن في دينه ودنياه فهو خير، وكل ما فيه مضرّة ومفسدة فهو شرّ.

وقوله: (لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه)

- هذا يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

- وهذا الخير إما أن يكون مدلولاً عليه بعينه أو بوصفه، وكذلك الشر إما أن يكون منهيّاً عنه بعينه أو بوصفه.
- فالمأمور به بعينه أمره بين ظاهر لدلالة النصّ عليه، وأما المأمور به بوصفه فهو مندرج تحت الأدلة العامة والقواعد الكلية للشريعة كما في قوله تعالى:

[النحل: ٩٠].

- والخير لا يخرج عن وصف العدل والإحسان؛ فكل خير فهو مأمور به أمر تكليف بالوجوب أو أمر استحباب أو أمر إباحتة، وما خرج عن هذا الوصف فهو شرّ منهي عنه.
- وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

((. وقد تقدم شرح الحديث.

- وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((عامّ في كل ما ينفع المؤمن في دينه ودنياه؛ وما ينفع فهو خير؛ فدلّ ذلك على أن كلّ خير فقد أمر به النبي صلى الله عليه وسلم.
- ودل مفهومه على أن كل ما يضرّ فهو منهيّ عنه كما صرح به في الحديث الجامع: ((

« رواه الإمام أحمد وبعض أصحاب السنن من طرق يقوي بعضها وبعضاً فروي من حديث أبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وابن عباس وأبي هريرة، ولا تخلو كل طريق من ضعف، وقد صححه جماعة من أهل العلم بمجموع طرقه.

قوله: (وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ عَنْهُ: الشِّرْكَ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ)

- التوحيد رأس كل خير، قدّمه المؤلف لأهميته ثم عطف عليه جميع ما يحبه الله ويرضاه؛ فيكون من باب عطف العام على الخاص.
- كلُّ ما أمر الله به فقد أحبّه، وكل ما أحبه الله فهو خير.
- وكل ما حذّر الله منه فإن الله يبغضه، وكل ما أبغضه الله فهو شرٌّ.
- والشرك هو أعظم ما حذّر الله منه ونهى عنه، فهو رأس الشر، وأكبر الشر، والعياذ بالله من الشرك، فإنه أقبح الذنوب، وأعظم الأوزار، وعقاب فاعله شر العقاب.

عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين

قوله: (بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الأعراف: ١٥٨].

- عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس أصل مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة، والأدلة على ذلك كثيرة معلومة منها:

○ قول الله تعالى:

○ وقوله:

[سبأ: ٢٨].

○ وقوله:

[آل عمران: ٢٠].

○ وقوله:

[الأحزاب: ٢٩].

○ وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:))

:

.((

○ وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:))

:

.((

○ وفي مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:))

.((

● قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى:

قال عمران: ٢٠ قال: (وهذه

الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث) اهـ.

- ثم ذكر أدلة في عموم رسالته صلى الله عليه وسلم تقدم ذكر بعضها.
- وهذا الأصل من أنكره فهو كافر لجحده معلوماً من الدين بالضرورة ولتكذيبه ما أخبر الله تعالى به وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم.
- والمخالفون في هذا الأصل على درجتين :
 - الذين ينكرون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم أصلاً ، وهؤلاء كمشركي العرب وطوائف من اليهود والنصارى وغيرهم.
 - الذين يقرّون برسالة النبي صلى الله عليه وسلم لكنهم يزعمون أنها للعرب خاصة ، وأشهر من عرف عنهم هذا القول طائفتان :
 - : فطائفة يقال لها العيسوية من يهود أصبهان ، نسبة إلى زعيم لهم يقال له أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني.
 - قال ابن حجر في الفتح : (العيسوية طائفة من اليهود حدثت في آخر دولة بني أمية فاعترفوا بأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن إلى العرب فقط وهم منسوبون إلى رجل يقال له أبو عيسى أحدث لهم ذلك).
 - وقد نقل ابن حجر عن بعض فقهاء الشافعية أنهم قالوا : (من نطق بالتشهد في الأذان حُكِمَ بإسلامه إلا إذا كان عيسوياً) ، وهذا القول نقله الكيا الهراسي عن فقهاء الحنفية.
 - وقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أن هذه الطائفة لما صارت لها شوكة بأصبهان خرجوا على أبي جعفر المنصور وأحدثوا فتنة وقتلوا خلقاً من المسلمين.
 - ومما ينبغي التنبه له أن لقب العيسوية يطلق على طوائف أخرى أيضاً.
 - : طائفة من النصارى أقروا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم لكنهم زعموا أنه رسول إلى العرب فقط ، وأنه لا يلزمهم اتباعه.
 - والرد على هؤلاء بيّن ظاهر ؛ فإن إقرارهم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم يلزمهم بتصديقه فيما يخبر به ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله إلى الناس جميعاً وأنه لا يسمع به أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن به إلا كان من أصحاب النار.

- فإن صدقوه فيما أخبر به لزمهم الإقرار بعموم رسالته، وإن كذبوه أو خطئوه كانوا كفاراً لتكذيبهم إياه.
- وما ينبغي لطالب العلم في هذا العصر أن يتفطن له الدعاوى الكفرية الباطلة التي يروج لها بعض المنتسبين للإسلام من تصحيح مذهب اليهود والنصارى وأن أصحاب الأديان السماوية غير كفار لأنهم يتبعون رسلاً أرسلهم الله إليهم، وهذا القول كفر ظاهر فكل من لم يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة ولم يصدقه فيما يخبر به فهو كافر.
- فإقرارهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم تلزمهم تصديقه في جميع ما يخبر به، وقد تقدم ذكر الأدلة على عموم رسالته فمن أنكرها فقد كفر.

أصل كمال دين الإسلام

قوله: (وَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ الدِّينَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[المائدة: ١٣].

- اعتقاد كمال دين الإسلام أصل مهم من أصول أهل السنة والجماعة، وبهذا الأصل يجاب عن شبهات كثيرة يثيرها بعض أهل البدع والزنادقة والملحدون.
- بهذا الأصل أجاب جماعة من الأئمة في مناظراتهم لأهل البدع والأهواء؛ فإن المبتدع إنما حمّله على بدعته ما قام في نفسه من عدم كمال الدين.
- قوله تعالى:

[المائدة: ١٣].

- المقصود به يوم عرفة من حجة الوداع، وهو اليوم الذي أنزلت فيه هذه الآية، كما في الصحيحين من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابكم تقرأونها لو علينا - معشر اليهود - نزلت لالتخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال: أي آية؟

قال:

[المائدة: ١٣].

فقال عمر: (قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة).

- فقد جمع الله لنزول هذه الآية خير الأيام من أيام الأسبوع، وخير الأيام من أيام السنة، وخير الأركان من أركان الحج، وأفضل جمع اجتمع من خير أمة أخرجت للناس، فامتّن الله تعالى على المسلمين في ذلك اليوم بإكمال الدين وإتمام النعمة ورِضاهُ لنا بدين الإسلام ديناً.
- والمقصود بالإسلام هنا الدين الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم بإجماع العلماء.

• قال ابن كثير: (وقوله:

﴿الأنعام: ١١٥﴾، هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلف، كما قال تعالى: ﴿الأنعام: ١١٥﴾ أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي.

فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال

﴿الأنعام: ١١٥﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه

الدين الذي رضيّه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه) اهـ.

- قوله: ﴿الأنعام: ١١٥﴾ النعمة المرادة هنا هي النعمة الخاصة التي

اختص الله بها أوليائه وهي نعمة الهداية.

- فإن إنعام الله تعالى على عباده على نوعين:

○ : إنعام عام، وهو إنعام فتنة وابتلاء، كما قال تعالى:

... ﴿الفجر: ١٥، ١٦﴾ الأيتين، وقال:

وهذا الإنعام عام للمؤمنين والكافرين كما قال تعالى :

[الإسراء: ٢٠].

وهذا الإنعام حجة على العباد ودليل على المنعم جل وعلا ليخلصوا له العبادة ويشكروه على نِعَمِهِ كما بيّن الله تعالى ذلك بقوله :

[فاطر: ١٣].

وقال :

()

()

()

()

[النحل: ٥١]-

[٥٥].

○ : الإنعام الخاص ، وهو إنعام منّة واجتباء ، وهو الإنعام بالهداية إلى ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأقوال والأعمال ، وما يمينُ به على بعض عباده من أسباب فضله ورحمته وبركاته.

● والإنعام المقصود هنا هو الإنعام الخاص بالهداية ، وهو المقصود في قول الله تعالى في إرشاده لعباده في أم القرآن :

()

() [الفاتحة: ٦ ، ٧] ، وهو المقصود في قوله تعالى :

()

[النساء: ٦٩ ، ٧٠] ، وقوله :

[مريم: ٥٨].

● فقوله تعالى :
[المائدة: ٣٣] أي نعمة بيان الهدى إلى ما يحبه الله عز وجل ويرضاه ؛ فهي نعمة تامة غير ناقصة ، شاملة لجميع ما يحتاجه المسلمون أفراداً

وجماعات في أي شأن من شؤونهم.

• وهذا كما في قول الله تعالى:

[الإسراء: ٩] حُذِفَ

متعلقُ أفعال التفضيل لإرادة العموم؛ أي أقوم في كل شيء يُحتاج إليه من أبواب الدين في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك والدعوة والسياسة وغيرها مما تتعلق به حاجة الفرد أو الأمة إلى الهداية إلى ما ينفع ويقرب إلى الله عز وجل، وتتحقق به النجاة والسلامة مما يخشى ضرره.

()

• قال تعالى:

[المائدة: ١٥،

١١٦.

• وقال: [البقرة: ٣٨]، وقال:

[طه: ١٢٣].

• فدلَّت الآية على كمال الدين وتمام النعمة الخاصة التي اختص الله بها هذه الأمة، فمن قبلها وشكرها كان موعوداً بالخير والفضل العظيم في الدنيا والآخرة، ومن بدلها وكفرها كان متوعداً بالعذاب الشديد، والخسران المبين، كما قال الله تعالى:

[البقرة: ٢١١]، وقال:

()

()

()

[إبراهيم:

٢٨ - ٣١]

• بيّن الله تعالى في هذه الآيات غاية الكفر وغاية الشكر

• **فغاية الكفر:** هو تبديل النعمة بالكفر والتعرض لسخط الله عز وجل ومقتته بالشرك به

جل وعلا، وأعظم هذه النعم الإسلامية فمن رفضه فقد بدل النعمة أقبح تبديل، وسمي ذلك تبديلاً للنعمة لأن من فعل أسباب سلب النعمة وإحلال النعمة محلها مبدل للنعمة، كما بيّن الله تعالى ذلك بقوله:

[الأفعال : ٥٣].

○ فمن كان على فطرة الإسلام إذا فعل ما يستحق به سلب هذا النعمة فهو مبدل لهذه النعمة ، ومن أتاه البيان إلى ما يحبه الله ويرضاه وما يفوز به العبد في دنياه وأخراه ثم رفضه فهو مبدل للنعمة ؛ فإنه لما جاءت نعمة الهداية والبيان فردها وزاغ قلبه عنها قصداً وعمداً أزاع الله قلبه جزاء وفاقاً

[الصف : ٥].

○ ومن كان على دين الإسلام ثم ارتد عنه فهو مبدل للنعمة أقبح تبديل.
○ فهذا بيان أنواع غاية الكفر ، وهو الكفر الذي يخرج به من الملة ويستحق به صاحبه الخلود في النار والعياذ بالله ، وهو الذي وصفه الله عز وجل بقوله :

[إبراهيم : ٣٠].

● **وأما غاية الشكر :** فما أرشد الله تعالى إليه من إقامة الصلاة والإنفاق في سبيله سراً وجهرًا خوفًا وطمعًا وهذا يستلزم تحقيق الإخلاص ، ومن فعله فهو من أهل الإحسان في الإسلام.

● وبين هاتين المرتبتين - غاية الشكر وغاية الكفر - درجات كثيرة ومنازل للناس يتفاوتون فيها كما سبق تقرير نظائره في مسائل كثيرة.

●

[الأفعال : ٥٣].

○ لما يقوله المؤمنون من حمده جل وعلا ، ولما يقوله الكافرون من نسبة النعمة إلى غيره ظلماً وعلواً.

○ بما في قلوبهم وما تعمله جوارحهم من الشكر أو الكفر.

● فتبين بهذا التقرير وبما تقدم من الأدلة أن الناس يتفاضلون في نصيبهم من هذه النعمة الخاصة على تفاضلهم في طاعة الله والرسول.

● وتبين أن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله هي الشكر الذي يحبه الله عز وجل ويرضاه.

● وتبين أن كمال الدين لا يقتضي كمال جميع المنتسبين إليه ، وذلك لتفاوتهم في الطاعة ؛

فمن أتم الطاعة فقد استكمل دينه، ومن نقص نقص من دينه بقدره.

قوله تعالى:

[المائدة: ٣].

- يدل بمنطوقه على أن ما رضىه الله تعالى لنا فهو خير لنا وأصلح وأقوم، لأنه رضا عن علم وحكمة ورحمة؛ فدين الإسلام خير الأديان وأصلحها وأفضلها لنا، وهو دين قد رضىه الله، والله تعالى لا يرضى بما فيه شرٍّ ومفسدة وظلم.
- ويدل بمفهومه على أن غير دين الإسلام لا يرضاه الله لنا.
- فكل دين غير دين الإسلام فالله تعالى لا يرضاه، وما لا يرضاه الله فهو غير مقبول ولا نافع لمن اتبعه.

كمال الدين يستلزم كمال التبليغ

- وكمال دين الإسلام يستلزم اعتقاد كمال بيان النبي صلى الله عليه وسلم لأمر الدين، وأن بيانه لأمر الدين أتم البيان وأحسنه، وهذا أصل مهم يرد به على أهل البدع والأهواء.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ([المائدة: ٣] فلم يترك صلى الله عليه وسلم شيئاً من أمور الدين وقواعده وأصوله وشرائعه وفصوله إلا بيّنه وبلغه على كماله وتامه ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لا خلاف بين فرق الأمة أنّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال).
- وقال أيضاً: (ومما جاء به الرسول: إخباره بأنه تعالى قد أكمل الدين بقوله سبحانه:

[المائدة: ٣].

ومما جاء به الرسول: أمر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى:

[النحل: ٤٤].

[النحل: ٣٥] وقال تعالى:

وقال تعالى:

[المائدة: ٦٧].

ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر، ولم يكتف منها شيئاً؛ فإنّ كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة؛ كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة.

ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصومٌ من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصومٌ من الكذب فيها.

والأمة تشهد له بأنه بلّغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل إليه من ربه ، وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين ؛ وإنما كُملَ بما بلّغه ؛ إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه ؛ فعُلمَ أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم : ((

«

وقال :))

«

وقال أبو ذر : (لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائرٌ يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً) (١.هـ).

- والرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم الرسل بياناً وأفصحهم لساناً وأحسنهم هدياً.
- اعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلّغ البلاغ المبين الكافي الذي يحبه الله ويرضاه ، والذي تقوم به الحجة أصل عظيم من أصول الدين.
- والبلاغ المبين يقتضي ثلاثة أمور متلازمة :
 - الأمر الأول : العلم التام بكل ما يلزم بيانه.
 - الأمر الثاني : النصح والأمانة.
 - الأمر الثالث : الفصاحة في المنطق وحسن تبليغ الرسالة لمن أرسله الله إليهم.
- فمن قدح في أمرٍ من هذه الأمور الثلاثة فقد قدح في بيان النبي صلى الله عليه وسلم.
- ولو فقه أصحاب الأهواء هذا الأمر حق الفقه لسلموا من شر عظيم ، وسلموا للنبي صلى الله عليه وسلم بحسن بيانه وكمال نصحه وفصاحته ، ولم يدخلوا في حديثه متأولين محرفين زاعمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد ظاهر ما يدل عليه كلامه من أمورٍ كُبرَ عليهم اعتقادها ، حتى صرح بعضهم أن ظواهر النصوص غير مرادة ، وأنه إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل ، فارتكبوا بسبب ما زينه لهم الشيطان بدعاً عظيمة شنيعة ، ولولا ما عرّضَ لبعضهم من الشبه وما يعذر به بعضهم من الجهل في بعض المسائل لخرجوا من الدين بهذا

الاعتقاد والعياذ بالله.

• تنبيه: ينبغي أن يتبَّه طالب العلم إلى أن هذه الأمور وإن كانت من أوضح الواضحات في دين الإسلام إلا أن تقريرها مهم جداً، ومَنْ أحسن معرفة هذا الأصل والاستدلال له رد جميع البدع بإذن الله جل وعلا.

• وقد كان كثير من أئمة أهل السنة والجماعة في مناظراتهم لأهل البدع والأهواء يفحسونهم بهذا الأصل؛ لأنهم إن اعتقدوا كمال الدين وكمال البلاغ خُصِموا، وإن اعتقدوا نقصانه كفروا.

• وقد كان من أعظم ما ذُكر من الأسباب في رفع محنة القول بخلق القرآن في زمان الخليفة العباسي الواثق بالله مناظرة جرت على هذا الأصل العظيم بين شيخ من أهل السنة يقال له أبو عبد الرحمن الأذرمي، وشيخ المعتزلة أحمد بن أبي دؤاد الذي دعا خلفاء بني العباس إلى القول بخلق القرآن وإلزام العلماء والناس بالقول به.

• وهذه الحكاية ذكرها جماعة من أهل العلم منهم الآجري في كتاب الشريعة والخطيب البغدادي وابن قدامة في اللمعة وغيرهم، وقد جرت هذه المناظرة في مجلس الخليفة الواثق بالله.

• وأجتزئ منها هذا القدر وهو مما ذكره الآجري في كتاب الشريعة:

• (قال: فقال الشيخ مخاطباً أحمد بن أبي دؤاد عن مقالته المبتدعة.

قال: أخبرني يا أحمد عن مقالتك هذه، أواجبة داخلية في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلت؟

قال: نعم

قال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله تعالى إلى عباده، هل ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أمر الله تعالى به في دينه؟
قال: لا.

قال الشيخ: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة إلى مقالتك هذه؟

فسكت ابن أبي دؤاد.

فقال الشيخ: تكلم فسكت.

فالتفت الشيخ إلى الواثق؛ فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة.

فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله تعالى حين أنزل القرآن على رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال:

المائدة: ٤٣.

أكان الله تعالى الصادق في إكمال دينه، أم أنت الصادق في نقصانه، فلا يكون الدين كاملاً

حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟

فسكت ابن أبي دؤاد.

فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجبه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان فقال الواثق: اثنتان. إلى آخر قصة المناظرة وهي

طويلة.

• المقصود من نقل هذا القدر من تلك المناظرة أن يتبين طالب العلم أهمية هذا الأصل، وهو اعتقاد كمال دين الإسلام، وأنه أصل مهم من أصول الدين يردُّ به على أصحاب البدع والأهواء وكلِّ من يطعن في دين الإسلام أو شيء من أحكامه وحدوده أو ادعى عدم مناسبته لعصر من العصور أو لبلد من البلدان.

• والمخالفون في هذا الأصل على درجتين:

○ : الذين يعتقدون عدم كمال الدين، وهؤلاء كفار لتكذيبهم خبر الله عز

وجل وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم.

○ : الذين يعتقدون كمال الدين لكنهم يخالفون ما يقتضيه كمال الدين من

تجريد المتابعة؛ فيُحدِّثون في أمور الدين ما لم يأذن به الله لشُبُه عرضت لهم بسبب ضعف

فقههم في الدين وجرأتهم على القول في الدين بلا علم، وهؤلاء هم أهل البدع والأهواء.

• وأهل البدع مذمومون على بدعهم ومخالفاتهم متعرضون لخطر عظيم بسبب ما أحدثوا

في الدين ما لم يأذن به الله، وأما تكفيرهم في كثير من المسائل فيمنع منه ما عرض لهم من

الشُّبه، وإلا لو صرحوا بأن الدين غير كامل لكانوا كفاراً بهذا الاعتقاد.

• قال الشاطبي في الاعتصام: (الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان؛ لأن الله تعالى قال فيها:

(المائدة: ٣) ، وفي حديث العرباض بن سارية: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها الأعين ووجلّت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال:))

...)) الحديث.

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يميت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا يخالف عليه من أهل السنة.

فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكا يقول: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: (المائدة: ٣) فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً) اهـ.

موت النبي صلى الله عليه وسلم

قوله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

() (النزمر: ٣٠، ٣١).

• موت النبي صلى الله عليه وسلم قد حصل في السنة الحادية عشرة من الهجرة في شهر ربيع الأول، وهو أمر مجمع عليه.

• وموته صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة كما في الصحيحين من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فقال:))

«.

• وهذه الآية من الآيات التي تلاها أبو بكر رضي الله في خطبته لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف الناس في هذا الأمر الجلل كما في صحيح البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنْح - يعني بالعالية - فقام عمر يقول: (والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قالت: وقال عمر: ما كان يقع في نفسي إلا ذاك - (وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم)؛ فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقَبَّله، قال: (بأبي أنت طِبْتُ حَيًّا وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله الموتين أبداً)؛ ثم خرج فقال: (أيها الخائف على رسلك)؛ فلما تكلم أبو بكر جلس عمر؛ فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: (ألا من كان يعبد محمداً؛ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت)، وقال: (الزمر: ٣٠) وقال:

(آل عمران: ١٤٤).

قال: فنشج الناس بيبكون.

• وفي مصنف بن أبي شيبة أن عبد الله بن عمر قال: (فو الله الذي نفسي بيده لكأنما كانت على وجوهنا أغطية فكشفت).

• وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله جل وعلا أنزل هذه الآية إلا حين تلاها أبو بكر؛ فتلقاها منه الناس كلهم؛ فلم تسمع بشراً إلا يتلوها).

• وفي صحيح البخاري أيضاً: قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: (والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي

وأهويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات)

- قوله تعالى: أي ستموت، والتعبير عن ذلك بصيغة الخبر المفرد لبيان تحتم وقوعه، كما في قوله تعالى: أي: سيردها.

• أي جميع العباد. كما قال تعالى: للأنبياء: ٣٥.

• الزمر: ٣١: الخصومة شاملة لجميع ما يختصم فيه من أمور الدين والدنيا، كاختصام المؤمنين والكافرين، واختصام المظلومين والظالمين، واختصام الرعية والرعاة، وغيرهم.

• قال ابن كثير رحمه الله: (ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين؛ ثم إن هذه الآية - وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة - فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة) اهـ.

- ومسألة موت النبي صلى الله عليه وسلم يخالف فيها بعض المتصوفة الذين يلبسون على بعض الجهلة؛ فيعظمون أنفسهم ويزعمون أنهم أولياء وأنهم يلتقون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتحدثون معه، ويسمون ذلك اللقاء بالحضرة النبوية، ولهم في ذلك أساطير وأباطيل يغرّون بها السذج والعوام ويتصدرون بها المجالس، ويأكلون بها أموال الناس باطلاً.
- ومنهم من إذا تحدث مع العوام ينكر ذلك، وإذا تحدث مع خواصّه زعم أن للدين ظاهراً وباطناً، وأن للشريعة أسراراً لا يعرفها إلا أفراد قليلون، ولهم في ذلك طرق متنوعة في الضلال، نسأل الله العافية.

الدرس العشرون: البعث والجزاء

قال رحمه الله:

(وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[طه: ٥٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

()

نوح: ١٧ - ١٨.

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[التغابن: ١٧].

قال رحمه الله: (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.

وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النساء: ١٦٥].

عناصر الدرس:

- البعث بعد الموت
- الحساب والجزاء
- خلاصات نافعة في علم الجزاء
- كفر من كذب بالبعث
- مقاصد إرسال الرسل
 - حكم طلب العلم
 - المقصد الأول: إقامة الحجة
 - المقصد الثاني: بشارة المطيعين
 - المقصد الثالث: إنذار العصاة
- حكم أهل الفترة

البعث بعد الموت

قوله: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[طه: ٥٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

()

[نوح: ١٧،

١١٨].

- مسألة البعث من المسائل الجليلة العظيمة في دين الإسلام، بل هي أصل من أصول الإيمان والذي لا يؤمن بالبعث بعد الموت لا يؤمن بما يترتب عليه من الحساب والجزاء.
- ولأهمية هذا الأصل وشناعة كفر من كذب به تكرر التأكيد عليه في القرآن العظيم كثيراً، وأكد الله تعالى بيان البعث بأنواع من الأدلة والتأكيدات:

○ قال الله تعالى: [التغابن: ٧] فبيّن صحة

البعث بالقسم، وهذا تأكيد لوقوعه.

○ وقال تعالى:

[الحج: ٥] فبيّن أن بدأه

لخلقنا من تراب، ثم من نطفة دليل على أنه قادر على أن يبعثنا بعد الموت؛ فالذي خلقنا ولم نكن من قبل شيئاً، قادر على أن يعيدنا إلى الحياة الدنيا بعد موتنا، فهذا استدلال بالبدء على إمكان الإعادة، وهو دليل عظيم القدر تكرر تأكيده في القرآن كما قال تعالى:

[الروم: ٢٧].

○ وقال تعالى:

[فصلت: ٣٩] فبين لنا مثالا مما

نراه بأعيننا، وهو إحياء الأرض بالماء والنبات بعد موتها، فالذي أحياها قادر على أن يحيي الموتى، وهذا استدلال بالنظير؛ فالذي يقدر على هذا الأمر يقدر على نظيره.

• وقال تعالى:

[الأحقاف: ٣٣] وهذا استدلال بالأولى،

فإنّ من قدر على خلق الأكبر والأشدّ قادر على خلق ما هو دونه ، كما قال تعالى :

[غافر: ٥٧].

• وقال تعالى : [لقمان: ٢٨] ، وقال تعالى :

[غافر: ٦٨] ، وقال تعالى :

[البقرة: ١٤٨] وهذا استدلال

بالقدرة المطلقة التي يعجزها شيء.

• وقال تعالى :

[المؤمنون: ١١٥ ، ١١٦] فاستدل هنا بدليل الحكمة والغاية ، فإن الله لم يخلق هذا الخلق

العظيم عبثاً ، وإنما خلقه لحكمة عظيمة ، فالعاقل يسأل نفسه لم خلق؟ ولماذا خلق الله هذه لمخلوقات؟

• فانظر كيف نوّع الله تعالى هذه الأدلة في كتابه الكريم ، تأكيداً لوقوع البعث ، وأنه حق لا ريب فيه.

• وهذه الأدلة مجموعة في قوله تعالى :

() ()

()

()

()

() [يس: ٧٧ - ٨٣].

• فتضمنت هذه الآيات ، ذكر أنواع من الأدلة على البعث : فذكر دليل البدء ، ودليل النظر ، ودليل الأولى ، ودليل القدرة المطلقة ، ودليل الحكمة والتنزيه عن العبث ، فهذه أدلة ظاهرة من تأملها أيقن يقيناً تاماً بالبعث.

• والإيمان بالبعث يستلزم الإيمان بما يكون بعده من الحساب والجزاء.

الحساب والجزاء

قوله: (وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النجم: ٣١].

- الإيمان بالحساب والجزاء أصل مهم من أصول الإيمان، وهو من الإيمان بالغيب.
- والحساب والجزاء من أعظم ما يكون يوم القيامة بل لعظم ذلك سمي يوم القيامة بيوم الحساب كما في قوله تعالى:

[ص: ٢٦].

- وسمي بيوم الدين أي الحساب والجزاء الذي يدان فيه الناس بأعمالهم، كما قال الله تعالى:

() () ()
() () ()
() () ()

[الصافات: ١٥ - ٢١].

- وتوعد الله تعالى من أنكر البعث والحساب بالنار فقال تعالى:
- () () ()
- [الذاريات: ١٠ - ١٤].

○ سؤالهم: (أيان يوم الدين) سؤال تعجب وإنكار وتعجيز واستبعاد لوقوعه حتى إنهم من فرط تكذيبهم وإنكارهم يستعجلونه فيقولون للمؤمنين

[الملك: ٢٥]؛ فبكتهم الله بهذه الآيات، وتوعدهم على تكذيبهم وغفلتهم عن يوم الحساب الوعيد الشديد والعذاب الأليم.

- والإيمان بالحساب والجزاء له آثاره على المؤمن في عباداته وسلوكه فإن من يعلم أن ما يعمل من خير أو شر سيحاسب عليه ويجزي به فإنه حري به أن يجتهد في اكتساب الأعمال الصالحة رجاء انتفاعه بها يوم الحساب والجزاء، ويجتنب السيئات مخافة عقوبتها يوم الحساب والجزاء.

• **ويحمله ذلك على** إحسان معاملته للناس ابتغاء ثواب الله عز وجل ، واجتناب الظلم والعداوان مخافة أن يجازى على ظلمه لهم فيقتصوا منه يوم القيامة بما يُعطون من حسناته أو يُلقى إليه من سيئاتهم.

• وبهذا يتبين أن العبد لا يعاقب إلا بأحد سببين :

○ : تقصيره في حق الله عز وجل ، بارتكابه بعض المحرمات ، أو تركه بعض الواجبات ؛ فيعذب على ذلك ما لم يعمل ما يرفع عنه العذاب من توبة صادقة أو حسنات ماحية للسيئات أو يدركه سبب يرفع الله به عنه العذاب.

○ : تقصيره في حقوق الناس ؛ إما بمنعهم ما يستحقون من الحقوق الواجبة لهم عليه ، أو الاعتداء عليهم بقول أو فعل ، وكلاهما ظلم ؛ فإن الظلم يشمل منع المستحق حقه ، والعداوان على المعصوم.

• فمن أذى حق الله عز وجل وحق عباده فإنه لا يُعاقب أبداً ؛ لأن العقوبة لا تكون إلا على ذنب ؛ والذنب إما أن يكون في حق الله عز وجل ، وإما أن يكون في حق عباده.

• وقد أُرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما ينجي المؤمن من العذاب بوصية جامعة فقال : ((رواه

أحمد والترمذي وغيرهما من حديث معاذ بن جبل وحديث أبي ذر رضي الله عنهما.

• وباب الإيمان بالحساب والجزاء له تفاصيل ذكرها الأئمة في كتب الاعتقاد وذكرها المفسرون وشراح الأحاديث ، وفيها مسائل جليلة ينبغي للعبد أن يتأملها ويعتني بها.

• وقد ذكر بعض أهل العلم أن علم الجزاء ثلث العلم ، كما قال ابن القيم رحمه الله :

والعلم أقسام ثلاث ما لها	من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي	جاءت عن المبعوث بالفرقان

○ فجعل العلوم ثلاثة : علم العقيدة وعلم الشريعة وعلم الجزاء.

○ ولو أنه قال : (وجزاؤه بالعدل والإحسان) لكان أجود ، ليعم الجزاء الدنيوي

- والأخروي، وليبين أن جزاء الله تعالى لا ظلم فيه بل هو مبني على العدل والإحسان.
- والمقصود أن علم الجزاء من العلوم الجليلة النافعة لأنه العلم الذي يعرف به العبدُ ثوابَ حسناته وعقاب سيئاته، وسُبُلَ مضاعفة الحسنات والوقاية من السيئات وعقوباتها.
 - وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك رسالة جليلة نافعة طبعت باسم (الحسنة والسيئة)، وله رسالة في (مكفّرات الذنوب).
 - ومقصود هذا الفصل من هذا الدرس هو بيان وجوب الإيمان بالحساب والجزاء، وأن من أنكره فهو كافرٌ كفرةً أكبر يجمع العلماء، وأن المؤمن يجب عليه أن يجتنب ما يعاقب عليه يوم الحساب.

خلاصات نافعة في علم الجزاء

- هذه الخلاصات تتضمن ذكر أهم المسائل في هذا الباب لتدل الطالب اللبيب على ما وارهها، وتكون دراسته لما بعدها في كتب الاعتقاد زيادة تفصيل وبيان على أصول قد عرفها وتبينها.
- من ذلك أن الله تعالى وصف نفسه بأنه سريع الحساب وأنه أسرع الحاسبين كما في قوله تعالى:

آل عمران: ١٩٩ وقوله:

[الأنعام: ٦٢].

- قال البغوي: (إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد).
- قال ابن تيمية: (قال رجل لابن عباس رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم في ساعة واحدة).
- حساب الله تعالى مبني على العدل والإحسان ليس فيه ظلم على أحد من العباد مثقال ذرة، كما قال تعالى:

[النساء: ٤٠].

- بين الله تعالى قواعد الحساب في قوله:

()

()

[الإسراء: ١٣ - ١٥].

○ وقوله:

[الأنبياء: ٤٧].

○ وقوله:

[القصص: ٨٤].

- الحساب يوم القيامة على نوعين: حساب عسير، وحساب يسير
- فأما فهو لأهل الإيمان، وهو المذكور في قوله تعالى:

[الانشقاق: ٧-]

()

()

.[٩]

- وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

[الانشقاق: ١٨].

قالت: فقلت: (أليس قال الله عز وجل:

قال:))

((.

- العباد غير معصومين من السيئات حتى المحسنين منهم تكون لهم سيئات لكن يتجاوز الله عنها كما قال تعالى:

()

()

[الزمر: ٣٣ - ٣٥]، وقال:

[الأحقاف: ١٦].

- إن من اجتنب الكبائر كُفِّرَتْ عنه سيئاته فضلاً من الله ورحمة، كما قال تعالى:

[النساء: ٣١]،

ولذلك فإن من اجتنب الكبائر فهو ناجٍ بإذن الله من العذاب لأن سيئاته تُكفِّر عنه.

- أما الذي لا يجتنب الكبائر فإنه لا يأمن العذاب على ما اقتترف من الكبائر والصغائر.
- كل ما يعمل العبد من السيئات فإنه يجزى به كما قال الله تعالى :

[النساء : ١٢٣].

○ وهذا الجزاء إما أن يعاقب به العبد المسيء في الدنيا أو في الآخرة ، أو يعمل العبد ما يحو عنه السيئات من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية ، أو يناله سبب يرفع الله به عنه عقوبة السيئات من دعوة مسلم أو شفاعة شافع أو رحمة أرحم الراحمين.

- امتدح الله عباده المؤمنين بأنهم
- الخوف يحملهم على التقوى بعمل الصالحات واجتناب السيئات.

○ وسوء الحساب هو أن يناقش العبد بسيئاته ثم يجازى عليها ؛ فإنه لا طاقة لأحد بعذاب الله.

- قال ابن جرير : (وقوله :
- [الرعد : ٢١] ، يقول : ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب ، ثم لا يصفح لهم عن ذنب ، فهم لرهبتهم ذلك جادون في طاعته ، محافظون على حدوده) .هـ.

- وليس معنى سوء الحساب أن الله يظلمهم ، تعالى الله عن ذلك ، بل إن الله يوفي كل إنسان عمله لا ينقص منه شيء ؛ بل سماه الله تعالى الجزاء الأوفى الذي لا أوفى منه ، فلا يغادر الله فيه حسنة وإن كانت مثقال ذرة ، كما قال الله تعالى :

() () ()
() () ()

[النجم : ٣٦ - ٤٢].

- وكما قال تعالى في الحديث القدسي :))

((رواه

مسلم من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا .

- دلت النصوص على أن الأمة على ثلاثة أصناف في الحساب :

○ : من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب .

○ من يحاسب حساباً يسيراً، فينظر في كتابه ويكلمه ربه ويقرره بذنوبه ثم يعفو عنه.

وهذا المقام ينبغي للعبد أن يتزَيَّن له بما يستطيع من الأعمال الصالحة، ويتجنب ما يشينه ويسوؤه من الأعمال السيئة، فإنه مقام حقّ، يود العبد فيه أنه لم يعمل سوءاً قط. كما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((

..))

قال الفضيل بن عياض: (واسوأُتاه منك وإن عفوت).

○ الذين يُناقشون الحساب، ومناقشة الحساب في نفسها عذاب، ثم ما يكون بعدها من العقوبة على السيئات عذاب أيضاً، والذين يؤمر بهم إلى العذاب هم الذين ظلموا أنفسهم من أهل الكبائر؛ ومنهم من تدرّكه رحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين فينجو ويسلم ومنهم من يُكرَدَسُ في النار فيعذب فيها ما شاء الله أن يعذب ثم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

● وفي مسند الإمام أحمد من حديث موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((

[فاطر: ٣٢]

[فاطر: ٣٤، ٣٥]

.. وهذا الحديث قد روي من طرق عن أبي الدرداء هذا أجودها، وقيل: فيه انقطاع، وله شواهد، وهو موافق لنصوص الكتاب والسنة والله تعالى أعلم.

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (يحاسب الله تعالى الخلق، ويخلو بعبد المؤمن، ويقرره

بذنوبه ؛ كما وُصِفَ ذلك في الكتاب والسنة ، وأما الكفار ؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ؛ فإنهم لا حسنات لهم ، ولكن تعدُّ أعمالهم وتحصى ، فيوقفون عليها ويقررون بها) ا.هـ.

• الحساب العسير الذي لا تيسير بعده إنما هو للكافرين والمنافقين كما دل عليه مفهوم آيات الانشقاق ، مع قوله تعالى :

[[الصفات: ٢٤] ، وقوله :

()

()

()

[[الأعراف: ٦ - ٩] وقوله :

()

()

[[الفرقان: ٢٦] ، وقوله :

[[المدر: ٩ ، ١٠].

• جزاء الله تعالى للمؤمنين بالنعيم إحسان منه وفضل لأنهم لا يستحقون الثواب استحقاقاً على الله ؛ فهم عبده ، وقد خلقهم لطاعته لا يستوجبون عليه شيئاً ، وأعمالهم في طاعة الله مهما بلغت لا توازي شكر نعمه عليهم ولا تقاربها ، ولكنَّ الله تعالى وعدهم وعداً حسناً أن يشيهم على ما يعملون من الحسنات ، والله تعالى لا يخلف الميعاد.

• فيكون دخول المؤمنين للجنة إنما هو برحمة الله عز وجل وفضله وإحسانه ليس عن استحقاق في الأصل عليه.

• وجزاء الله تعالى للكفار والظالمين عدل منه جل وعلا لم يظلمهم فيه شيئاً ؛ حتى إن الكفار أنفسهم يعلمون أنهم مستحقون للعذاب بسبب ما كانوا يعملون من السيئات وما اقترفوه من الكفر بالله جل وعلا ، حتى إنهم ليمقتون أنفسهم مقتاً شديداً على ما فرطوا في جنب الله.

• والمقصود أن جزاء الله تعالى دائر بين العدل والإحسان لا ظلم فيه بوجه من الوجوه.

• وقد بيّن الله تعالى الآيات والعظات وأرسل الرسل لينذروا هذا اليوم فمن استجاب وأتاب تذكراً وتبصراً وسلك طريق النجاة فأفلح ونجا ، ومن أعرض ونأى بجانبه وكفر بالله من بعد ما دعي إلى الإيمان فهو مستحق للعذاب الأليم والمقت الكبير كما قال الله تعالى :

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

() [غافر: ١٠ - ٢٠].

كُفْرٌ مِنْ كَذَبٍ بِالْبَعْثِ

قوله: (وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[التغابن: ١٧]).

- المكذب بالبعث كافر، وقد استدل على كفره بأمرين:
 - لأنه مكذب لحبر الله عز وجل وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم.
 - أن الله تعالى وصف القائلين بهذا بالقول بأنهم كفار فقال:

[التغابن: ١٧].

- وهذا الاستدلال مبني على قاعدة من قواعد التفسير، وهي أنه إذا حُكي في القرآن قولٌ أو فعلٌ عن قوم عُبر عنهم بوصف من الأوصاف فقولهم وفعلهم محكوم عليه بهذا الوصف.
 - فإذا قيل: قال الكافرون؛ فالقول المحكي عنهم كفر، فمن يقول به فهو كافر.
 - مثاله قوله تعالى: [ص: ٤] فمن زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم ساحر أو كذاب فهو كافر.

• وقوله تعالى :

[المؤمنون: ١١٧] فدعاء غير الله عز وجل هو من فعل الكفار الذين حكم الله تعالى

عليهم بأنهم لا يفلحون.

• وقوله :

[الفرقان: ٤] فمن قال بأن الرسول صلى الله عليه وسلم افترى القرآن على

ربه فهو كافر.

[الروم: ٢٩] فالذي يتبع هواه بغير علم

• وقوله :

فهو ظالم.

[التغابن: ٧] فمن زعم أنه لن يبعث فهو

• ومنه هذا المثل :

كافر؛ لأنه قال بالمقالة التي وصف الله القائلين بها بأنهم كفار.

• وهذه القاعدة صحيحة في الأصل ولها استثناءات، والاستدلال الأول أصح وأقوى

دلالة.

• وقد أجمع أهل العلم على كفر من كذب بالبعث.

مقاصد إرسال الرسل

قوله: (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النساء: ١٦٥].

• أرسل الله تعالى الرسل لحكم ثلاثة جمعها الله تعالى في قوله تعالى :

[النساء: ١٦٥] ، وقوله :

[البقرة: ٢١٣].

• وتلخص منها أن مقاصد إرسال الرسل ثلاثة :

○ : إقامة الحجّة على العباد ببعثة الرسل وإنزال الكتب.

○ : تبشير من يطيع الله ورسله.

○ : إنذار العصاة.

• وهذه المقاصد يُجمع بعضها في بعض المواضع ويفرد بعضها، وكل مقصد منها إذا أُفرد فهو دال على غيره.

○ فإقامة الحجّة تتضمن البشارة والندارة.

○ والبشارة إذا أُفردت فمن لم يحقق شروطها فهو خاسر، وفي هذا حجّة وندارة.

○ وكذلك الندارة فإن من اجتنب ما أنذر عليه فهو آمن من العذاب المنذر به وفي هذا حجّة وبشارة.

• ولذلك ربما أُفردت بعض المقاصد في بعض المواضع دون بعض.

• وَفَهُمْ هذا يزيل ما قد يُستشكّل من اختلاف وصف الحصر في بعض الآيات كما في قوله

تعالى: [الأنعام: ٤٨] في موضعين، ولم يذكر إقامة

الحجّة لفظاً لأنه لازم معنى من الوعد بالبشارة والوعيد على الندارة.

• وقوله: [فاطر: ٢٣]، وقوله:

ص: ٧٠.

• وكذلك شهادة كل رسول على أمته هي قائمة على هذه الأمور الثلاثة كما في قوله

[النساء: ٤١]،

تعالى:

()

وقوله:

[الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

• فدعوة الرسل متضمنة لبيان الأوامر والنواهي وما يترتب عليها من البشارة والندارة، وبيانهم ودعوتهم هي إقامة الحجّة على من أرسلوا إليهم، وشهادتهم عليهم يوم القيامة هي من مقتضى إقامة الحجّة لأنهم يشهدون عليهم بما أجابوهم به.

المقصد الأول: إقامة الحجّة

• فأما المقصد الأول: وهو إقامة الحجّة فإن الله عز وجل بيّن أنه من عدله أنه لا يظلم أحداً

مقال ذرة، وأنه لا يعذب أحداً قبل أن يرسل إليه رسولاً كما قال تعالى:

[الإسراء: ١٥].

[الأنعام: ١٣١].

• وقال تعالى:

○ غافلون: أي غير عارفين بما يجب عليهم مما أوجبه الله من الإيمان به واتباع رسله.

● وقال الشنقيطي رحمه: (قوله تعالى:

[النساء: ١٦٥] الآية، لم يبين هنا ما هذه الحجة التي كانت تكون للناس

عليه لو عذبهم دون إنذارهم على ألسنة الرسل، ولكنه بينها في سورة طه بقوله:

[طه: ١٣٤]، وأشار لها في سورة القصص بقوله:

[القصص:

١٤٧]هـ.

● وقد بين الله تعالى أنّ كل من يدخل النار من الكفار فقد قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل وعرفوا ما وجب عليهم وما أنذروا به لكنهم كذبوا واستكبروا أو اتبعوا المستكبرين، كما قال الله تعالى:

()

()

()

()

()

[الملك: ٦ - ١١]

● فاعترفوا بذنبيهم وأقروا بقيام الحجة عليهم ولم يجدوا إلا لوم أنفسهم فقالوا:

[الملك: ١٠]

● وقال تعالى:

[الزمر: ٧١].

● وقال تعالى:

()

()

(سبأ: ٣١ - ٣٣).

- فهؤلاء المستضعفون لم ينكروا أن الهدى قد جاءهم ، وعرفوا أنهم كانوا مجرمين بعضيائهم للرسول وكفرهم بالله جل وعلا ، ولذلك ندموا حين لا تنفعهم الندامة.
- وقال تعالى مبيّنا ما يقوله للكفار من الإنس والجن يوم يحشرهم :

()

() [الأنعام: ١٣٠ ، ١٣١].

- قال ابن جرير رحمه الله : (فقطع حجة كل مبطل الحد في توحيدهِ وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذرهِ ، إغذاراً منه بذلك إليهم ، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه) اهـ.
- وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((
- فالحجة تقوم على الخلق بإرسال الرسل ؛ فما جاء به الرسل فهو لازم للناس ، ومن خالفهم بأي حجة يتحجج بها فحجته داحضة باطلة.
- وهذا أصل مهم من أصول أهل السنة ، وقد خالف فيه وفي بعض تفاصيله طوائف من أهل البدع وأشهرهم طائفتان :
- : بعض المتكلمين - أصحاب علم الكلام - الذين زعموا أن الحجة قائمة بالعقل والفترة ، وأن الخلق لو عُذِّبوا دون إرسال الرسل لكان ذلك عدلاً.
- : بعض غلاة المتصوفة الذين زعموا أنهم يأخذون بالإلهام عن ربهم مباشرة دون واسطة رسول ، ومنهم من يقول : حدثني قلبي عن ربي.
- وكل من زعم أنه يسعه الخروج عن طاعة الرسول فهو كافر.

المقصد الثاني: البشارة

الأحزاب: ٤٧، وبين هذا

• قال الله تعالى:

الفضل الكبير بقوله:

الشورى: ٢٢.

• فقوله: يتضمن ثلاثة أمور:

- البشارة لمن اتصف بالإيمان بالفضل الكبير في جنات النعيم.
- النذارة لمن لم يتصف بالإيمان؛ بأن البشارة لا تناله، ومن حرم ثواب البشارة فهو خاسر.

○ أن معرفة الإيمان إنما تنال عن طريق الرسول الذي بلغهم البشارة، فهم لا يعرفون كيف يؤمنون إلا من طريقه.

• فتبين أن هذه المقاصد يدل بعضها على بعض، وأن القرآن يصدق بعضه بعضها، وأن العبارة الواحدة تدل على معان كثيرة يصدق بعضها بعضا.

المقصد الثالث: الإنذار

• قال الله تعالى: () () المائدة: ١، ٢، وقال تعالى:

فاطر: ٢٤.

• وهذه النذارة على درجتين:

○ النذارة للكفار بالخلود في النار وتحريم الجنة عليهم أبداً، كما قال

تعالى:

إبراهيم: ٤٤.

○ إنذار العصاة بما عليهم من العذاب، وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الذنوب كبيرها وصغيرها، وخص الكبائر بمزيد تحذير وإنذار وبين عقوبة بعضها، فمن ارتكبها بعدما بلغه العلم فهو مستحق للعقاب، والعياذ بالله.

○ نسأل الله تعالى أن يتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا، وأن يغفر لنا ويرحمنا

ويهدينا إليه صراطاً مستقيماً.

حكم أهل الفترة

- من المسائل المتصلة بهذا المبحث ما يعرف بمسألة حكم أهل الفترة.
- وهذه المسألة قد أفاض فيها أهل العلم، ومنها مسائل متفق عليها، ومسائل مختلف فيها، وقبل بحث هذه المسألة :

- : أن كل أمة قد بعث فيها نذير كما دل عليه قوله تعالى :
- [فاطر: ٢٤] ، وقوله :

[النحل: ٣٦].

○ وهذا العموم الوارد في الأمم لا يعارضه وجود أفراد لم تبلغهم الرسالة لأسباب عارضة اقتضتها حكمة الله تعالى.

- : أن الله تعالى قد اقتضى عدله ألا يعذب أحداً لم تقم عليه الحجّة الرسالية كما قال تعالى :
- [الإسراء: ١٥].

○ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «

».

- دل الحديث بمنطوقه على أن من بلغته الحجّة ولم يؤمن فهو من أهل النار، ودل بمفهومه على أن من لم تبلغه الحجّة الرسالية فلا يقع عليه هذا الوعيد.
- واسم هذه المسألة وهو حكم أهل الفترة أُخِذَ من قوله تعالى :

[المائدة: ١٩] والمقصود بالفترة انقطاع إرسال

الرسول مدة طويلة من الزمن.

- قال ابن جرير : (يقول : على انقطاع من الرسل ، و"الفترة" في هذا الموضوع : الانقطاع ؛ يقول : قد جاءكم رسولنا يبين لكم الحق والهدى ، على انقطاع من

الرسول، و"الفترة": الفَعْلَة، من قول القائل: "فتر هذا الأمر يفترُ فُتورًا"، وذلك إذا هداً وسكن، وكذلك "الفترة" في هذا الموضع، معناها: السكون، يراد به سكون مجيء الرسول، وذلك انقطاعها). ا.هـ.

• وقال أبو المظفر السمعاني: (وإنما سماه زمان الفترة، لأن الرسول كانوا بعد موسى تترى من غير انقطاع، ولم يكن بعد عيسى رسول سوى محمد).

• وقال ابن حجر: (وزمان الفترة هو ما بين الرسولين من المدة التي لا وحي فيها).

• وقال عامة المفسرين في هذه الآية بنحو ما قاله ابن جرير، بل نقل بعضهم الإجماع عليه.

• وأهل الفترة الكبرى هم من مات في الزمن الذي بين رفع عيسى عليه السلام وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

• لكن مما ينبغي التنبه له أن كون المرء من أهل الفترة لا يقتضي ذلك الحكم بكفره ولا إسلامه، والتفصيل في شأنهم أنهم على ثلاثة أقسام:

○ ومنهم من شهد له النبي

صلى الله عليه وسلم بخير كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل.

○

وعلى هذا القسم تحمل الأحاديث الواردة في الحكم على بعض الكفار الذين ماتوا في الفترة بالنار.

○ فهؤلاء هم الذين وردت فيهم أحاديث الامتحان.

• وقد روي في مسألة الامتحان نحو سبعة أحاديث ثلاثة منها صحيحة والأخرى في طرقها ضعف.

• فأما الثلاثة الصحيحة فحديث عن الأسود بن سريع رضي الله عنه، وحديثان عن أبي هريرة رضي الله عنه أحدهما مرفوع، والآخر موقوف له حكم الرفع.

• فأما الحديث الأول: فهو ما رواه معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال:))

- :
- :
- :
- :
..

قال: ((

أخرجه: الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة، والبخاري، وابن حبان، وأبو نعيم الأصبهاني، والطبراني، والضياء المقدسي، وابن حزم في الأحكام، والبيهقي في الاعتقاد كلهم من طريق معاذ بن هشام به.

• وأما الحديث الثاني: فهو ما رواه الإمام أحمد، ومحمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة، وابن حزم في الأحكام، والبيهقي في الاعتقاد من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً نحوه إلا أنه قال في آخره: ((

البيهقي: (وهذا إسناد صحيح)، والحديث صححه الألباني.

• وأما الحديث الثالث: فهو ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: (إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعته والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار).

قال: فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول؟

قال: (وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً).

ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه.

قال: ثم قال أبو هريرة: (اقرؤوا إن شئتم:

(الإسراء: ١١٥).

وهذا إسناد صحيح إلى أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه، ومثله لا يقال بالرأي، وقد

- رواه من هذا الطريق محمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة.
- قال ابن القيم: (غاية ما يُقدَّر فيه أنه موقوف على الصحابي ومثل هذا لا يقدم عليه الصحابي بالرأي والاجتهاد بل يجزم بأن ذلك توقيف لا عن رأي).
- وقد صحت الرواية بمعناه عن أبي هريرة مرفوعاً من طريق آخر كما تقدم.
- وروي في هذا المعنى أحاديث أخرى عن أنس وثوبان وأبي سعيد الخدري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وفي طرقها كلها ضعف.
 - قال ابن القيم: (هذه الأحاديث يشد بعضها بعضها فإنها قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها فيبعد كل البعد أن تكون باطلة على رسول الله لم يتكلم بها وقد رواها أئمة الإسلام ودونوها ولم يطعنوا فيها).
 - وممن صحَّح مسألة الامتحان: ابن حزم في الإحكام، والبيهقي في الاعتقاد، وعبد الحق الأشبيلي في الغاية، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر، والألباني، واحتج بها محمد بن نصر المروزي في الرد على ابن قتيبة.
 - ومما ينبغي معرفته أن هذه المسألة أُحِقَّ بها من مات ولم تبلغه الدعوة وإن لم يكن من أهل الفترة المذكورة كأطفال المشركين ومجانينهم وكذلك من بلغته الدعوة على حال لا تقوم بها الحجة كالكبير المخرف والأصم ومن في حكمهم.
 - فالذي لا تبلغه الدعوة بوجه تقوم به عليه الحجة الرسالية فله حكم أهل الفترة، على ما سبق بيانه، والله تعالى أعلم.

الدرس الحادي والعشرون: الكفر بالطاغوت

قال رحمه الله:

(وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النساء: ١٦٥].

وَأَوْلُهُمْ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الأحزاب: ٤٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ الرُّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَأْمُرُهُمْ
بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النحل: ٣٦].

وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ.
قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حُدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ،
أَوْ مَتَّبِعٍ، أَوْ مُطَاعٍ).

وَالطَّاغُوتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ:

- إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ.
- وَمَنْ عُيِدَ وَهُوَ رَاضٍ.
- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.
- وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.
- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

[البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفِي الْحَدِيثِ: ((

..))

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

عناصر الدرس :

- أول الرسل وآخرهم
- الكفر بالطاغوت
- بيان معنى الطاغوت
- شرح تعريف ابن القيم للطاغوت
- رؤوس الطواغيت
- تفسير قول الله تعالى: .. [البقرة: ٢٥٦].
- معنى العروة الوثقى
- شرح حديث: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة..)

أول الرسل وآخرهم

قوله: (وَأَوْلَهُمْ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[الأحزاب: ٤٠].

وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ الرُّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النساء: ١٦٣].

• أي: أن أول الرسل نوح عليه السلام، واستدل لذلك بقوله تعالى:

[النساء: ١٦٣]، وقال تعالى:

[الحديد: ٢٦].

• ويدل لذلك صراحة ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة المسمى بحديث الشفاعة، وفيه أن أهل الموقف يوم القيامة يأتون نوحاً فيقولون: (يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض).

• وآدم عليه السلام كان نبياً مكلماً ولم يكن رسولاً كما دل على ذلك ما رواه ابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم من طريق معاوية بن سلام عن أخيه زيد عن أبي سلام قال: حدثني أبو أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟

قال: ((قال: كم بينه وبين نوح؟

قال: ((قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟

قال: ((

قالوا: يا رسول الله كم كانت الرسل؟

قال: ((

والحديث صححه الحاكم، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وصححه الألباني.

• وهذه القرون العشرة كان أهلها على التوحيد حتى نشأ الشرك في قوم نوح عليه السلام

كما قال الله تعالى: [البقرة: ٢١٣] أي على دين الإسلام

البقرة: ٢١٣ وقال :

[يونس : ١٩] .

• قال ابن عباس رضي الله عنهما : (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) ، قال : (وكذلك هي في قراءة عبد الله : (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا)) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وقال : على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي .

• والحديث صححه الألباني وقال : (فإنه وإن كان موقوفاً رواية ؛ فهو مرفوع دراية ؛ فإنه في تفسير قوله تعالى :

البقرة :

١٢١٣ ، وبخاصة أنه من رواية ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وفيه ما يؤكد رفعه ، وهو قوله : (وكذلك هي في قراءة عبد الله.. " يعني : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفيه فائدة هامة ؛ وهي أن الناس كانوا في أول عهدهم أمة واحدة على التوحيد الخالص ، ثم طرأ عليهم الشرك ، خلافاً لقول بعض الفلاسفة والملاحدة ؛ أن الأصل فيهم الشرك ثم طرأ عليهم التوحيد !

ويبطل قولهم هذا الحديث وغيره مما هو نص في نبوة أبيهم آدم عليه السلام ، إلى أدلة أخرى كنت ذكرت بعضها في كتابي "تحذير الساجد" (ص ١٤٧ - ١٥٠) ، فراجعه فإنه مهم) .هـ .

قوله : (وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

[الأحزاب : ٤٠] .

• هذه الآية تدل دلالة صريح على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا نبي بعده ، وقد صح من حديث أنس المتقدم في دروس سابقة أن النبوة والرسالة ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

• فكل من ادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهو كاذب ، ومدعي النبوة كافر بالإجماع .

الكفر بالطاغوت

قوله: (وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

[النحل: ٣٦].

وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ).

• قوله تعالى:

[النحل: ٣٦]

صريح الدلالة على أن كل أمة قد بعث فيها رسول يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده واجتناب الطاغوت، وأن دعوة الرسل كلهم إلى الإسلام الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة.

• وهذه الرسالة إلى كل أمة، لم تخل منها أمة من الأمم كما دل على العموم قوله:

[فاطر: ١٢٤]، وقال تعالى:

[النحل: ٣٦]، وقال تعالى:

[يونس: ٤٧].

• والنبى صلى الله عليه وسلم جاءت رسالته إلى الناس جميعاً فرسالته أعم الرسالات.

• وهذا العموم في البعث إلى جميع الأمم لا يعارضه وجود أفراد من تلك الأمم لم تبلغهم الدعوة كما سبق بيانه، وبيان الأدلة على هذه المسائل.

• وأما تحديد عدد هذه الأمم ففيه حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((

رواه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق في تفسيره، وأحمد في فضائل

الصحابة، والترمذي وابن ماجه في سننهما، والحاكم في المستدرک، وغيرهم.

○ قال ابن حجر في الفتح: (وهو حديث حسن صحيح)، وذكر له شاهداً عن علي في

المستد مرفوعاً بسند حسن، وأثراً عن قتادة في تفسير الطبري رجاله ثقات، والحديث حسنه

الألباني.

شرح تعريف ابن القيم للطاغوت

قوله: (قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : (وَمَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ

حَدَّةٌ، مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتَّبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ).

• **الطاغوت:** فَعَلُوتٌ مِنَ الطَّغْيَانِ، أَصْلُهُ طَعُوْتُ، كَمَا يُقَالُ: مَلَكُوتٌ، وَجَبْرُوتٌ، وَهَذَا الْبِنَاءُ تَسْتَعْمَلُهُ الْعَرَبُ لِلْمَبَالِغَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي لَا أَبْلَغُ مِنْهَا.

• **والطغيان** هو: مجاوزة الحد، يقال: رجل طاغ، إذا جاوز حدّه، وأسرف في الظلم.

• ويقال: رجل طاغية، على سبيل المبالغة، وصفاً لعظيم ظلمه وطغيانه ومجاوزته للحد،

ويقال: طاغوت، على سبيل المبالغة العظيمة أي أنه بلغ الغاية في الطغيان.

• ويطلق لفظ الطاغوت على الواحد والجماعة، وعلى المذكر والمؤنث.

• قال الواحدي: (الطاغوت يكون واحداً وجمعاً، ويؤنثُ ويذكرُ:

○ قال الله تعالى:

[النساء:

١٦٠؛ فهذا في الواحد.

○ وقال تعالى في الجمع:

[البقرة: ٢٥٧].

○ وقال في المؤنث:

[الزمر: ١١٧]أ.هـ.

• التأنيث في قوله تعالى

[الزمر: ١١٧] هو للأوثان، وهي

جماعة تؤنث لفظاً، قال تعالى:

[الحج: ١٣٠].

• والطاغوت يجمع على طواغيت، والطواغي جمع طاغية، وفي صحيح مسلم من

حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

..))

○ والمراد بالطواغي في هذا الحديث الأوثان التي تعبد من دون الله عز وجل.

○ وقد بَوَّبَ البخاري في صحيحه باب (لا يُحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت)

• وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان الأنصار قبل أن

يسلموا يهلّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدون عند المشلل).

• قال النووي: (ومناة: صنمٌ كان نصبه عمرو بن لحيّ في جهة البحر بالمشلل ممّا يلي

قديداً).

○ **والمشلل:** ثنية مشرفة على قديد، وهو شمال جدة قريب من عسفان.

• وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:))

((. وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية).

○ قوله: (وذو الخلصة طاغية دوس...) هذا مدرج من كلام أبي هريرة رضي الله عنه.

• وفي هذا دليل على أن الشرك سيعود في هذه الأمة، وقد جاء بيان توقيت ذلك في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((

فقال عائشة: (يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله:

[[الفتح: ٢٨] أن ذلك تاماً.

قال:))

((.

• وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

:))

((.

• وهذا الاتباع يكون إلى نار جهنم والعياذ بالله؛ فإن هذه الطواغيت وكذلك الشمس والقمر يؤمر بها فتلقى في نار جهنم هي ومن يتبعها، ويلقون في النار إلقاءً عنيفاً شديداً كما قال تعالى:

[[الأنبياء: ٩٨].

○ **الحَصْبُ:** هو ما يُحَصَّبُ به، أي يحذف ويُرمى، ومنه سميت الحصباء لأنها حجارة يُحصب بها، ويقال: حَصَبْتَهُ بحصاة، إذا حذفته بها.

○ **والْحَصْبُ:** هو الشيء الذي يُحَصَّبُ به من حجارة أو غيرها؛ فجعل الله تعالى المشركين وما يعبدون من الطواغيت حَصَبَ جهنم، والعياذ بالله.

○ قال ابن جرير: (معناه أنهم تقذف جهنم بهم، ويرمى بهم فيها).

• والمقصود أن أكثر ما يطلق لفظ الطاغوت في نصوص الكتاب والسنة على ما يُعبد من دون الله عز وجل.

• قال تعالى :

[[الزمر: ١٧].

• وقال :

[[البقرة: ٢٥٦].

• قال ابن وهب : قال لي مالك : (الطاغوت : ما يعبدون من دون الله).

• وقد نقل عن السلف عبارات في تفسير الطاغوت لا تخالف ما سبق تقريره لكنها إما لبيان أصل الطاغوت ، أو التنبيه على بعض أنواعه.

○ فروي عن عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي : أن الطاغوت هو الشيطان.

○ وروي عن محمد بن سيرين أن الطاغوت هو الساحر ، وهي إحدى الروايتين عن أبي

العالية الرياحي ، وهذا بيان لنوع من أنواع الطواغيت.

○ وروي عن سعيد بن جبير أن الطاغوت هو الكاهن ، وهي الرواية الأخرى عن أبي

العالية الرياحي ، وهذا بيان لنوع من أنواع الطواغيت.

• قال ابن جرير : (والصواب من القول عندي في "**الطاغوت**" ، أنه كل ذي طغيان على

الله ، فُعبدَ من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، وإنسانا كان ذلك المعبود ، أو شيطانا ، أو وثنا ، أو صنما ، أو كائنا ما كان من شيء)أ.هـ.

• وهذا يدل عليه قوله تعالى :

[[الزمر: ١٧] ؛ ففسر اجتناب الطاغوت في قوله تعالى :

[[النحل: ٣٦] باجتناب عبادتها ، فدل على أن

الطاغوت هو ما يُعبد من دون الله عز وجل ، مهما كان نوع تلك العبادة ، فقد تكون دعاء وذبحاً ونذراً ، وقد تكون تحاكماً والتجاءً ، وقد تكون طاعة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

• وأنت إذا تأملت هذه الأمور وجدت جامعها عبادة الشيطان ، ولذلك قال ابن كثير بعد

ما أورد أثر عمر بن الخطاب في تفسير الطاغوت بأنه الشيطان : (ومعنى قوله في الطاغوت : إنه

الشيطان قوي جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، من عبادة الأوثان والتحاكم

إليها والاستنصار بها)أ.هـ.

- وبيان ذلك: أن عبادة الأصنام هي في حقيقة الأمر عبادة للشيطان، وكذلك التحاكم إلى الكهان هو تحاكم إلى الشياطين؛ لأن الكهان إنما يتلقفون أباطيلهم من الشياطين.
- قال الله تعالى:

() ()
ليس: ٦٠، ٦١.

- وابن القيم رحمه الله تأمل هذه الأقوال والمعاني التي تجمعها، وأشهر الطواغيت التي عبت من دون الله عز وجل، وأنواع عبادتها؛ فحاول أن يوجد تعريفاً جامعاً مانعاً فقال ما نقله الشيخ هنا: (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)
- وهذا من كلامه في إعلام الموقعين، وقال في شرحه: (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً) هـ.

قوله: (الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود)

- عبّر بهذا التعبير ليُخْرِجَ مَنْ عُبِدَ من دون الله عز وجل وهو غير راضٍ، كما عُبِدَت الملائكة وعُبدَ المسيح ابن مريم، وعُبدَ عُزَيْر، وغيرهم من الصالحين، حتى إن اللات قيل: إنه رجل صالح كان يَلْتُ السويق للحجاج يُطعمهم؛ فلمَّا مات نُصِبَ له صنمٌ، وعُبدَ من دون الله عز وجل، وهؤلاء الصالحين ليسوا بطواغيت.
- وعند التحقيق نجد أنه لا حاجة إلى هذا الاحتراز في التعريف لأن اللبس فيه مأمون، وهؤلاء الصالحين قد عُبِدوا ظلماً وزوراً لم يدعوا لعبادة أنفسهم، وإنما اتخذهم المشركون طواغيت، كما اتخذوهم آلهة وأرباباً، قال تعالى:

• فاتخاذهم أرباباً وآلهة هو في معنى اتخاذهم طواغيت، وإلا فهم ليسوا بأرباب ولا آلهة ولا طواغيت.

• وإنما وقعت المخاصمة في هؤلاء من كفار قريش لما نزل قوله تعالى:

{الأنبياء: ٩٨}، فإنهم خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى

إذ عبده النصرى مخاصمة بالباطل.

• جعل الله تعالى هذه المسألة فتنه للمشركين هي من مزيد إقامة الحجة عليهم فإنها دعوتهم للتفكر في ما بلغنهم الرسول صلى الله عليه وسلم من آيات ربهم وعرفوا معانيها فقامت عليهم الحجة ولكنهم لم يؤمنوا بها ولم يستجيبوا لها ولم يحذروا مما أنذرهم الله عز وجل من العذاب الشديد في نار جهنم، بل قابلوا ذلك بالمجادلة بالباطل ظلماً وطغياناً و عناداً واستكباراً، ليغتر بعضهم بعضاً بما استحسونه من زخرف القول.

• ولو أنهم تفكروا في أنفسهم لعرفوا أن الله تعالى لا يكون في كلامه خطأ ولا قصور، ولا يكون في حكمه ظلم ولا جهل، لكنهم انصرفوا عما أمروا به من توحيد الله عز وجل إلى مخاصمة الله ورسوله واستمروا المحادة والمشاقفة وفي هذا من سوء الأدب مع الله عز وجل ومع رسوله ما يستحقون عليه العذاب الشديد، وقد جعل الله هذا الأمر فتنة لهم ليظهر ما في نفوسهم من الكبر والطغيان.

• روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزلت:

{الأنبياء: ٩٨}.

قال عبد الله بن الزبير: أنا أخصم لكم محمداً.

فقال: يا محمد أليس فيما أنزل عليك:

{الأنبياء: ٩٨}؟

قال: (()).

قال: فهذه النصرى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيزاً، وهذه بنو مليح تعبد

الملائكة؛ فهؤلاء في النار؟

{الأنبياء: ١١}.

فأنزل الله عز وجل:

- ورواه الطحاوي في مشكل الآثار بزيادة، وفيها أنه قال: فضجَّ أهل مكة؛ فنزلت عيسى وعزير والملائكة

[الزخرف: ٥٧] وهو

قال: ونزلت

الصَّجِيج).

- (يصدون) بكسر الصاد أي يضجّون، قال الله تعالى:

[الأفقال: ١٣٥].

()

قال الله تعالى:

[الزخرف: ٥٧، ٥٨].

- الذي ضرب هذا المثل هو عبد الله بن الزبير كما تقدّم؛ فضجَّ أهل مكة فرحاً بهذا المثل، وقالوا: إذا كان عيسى ليس في النار؛ فألّهتنا خير منه.

- استفهام إنكاري جوابه المتقرر عندهم أن ألّهتهم خير منه، حتى إنهم قدموا ذكر ألّهتهم وأخروا ذكره ورمزوا له بالضمير تقيلاً من شأنه.

- ونسب الضرب إليهم جميعاً فقال: لأنهم وافقوه على قوله، وإن كان الضارب واحداً في الأصل، لكن لما فرحوا بضرِب هذا المثل نسب إليهم جميعاً.

- وقول الله تعالى: دليل على أنهم يعلمون أنهم مبطلون لا حجة لهم، وإنما أرادوا الجدال والمخاصمة.

- قال جماعة من أهل العلم باللغة والتفسير: قوله تعالى:

[الأنبياء: ٩٨] (ما) هي لغير العاقل، فالآية لا تشمل هؤلاء الصالحين بدلالة

اللفظ أصلاً؛ لأن العرب تخبر عن غير العاقل بـ (ما) فيكون المراد بقوله: بما يعبدون من دون الله الأوثان من الأصنام والأحجار والأشجار؛ وأما هؤلاء الصالحين فيخبر عنهم (بمن) وليس بـ (ما).

- ولذلك قال تعالى:

[الأنبياء: ١١] ولم يقل لها، وقال في الأوثان:

[الزمر: ١٧].

- فليس قوله تعالى:

... [الأنبياء: ١١] الآية استثثناء من

الآية التي قبلها، وإنما هو تقرير لحكم هؤلاء الصالحين الذين سبقت لهم الحسنى من الله تعالى أنهم مبعدون عن نار جهنم لا يسمعون حسيستها، وأنهم آمنون يوم القيامة من الفرع الأكبر الذي لا أكبر منه، وفي هذا تهديد لهؤلاء المشركين وإنذار وتخويف بأنهم إن لم يكفروا بالطاغوت ويؤمنوا بالله كانوا من المعذبين بذلك الفرع الأكبر وأنهم وما يعبدون من دون الله حسب جهنم، والعياذ بالله.

وقول ابن القيم: (أو متبوع أو مطاع)

• الاتباع والطاعة في معصية الله عز وجل على درجتين:

○ تكون فيما يخرج من الملة كاتباع الطواغيت في عبادة غير الله عز وجل بصرف شيء من العبادات لهم أو اتباعهم على تحليل الحرام وتحريم الحلال أو غير ذلك من نواقض الإسلام؛ فهؤلاء المتبوعون والمطاعون إما أن يكونوا هم المعبودين أو دعاة لهم وكلهم طواغيت بهذا المعنى.

○ : الطاعة والاتباع في معصية الله تعالى بما لا يخرج عن دين الإسلام، كأن يكون داعية إلى بدعة عظيمة أو حاكماً كثيراً الظلم والطغيان فهؤلاء أطلق عليهم بعض السلف أنهم طواغيت وإن لم يحكم بخروجهم من الملة؛ فاستعملوا المعنى اللغوي للفظ الطاغوت، وهو الطغيان الكبير.

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت، ولهذا سمي من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوتاً) اهـ.

• وقال بعض أهل العلم: الطاغوت هو كل رأس في الضلالة.

• ويجمع هذا كله: أن الطاغوت كل مُعظَّم أو متعظَّم بالباطل يُطغى بسببه.

رؤوس الطواغيت

قوله: (وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُيِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ حَكَّمَ

بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ).

- هذا من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد اختصره هنا ، وبسطه في موضع آخر.
- قال رحمه الله : (اعلم رحمك الله تعالى أنّ أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى

[النحل : ١٣٦].

فأمّا **صفة الكفر بالطاغوت** أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم.

وأما معنى **الإيمان بالله** أن تعتقد أنّ الله هو الإله المعبود وحده دون سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ، وهذه ملّة إبراهيم التي سفّه نفسه من رغب عنها. وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى :

[المتنحة : ٤].

والطاغوت عام في كل ما عبّد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت.

:

: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى :

[يس : ٦٠].

: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ، والدليل قوله تعالى :

[النساء : ٦٠].

: الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى :

[المائدة : ٤٤].

: الذي يدعي علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى :

()

() [الجن: ٢٦]، وقال تعالى:

[الأنعام: ٥٩].

: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى:

[الأنبياء: ٢٩].

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى:

[البقرة: ٢٥٦] ا. هـ.

- والفرق بين الثاني والثالث هنا، أن الثاني هو الحاكم المتسلط على الناس المغير لأحكام الله، والثالث يأتي إليه الناس إن رغبوا في حكمه، وكلاهما حاكم بغير ما أنزل الله.
- وقول الشيخ: (ورؤوسهم خمسة) لا يقتضي حصر الطواغيت في هذه الأصناف الخمسة، بل هؤلاء أشهرهم وأكثرهم شراً وطغياناً.
- وقد اختلف تقريره رحمه الله في عدّ هذه الخمسة اختلافاً يسيراً.
- والمقصود أن يفهم الطالب معنى الطاغوت في اللغة، والمراد به في نصوص الكتاب والسنة.

[البقرة: ٢٥٦].

تفسير قول الله تعالى:**قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:**

[البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَفِي الْحَدِيثِ:))**((.**

- قوله تعالى: أي إن الدين لا إكراه فيه على أحد، فلا يستطيع أحد من الخلق أن يجبر أحداً على دين لا يرتضيه؛ لأن الله تعالى لم يجعل للمخلوقين سلطاناً على القلوب.

- وقد يسّر الله الدين تيسيراً عظيماً: فمن اختار الإيمان فلا يستطيع أن يمنعه منه أحد من الخلق بإكراه على الكفر، لأن الدخول في الدين أصله الاعتقاد والقول ولو بالإسرار والإخفاء وهذا أمر لا سلطان لأحد من الخلق على منعه والإكراه عليه.
- وأما من اختار الكفر على الإيمان فهو كافر، وإن كان مستضعفاً في الظاهر.
- ولذلك فإن المستضعفين الذين قصّ الله خبرهم في القرآن في قوله تعالى:

()

()

[سبأ: ٣١ - ٣٣].

- فهؤلاء المستضعفون قد جاءهم الهدى وعرفوه ولم يؤمنوا به، بل اختاروا طاعة الطواغيت المستكبرين اختياراً قليلاً منهم، وإلا فإن هؤلاء الطواغيت لا سلطان لهم على قلوب المستضعفين، ولا يستطيعون أن يكرهوهم على اختيار الكفر.
 - ولو أن هؤلاء المستضعفين آمنوا بقلوبهم لجعل الله لهم مخرجاً ولأعزهم ونصرهم، ولكنهم اختاروا الكفر إرضاء للطواغيت فاستحقوا العذاب، ولذلك قال لهم المستكبرون باستنكار:
- [سبأ: ٣٢] فإنه لا سلطان لهم على قلوب المستضعفين يصدونهم به عن قبول الهدى.

- وقال الله تعالى لنبيّه:
- استفهام إنكاري، أي لا تستطيع أن تكره الناس على الإيمان.
- فمن تمام عدل الله عز وجل أن جعل الاختيار بين الكفر والإيمان لا إكراه لأحد فيه.

[البقرة: ٢٥٦]

• إذا تبين هذا فقوله تعالى:

:

○ : أنه لا يقع إكراه من مخلوق لمخلوق على الدين، كما سبق بيانه.

○ : أنها خبر بمعنى النهي أي : لا يجوز أن يُكره أحدٌ بتهديد بضرب أو قتل أو حبس أو نحوه على الدخول في دين الإسلام.

وهذا الإكراه إنما هو فعل ما يستطيعه المُكره من التهديد والتعذيب ؛ فإذا هدد أو عدّب حتى يوافقهُ المُكره ظاهراً فهو مُكره ، فنهى عن هذا ، وهو لا يقتضي الإكراه على الاختيار القلبي ، لأن المُكره قد يوافق ظاهراً ويخالف باطناً.

وهذا لا يعارضه قتال الكفار وإقامة الحد على المرتد فإن الكفار يقاتلون على منعهم تبليغ الدعوة وتمكين المؤمنين من الأرض ليحكموا فيها بما أنزل الله ويحطموا ما أمر الله بتحطيمه من الطواغيت التي تعبد من دون الله عز وجل ؛ فمن دافع عن هذه الطواغيت وقاتل في سبيلها استحق القتال ، وليس قتاله على أن يكره على أن يدخل في دين الإسلام كرهاً.

وكذلك المرتد يقتل تنفيذاً لحكم الله عز وجل فيه.

○ : ^[البقرة: ٢٥٦] أي لا يجوز للمؤمنين أن يكره بعضهم بعضاً على أي أمر من الأمور ، فمعنى لا إكراه في الدين أي لا يجوز الإكراه في دين الإسلام ؛ لأن الإكراه إضرار ، والإضرار محرم.

○ وقد روى ابن أبي شيبة عن حنش بن الحارث النخعي عن أبيه أنه قدم المدينة مع قومه فأمرهم عمر بالمسير إلى العراق مدداً للمسلمين في القادسية ؛ فقالوا : لا بل نسير إلى الشام ، فقال عمر : لا بل إلى العراق فإني قد رضيتها لكم ، فجادلوه حتى قال بعضهم : (يا أمير المؤمنين لا إكراه في الدين).

● قوله تعالى : أي إن طريق الرشد والصواب والخير قد تبين بياناً لا لبس فيه ، وكذلك طريق الغي والشر والفساد.

● أي يكفر بما يُعبد من دون الله ، ويقوم بما يقتضيه واجب الكفر من البراءة من الكفر وأهله.

● أي يوحد الله عز وجل ويسلم وجهه وقلبه له.

معنى العروة الوثقى

- ، **العروة** هي ما يُسْتَمْسَكُ به لطلب النجاة.
 - وأصل هذا اللفظ أن الدلو توثق بعروة تمسكها؛ فإذا أُلْقِيَت الدلو في البئر وامتلأت ماءً جذبها المستسقي بحبل قد ربطه في عروة الدلو فإن كانت تلك العروة وثيقة جيدة والحبل جيداً استخرج الدلو، وإن كانت العروة غير وثيقة انفصمت العروة فسقط الدلو.
 - قال امرؤ القيس:
- كالدلو ثبت عراها وهي موقرة إذ خانها ودّم منها وتكريب
- الكَرْبُ: حبل يشدُّ به وسط العراقي، والعراقي: خشبتان متقاطعتان على شكل صليب يوضع على فم الدلو، ويكون طرف كل خشبة في أذن من أذان الدلو الأربعة.
 - والوذم سيور تربط أذان الدلو بالعراقي، واحدها: وَدْمَةٌ.
 - فالعروة اسم لهذه الأجزاء التي تتكون منها، وهي التي تمسك الدلو.
 - يقال: عروة وثيقة، إذا كانت قوية مأمونة؛ فتجمع بين القوة والأمان بحيث يوثق بها، ويُطمئنُ إليها، ويقال: عروة أوثق من عروة؛ على التفاضل في صفتي القوة والأمان، **والعروة الوثقى** هي التي بلغت الغاية في القوة والأمان فلا أوثق منها.
 - فإذا كانت العروة وثقى، والاستمساك جيداً نجا المستمسك بهذه العروة من الهلاك.
 - فهذه العروة الوثقى التي وصفها الله عز وجل بقوله:
- [البقرة: ٢٥٦] هي أوثق أسباب النجاة وأفضلها وأجلها، بل
- لا أفضل منها، ولا ينجو العبد بغيرها، وهي أن يؤمن بالله عز وجل ويكفر بالطاغوت.
 - وهذا كما يقال: الطريقة المثلى، أي التي لا أمثل منها، ولا أحسن.
 - فالله تعالى يريد أن يقطع على الناس البحث عن أسباب نجاة أخرى؛ فإذا علم العبد أن هذا السبب هو أعظم الأسباب وأنفع الأسباب لم يلتفت قلبه إلى غيره.
 - لفظ الاستمساك فيه بناء لغوي أقوى دلالة من المسك، لأنه يجمع معاني قوة التمسك والحرص والمداومة عليه.
 - فما دام العبد مستمسكاً بهذه العروة؛ فالله تعالى ضامن له ألا تنفصم، وألا تنقطع به

دون بلوغ ما يأمل من النجاة والفوز الكبير.

- قوله: تأكيد على أن هذه العروة لا تنفصم أبداً، ولا تتقطع أجزاؤها، وفي هذا ضمان عظيم لمن استمسك بهذه العروة الوثقى ألا يُخذل من جهتها أبداً.
- قال الله تعالى: الإسراء: ٢٢٢ دلّ

بمنطوقه على أن كل من جعل مع الله إليها آخر فهو مذموم مخذول، ودل بمفهومه على أن من وحّد الله تعالى فلا يكون مذموماً ولا مخذولاً؛ فسييل النجاة من الذم والخذلان هو توحيد الله عز وجل.

- وإنما يقع العبد في شيء من الذم والخذلان إذا ضعف تحقيقه للتوحيد، فأما إذا أشرك بالله جل وعلا فقد أحاط به الذم والخذلان والخسران من كل جانب، والعياذ بالله.
- ومن حقق التوحيد فلا يخاف من الذم ولا الخذلان؛ لأن هذه العروة التي استمسك بها عروة وثقى قد ضمن الله تعالى لمن استمسك بها أن لا تنفصم به.

- فقله تعالى: البقرة: ٢٥٦ بيان لمعنى تحقيق الاستمسك بالعروة الوثقى، لأن حرف (قد) يفيد التحقيق.

- أي سميع مجيب لدعاء من يدعوه مخلصاً له الدين، بما في قلوبهم من التوحيد والإسلام، وهذا يقتضي عنايته جل وعلا بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمرهم.

- فانظر كيف اقتلعت هذه الآية جذور الخوف من الخذلان والهلاك من قلوب أولياء الله المؤمنين الموحدين فاطمأنت قلوبهم بذكر الله ومعرفته والإيمان به

الرعد: ٢٨.

قوله: (وَهَذَا هُوَ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)).

- أي: أن قوله تعالى:

البقرة: ٢٥٦ يدل على معنى لا إله إلا الله؛ لأن الكفر بالطاغوت يعني نفي جميع ما يعبد من دون الله عز وجل والكفر به وإنكاره، والإيمان بالله يتضمن عبادته وحده لا شريك له.

- فالذي لا يخلص العبادة لله لا يكون مؤمناً بالله جل وعلا، والذي لا يكفر بالطاغوت لا يكون نافياً جميع ما يعبد من دون الله، ولا مخلصاً العبادة لله تعالى.
- وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد القيس: (())؛ فالإيمان بالله وحده يقتضي الإيمان به والكفر بالطاغوت وهو جميع ما يعبد من دون الله عز وجل.
- وهذه مسألة أهمّ المسائل، وقد كررها الشيخ هنا لأهميتها، ولو لم يخرج الطالب من دراسته لهذا المتن إلا بفقه هذه المسألة لكان في ذلك خير كثير؛ فاعتن بها جيداً.
- فإن تفسير التوحيد لا بد فيه من جمع أمرين:
 - : نفي جميع ما يعبد من دون الله عز وجل.
 - : أفراد الله تعالى بالعبادة.
- ف(لا إله) نفي لجميع ما يعبد، (إلا الله) إثبات العبادة لله وحده؛ فهو معنى قوله تعالى:
 - [البقرة: ٢٥٦]، وقوله: [النحل: ٢٣٦]، وقوله: [الزخرف:]
 - [الكافرون: ١- ٣]، وقوله: [ص: ٦٥]، وقوله: [النساء: ١٧١].
- وهو أيضاً معنى قوله تعالى:
 - [الإخلاص: ١، ٢].
 - أسلوب حصر في لسان العرب.
 - أي فرد متفرد لا شريك له ولا إله معه.
 - أي الذي يُصمد إليه فيدعى لقضاء الحوائج وجلب النفع ودفع الضر.
 - رد على اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب؛ فأما اليهود والنصارى فقالوا: [المائدة: ١٨]، ومنهم من زعم أن المسيح ابن الله، ومنهم من زعم أن عزيز ابن الله، وزعم بعض مشركي العرب أن الملائكة بنات الله

تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

○ [الإخلاص: ٤] أي ليس له نظير يكافئه ولا صاحبة له.

- وفي صحيح البخاري من حديث معمر بن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((:
:

((

- وفي مسند الإمام أحمد والسنن الأربعة من حديث مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو وهو يقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)؛ فقال: ((

(()؛ فكان هذا الاسم الأعظم متضمناً للتوحيد.

- ولذلك يجب على طالب العلم أن يحذر من قبول التفسيرات الخاطئة لكلمة التوحيد، وأكثر الأخطاء شيوعاً في تفسيرها:

- ١: قصر معناها على توحيد الربوبية أو بعض معاني الربوبية، كمن يزعم أن معناها لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ونحو ذلك من معاني الربوبية.
- ٢: قصر معناها على بعض معاني توحيد الأسماء والصفات كمن يقول معناها أنه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له.
- ٣: دعوى أن معناها مسألة خلافية ولا يبنى عليها التفريق بين الكفر والإيمان.
- وهذه التفسيرات الخاطئة قد يجدها طالب العلم لدى بعض أهل الفرق الضالة، وبعض من يلبس الحق بالباطل ليضل الناس بغير علم، كما كان يفعله بعض علماء السوء الذين ضل بسببهم كثير من الناس فكانوا يلبسون الحق بالباطل ويأكلون فريقاً من أموال الناس بالإثم وهم يعلمون، ويدلسون على الناس، ويسارعون إلى طاعة الحكام المبدلين لشرع الله فيطيعونهم في تبديل الدين وتغيير أحكام الله، ويلبسون على الناس ويوهمونهم أن هذا هو

الدين الصحيح ؛ نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

شرح حديث: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة..)

قوله: (وَيَفِي الْحَدِيثُ: ((

• هذا جزء من حديث معاذ بن جبل وقد سبق ذكره في درس الإحسان، والحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

• و(الأمر) واحد الأمور، وهو من أكثر الألفاظ العامة استعمالاً في لسان العرب، بل إنه يعبر به عن أي شأن.

• والمرء من شأنه أنه ياتمر في نفسه أموراً، أي يجعل لنفسه أموراً وشؤوناً يهتمُّ بها ويسعى لها، كما قال امرؤ القيس: ويعدو على المرء ما ياتمر

○ أي: ما يهتمُّ به من الأمور؛ فربما كان هلاكه في تديره لأمره.

• وقوله: (رأس الأمر) في معناه قولان لأهل العلم:

○ ما ذهب إليه بعض الشراح من أن المراد بالأمر هنا ما بعث الله به نبيه

محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأن رأس ذلك الأمر الإسلام؛ فهو كمثل الشيء الذي له جذع ورأس فيكون الرأس هو الإسلام، وهذا التفسير لا يصح لأن كل ما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الإسلام.

○ أن رأس الأمر هو أصله ومعظمه؛ فإذا ذهب ذهب الأمر كله، كما

يقال: رأس المال؛ فمن ذهب رأس ماله؛ بقي مفلساً لا مال له، وهذا القول أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال به ابن عاشور.

○ وهذا ظاهر في الأمور المعنوية التي تضاف إلى الرأس كما يقال: رأس الحكمة مخافة

الله؛ أي أصلها ومعظمها؛ ورأس العلم خشية الله.

• ويطلق لفظ الرأس على معانٍ في لسان العرب يدل عليها السياق والاستعمال بالإفراد والتركيب؛ فيقال: رأس الحبل، أي طرفه، ورأس الجبل أعلاه، وعصا لها رأسان أي

شعبتان، ورأس الحول آخره، قال الرياحي:

- وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزت رأس الأربعين
أخو خمسين مكتمل أشدي وحتنّني مداورة الشؤون
- فإطلاق لفظ الرأس في قوله (رأس الأمر) ليس نظيراً لإطلاقه في رأس الحيوان، ولا هو بمعنى الطرف، ولا آخر الشيء، وإنما هو أصله ومعظمه.
 - والمقصود أن قوله صلى الله عليه وسلم: ((أي أن أصل أمر الإنسان وما خلق من أجله هو الإسلام؛ فإذا ذهب إسلام المرء ذهب أمره كله، وأصبح على غير شيء، فسائر أموره إذا لم يسلم لا اعتبار لها، ولا تنفعه عند الله. وهذا كما قال تعالى:

المائدة: ٤٦٨؛ فهؤلاء ليسوا على شيء لأنهم ضيعوا رأس

الأمر وهو الإسلام، وقال تعالى في الكفار:

الفرقان: ٢٣.

- ولذلك قال سفيان بن عيينة رحمه الله: (ما في القرآن آية أشدّ عليّ من قوله تعالى:

المائدة: ٤٦٨) علّقه البخاري في صحيحه.

- وقال المخبّل السعدي:

إني رأيت الأمر أرشده تقوى الإله وشره الإثم

- أي: ما يآتمره الإنسان في نفسه ويهم به ويسعى له، أرشده تقوى الإله، وشره الإثم.
- فكون أرشد الأمر تقوى الله، هو من هذا الباب فإن ما خالف التقوى فليس فيه رشد.

قوله: ((

- أي هي عمود الإسلام فلا يقوم إسلام امرئ إلا إذا أقام عموده وهو الصلاة.
- وشأن الصلاة عظيم؛ فلا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وإذا سقط العمود سقط ما اعتمد عليه، وهذا يبين لك أن شعائر الإسلام معتمدة على الصلاة فإذا صلحت الصلاة صلحت أعمال العبد، وإذا فسدت فسدت عليه أعماله، فلا ينتفع بزكاة ولا صيام ولا حج ولا غيره؛ إذ كانت الصلة بينه وبين الله منقطعة بتضييعه للصلاة.

- ولذلك كان أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة.
- قال حريث بن قبيصة رحمه الله: قدمت المدينة فقلت: (اللهم يسر لي جليسا صالحا)؛ قال: فجلست إلى أبي هريرة؛ فقلت: إني سألت الله أن يرزقني جليسا صالحا فحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله أن ينفعني به؛ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((

:

((. رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

- وروى الإمام مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عماله - أي الذين يستعملهم على أمور المسلمين ويوليهم عليها - : **(إن أهمّ أمركم عندي الصلاة؛ فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع).**

قوله: ((

- ذروة سنامه؛ أي أعلاه وأشرفه، وهو مظهر عزّه وقوته وزينته.
- وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((

((.

تتمّة شرح حديث معاذ

- تضمّن هذا الحديث على وجازته بيان ما يكون للإنسان به شأن عند الله تعالى، وهو الإسلام.
- وهذا الإسلام له عمود وهو الصلاة من أداها حفظ دينه، ومن ضيعها ضيع أمره، وفي الصلاة صلاح نفسه، والجهاد فيه السعي لإصلاح غيره، وهذا شأن المسلم الذي أحسن إسلامه أنه يُصلح نفسه ويسعى لإصلاح غيره.

○ فالصلاة تنبيه على ما يصلح العبد من الأعمال ، والجهد على ما يصلح غيره.

قوله: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

- رد العلم إلى عالمه اعترافاً بأن ما يعلمه العبد إنما هو بما علّمه الله ، وختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أدعى للقبول ، والله تعالى أعلم.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.
اللَّهُمَّ ادْخُلْنَا فِي رَحْمَةِ مِنْكَ وَفَضْلِ وَاهْدِنَا إِلَيْكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَارْزُقْنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقاً كَرِيماً
وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُؤُ الْحَلِيمُ.

تم أصل هذا الكتاب وهو شرح ثلاثة الأصول وأدلتها في ٢٥ شعبان ١٤٣٢ هـ

ثم راجعته وهذبته ليكون دليلاً للمعلم في ١١ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ

أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (٤)

- س ١ : ما تقول فيمن يقول : "نحن نبتهج ونحتفل بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم تعبيراً عن حبنا الصادق له ؛ فلماذا تنكرون علينا؟"
- س ٢ : رجل بلغه خبرٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم فاستغربه وبادر إلى إنكاره ؛ فما حكمه؟
- س ٣ : مسلم يعيش في بلد إسلامي يحكمه حاكم جائر يضيق على أهل السنة ويؤذيهم بالحبس والتنكيل ؛ أفيجب عليه أن يهاجر من بلده أم يؤمر بالصبر على ما يلقي؟ وإذا كان يمكنه إقامة شعائر دينه في بلدة من بلاد الكفر بأمان ؛ فهل يجوز له أن ينتقل من بلد إسلامي إلى بلدة كفر؟
- س ٤ : ما تقول فيمن ينادون بتطبيق الأحكام المكية خاصة في زمن ضعف المسلمين ؛ وإرجاء أحكام العهد المدني إلى أن تستعيد الأمة قوتها وتحرر من تسلط أعدائها؟
- س ٥ : مسلم مقيم في بلد من بلاد الكفر ؛ اعتدى عليه رجلٌ من أهل تلك البلاد ؛ فهل يجوز له أن يحاكمه إلى محاكم تلك البلاد ليطالبه بحقه؟

وصايا لمن درس شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

الحمد لله الذي منّ علينا بإتمام دراسة رسالة (ثلاثة الأصول وأدلتها) لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله.

وقد تبين بدراسة هذه الرسالة القيمة اشتمالها على أهمّ مسائل أصول الدين، وتبين حسن معرفة مؤلّفها بانتقاء تلك المباحث وترتيبها.

ورسالة (ثلاثة الأصول) رسالة وجيزة وسهلة العبارات، وأكثر ما اشتملت عليه أدلة من الكتاب والسنة، وكان يكفي الطالب لفهم هذه الرسالة شرح يسير يوضح ما يحتاج إلى توضيحه بعبارات موجزة لكنني حرصت على التوسع بقدر في الشرح ليكون هذا الشرح لبنةً في إعداد طلاب علم مؤهلين للدعوة إلى الله تعالى لهم نصيب وافر من التأصيل العلمي وفهم مسائل أصول الدين بأدلتها.

واشتمال هذه الرسالة على تلك المباحث المهمة، وكونها من أوّل ما يدرسه الطالب عادة؛ دعاني إلى أن أجمع في تلك المباحث أهم الأدلة والآثار عن الصحابة والتابعين وأنقّي أهم النقول عن العلماء، وأقرب تلك المعلومات بالتقسيمات والقواعد التي توضحها وتعين على حسن فهمها، لتكون عُدّةً للطالب في دراستها وتدريسها عند تأهله لذلك بإذن الله تعالى.

وأنا أوصي طلاب العلم الذين منّ الله عليهم بإتمام دراسة هذا الشرح وأذكرهم بأمور:

أولاً: الدعوة إلى دين الإسلام قائمة على فقه مسائل الاعتقاد فقهاً حسناً، وطالب علم الاعتقاد بحاجة إلى علمين جليلين من قصر في أحدهما أضرّ تقصيره في الانتفاع من علمه:

: وهو علم يُعنى بتزكية النفس وإحسان عبادة الله عز وجل، وهذا العلم قد أُلّفَت فيه رسائل وكتب جليلة القدر عظيمة النفع

فينبغي لطالب العلم أن يعتني بها.

وهذا أمر يحتاجه طالب العلم كثيراً؛ فإن معرفته بأحكام المسائل وأدلتها ينبغي أن يصاحبه معرفة بفقهِ الدعوة وحسن تبليغها والاحتجاج لها، والحذر من الآفات والأخطاء التي قد يكون لها آثار غير محمودة على طالب العلم وعلى دعوته.

وإذا كَمَّل طالب العلم هذه المقامات الثلاث: فقه مسائل الاعتقاد، وفقه السلوك، وفقه الدعوة كان إماماً من أئمة الهدى، ومن الدعاة إلى الله على بصيرة، ومن العلماء الربانيين.

فإنه يدعو إلى ما عَرَف صحته من الحق بأدلته، ويرد الباطل ويبين بطلانه ويحذر منه. وهو في نفسه قائم بما يقتضيه فقه السلوك من حسن التبعّد لله جل وعلا والعمل بالعلم النافع، وفي معاملته لغيره قائم بما يقتضيه فقه الدعوة إلى الله من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ فيكون عالماً صالحاً في نفسه ساعياً في إصلاح غيره.

والأمة بحاجة ماسة إلى هؤلاء؛ فهم عدة الأمة.

ثانياً: دراسة المتون العلمية مهمة في تحصيل التأصيل العلمي، لكنها بحاجة إلى روافد ترفدها من القراءة المنظمة في الكتب والرسائل المهمة؛ فينبغي لطالب العلم أن ينظّم قراءته في كتب الاعتقاد وكتب السلوك وأن يعتني بدراسة الدعوات الإصلاحية وكتب أئمة الهدى عناية جيّدة؛ لتكون عوناً له على فهم مسائل التوحيد، والتعرف على مناهج الأئمة في عرض مسائل الاعتقاد وتدريسها، والدعوة إليها، وتوضيح الحجج وكشف الشبه التي يثيرها بعض الجهلة وعلماء السوء.

ثالثاً: [الثالثة: ٢٨]، فلا يكن همّ الطالب

الاقتصار على فهم المعلومات التي تلقى إليه في الدروس، أو يقرؤها في الكتب، بل

ينبغي أن يكون همّه مع ذلك التعرف على ما يمكنه بذله للدعوة إلى الله تعالى بصيرة، والتعرف على الأبواب التي يحتاج إلى فقهها جيداً للدعوة في مجتمعه، وهذا يكون في كل مجتمع بحسبه، فمن كان في مجتمعه مظاهر للشرك وعبادة غير الله عز وجل، فليتقفه في مسائل الاعتقاد ويولي ما يتصل بحجج التوحيد وكشف شبهات المشركين عناية كبيرة، ويبدأ بما يتيسر له من الأسباب.

ومن كان في يدعى فيه للنصرانية فليعتن بما يتعلق بهذا الباب من مسائل، ويدعو إلى الله بما يتيسر له من الأسباب.

وهكذا فليفعل كل من وجد في مجتمعه حاجة إلى فقه باب من أبواب الاعتقاد؛ بسبب فتنه متفشية أو ابتلاء بجملة أو نحلة لها تأثيرها في بلده، ليقوم بواجبه من الدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة، ويحسن أخذ العدة لهذه المهمة الجليلة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، لا إله إلا هو، علينا توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.

الزهرس

الصفحة	الموضوع
٥	توطئة
٩	مناهج العلماء في شرح المتون العلمية
١٣	الدرس الأول: مقدمات في طلب العلم، ومنهج دراسة العقيدة
٣١	الدرس الثاني: شرح المسائل الأربع (٢/١)
٤٥	الدرس الثالث: شرح المسائل الأربع (٢/٢)
٦٣	الدرس الرابع: شرح المسائل الثلاث (٢/١)
٧٩	الدرس الخامس: شرح المسائل الثلاث (٢/٢)
١٠١	أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (١)
١٠٣	الدرس السادس: شرح الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه جل وعلا
١٢٥	الدرس السابع: بيان معنى العبادة وأنواعها
١٤٣	الدرس الثامن: الدعاء والخوف والرجاء والتوكل
١٦٩	الدرس التاسع: الرغبة والرغبة والخشوع والخشية والإنابة
١٨٧	الدرس العاشر: الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر
٢٠٧	أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (٢)
٢٠٩	الدرس الحادي عشر: الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة (مرتبة الإسلام)
٢٣٣	الدرس الثاني عشر: مرتبة الإيمان (٢/١)
٢٤٧	الدرس الثالث عشر: مرتبة الإيمان (٢/٢)
٢٦٧	الدرس الرابع عشر: مرتبة الإحسان (٢/١)
٢٨١	الدرس الخامس عشر: مرتبة الإحسان (٢/٢)
٣٠١	أسئلة وتطبيقات على الدروس السابقة (٣)

